الأراضي الحدودية المتنازع عليها

جيب كفيا قنجي

البشر والسياسة والتاريخ في محور الحدود الشمالية – الجنوبية لغرب السودان

ادوارد توماس

جيب كفيا قنجي

ادوارد توماس

US $6 UK £4 Sudan £15 EU €7 Ethiopia Birr100 Egypt £35 Uganda Sh15,000 Kenya Sh500 Tanzania Sh10,000 Somalia Sh10,000 Somaliland Sh40,000

"لراجا أبعاد شمالية وجنوبية وأهل راجا هم سكان حدود.
ومسلمو راجا لهم إسلامهم الخاص"
ياسر عرمان

الأراضي المتنازع عليها

يواجه السودان عام ٢٠١١ أكبر تحدي له منذ الاستقلال: استفتاء حول انفصال الجنوب. وإذا صار جنوب السودان دولة منفصلة فان الحدود بين الشمال والجنوب ستصير حدودا دولية، وستكون الحدود هي الأطول والأكثر إثارة للنزاعات في شرق أفريقيا. إن العلاقات بين مجتمعات كل جانب – وعلى امتداد الحدود الدولية للجنوب – قد تعقّدت من خلال عشرات السنين من الحرب الأهلية؛ وستتأثر أكثر بصدمة الانفصال. وتفحص الدراسات في سلسلة الأراضي الحدودية المتنازع عليها الملامح التاريخية لهذه المجتمعات ودورها في مستقبل السودان السياسي.

جيب كفيا قنجي

يُعتبر كفيا قينجي الواقع على الطرف الغربي الأقصى للسودان نقطة إلتقاء رئيسية بين دارفور وجنوب البلاد؛ وتخضع هذه المنطقة الغنية بالمعادن حالياً لإدارة جنوب دارفور، لكن من المتوقع إعادتها إلى مقاطعة راجا في جنوب السودان بموجب بنود اتفاقية السلام الشامل لعام ٢٠٠٥. وهذا التقرير، المستند إلى بحث ارشيفي مكثف ومئات المقابلات في السودان، يحكي قصة أهل كفيا قنجي وراجا ويصف الخيارات التي يواجهونها اليوم.

الكاتب

إدوارد توماس هو مؤلف كتاب:
Mahmud .Islam«s Perfect stranger: A Biography of the Sudanese Relegious Reformer (Mohammad Taha) (٢٠١٠).
عمل توماس في السودان ومصر لسبع سنوات كمعلّم وكباحث وكضابط لحقوق الإنسان مع بعثة الامم المتحدة في السودان، يونيميس. وكان توماس مديراً لبرنامج السودان في معهد الاخدود العظيم للعام ٢٠٠٩–٢٠١٠.

معهد الاخدود العظيم

معهد الاخدود العظيم (www.riftvalley.net) هو منظمة غير ربحية تعمل مع مجتمعات ومؤسسات في شرق أفريقيا. وترِبط برامج معهد الاخدود العظيم المعرفة المحليّة بالمعلومات العالمية. والبرامج تتضمن بحوثا اجتماعية ميدانية ودورات تدريب ودعم للمؤسسات التعليمية المحلية ومكتبة رقمية على الانترنت، www.sudanarchive.net.

ISBN 978-1-907431-04-3

Rift Valley Institute
Taasisi ya Bonde Kuu
معهد الاخدود العظيم
Machadka Dooxada Rift
Instituto do Vale do Rift
Institut de la Vallée du Rift

خريطة ١- السودان عام ٢٠١٠ : الحدود الإدارية، والمناطق المتنازع عليها والسكك الحديدية والمدن الرئيسية والأنهار.

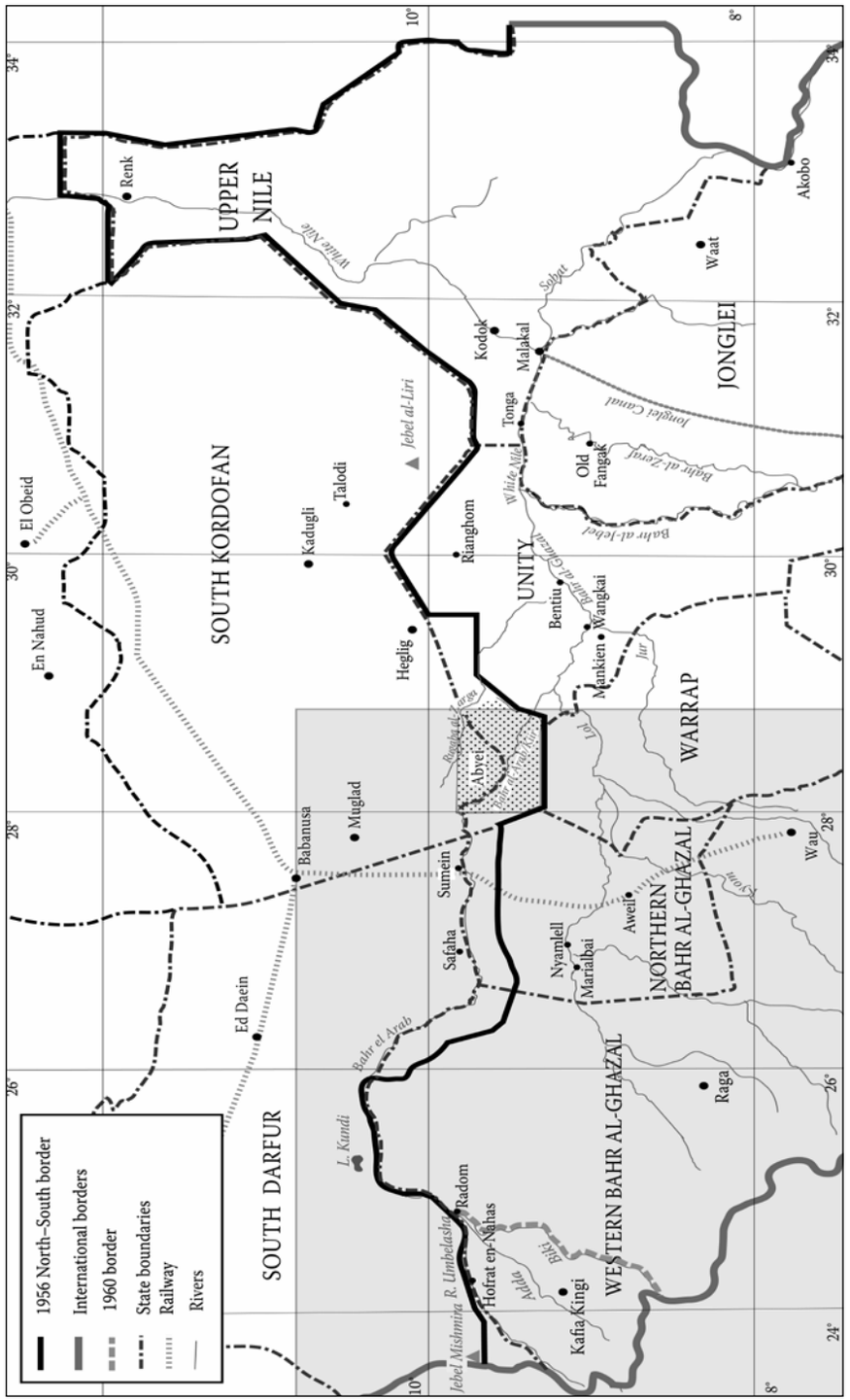

خريطة ٢- السودان: الحدود الجنوبية - الشمالية مع مناطق ذات خرط تفصيلية.

جيب كفيا قنجي
البشر والسياسة والتاريخ في محور الحدود الشمالية - الجنوبية لغرب السودان

ادوارد توماس
ترجمة: سيداحمد علي بلال

نشر في ٢٠١٠ بواسطة معهد الاخدود العظيم
1 St Luke's Mews, London W11 1DF, United Kingdom
PO Box 30710 GPO, 0100 Nairobi, Kenya

المدير التنفيذي: جون رايل
مدير البرنامج: كريستوفر كيدنار
المحررون: ايميلي ويلمزلي وآروون قريفيز
التصميم: ليندساي ناش
صورة الغلاف: جوناثان كينقدون
الخرط: كيتيكيركوود
ترجمهالى العربية: سيداحمدعليبلال
PRINTING: JF Print Ltd, Sparkford, Somerset, BA22 7JQ
isbn978 1 907431 043

RIGHTS: Published under Creative Commons license
Attribution-Noncommercial-No Derivative
www.creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/3.0
Available for free download at www.riftvalley.net

قائمة الخرائط ٣
المصادر والشكر والعرفان ٤
المنطقة قيد الدراسة ٦
ملخص ١١
١ تقديم ١٦
٢ الحدود الأيكولوجية وخلق جيب كفيا قنجي ١٨
٣ الحدود بين الدول والكيانات التي ليست دول: دارفور وبحر الغزال في القرنين الثامن والتاسع عشر ٢٤
٤ ان تكون من الفرتيت: البشر والمجتمعات في غرب بحر الغزال وجيب كفيا قنجي ٣٥
٥ السياسة الجنوبية لعام ١٩٣٠: رسم حدود ثقافية ودينية ٥٨
٦ رسم المعالم: الحدود السياسية ٦٨
٧ اقتصاديات الحدود والمعنى الاجتماعي للطرق، ١٩٣٠ – ٢٠١٠ ٨١
٨ بحر الغزال ودارفور في حرب السودان الأهلية الأولى واتفاقية السلام ٩٦
٩ الحرب الأهلية في جنوب السودان، ١٩٨٣ – ٢٠٠٥ ١٠٨
١٠ الحرب الأهلية في أراضي حدود جنوب دارفور ١٢٢
١١ خلاصة: جيب كفيا قنجي عشية الاستفتاء ١٣٢
١٢ التوصيات ١٣٨
المراجع ١٤٢
مسرد ١٥١

قائمة الخرائط

خريطة ١– السودان عام ٢٠١٠: الحدود الإدارية، والمناطق المتنازع عليها والسكك الحديدية والمدن الرئيسية والأنهار. من الداخل للغلاف الامامي
خريطة ٢– السودان: منطقة حدودية لغرب بحر الغزال ٨–٩
خريطة ٣– السودان: الحدود الجنوبية – الشمالية مع مناطق ذات خرط تفصيلية. من الداخل للغلاف الخلفي

المصادر والشكر والعرفان

يستند هذا التقرير إلى بحث في كتابات علماء متخصصين وسجلات في المملكة المتحدة تتعلق بالحقبة البريطانية في السودان وعمل ميداني في شمال وجنوب السودان خلال عامي ٢٠٠٩ و٢٠١٠. أجريت نحو ٢٠٠ مقابلة، معظمها مع رجال، في مناطق مختلفة من السودان بما في ذلك الخرطوم ودارفور ومنطقة راجا في شمال بحر الغزال. وقد سمح هذا لممثلي نسبة كبيرة من المجموعات المذكورة في هذه الدراسة ان تعرض آرائها. ولأسباب أمنية لم يكن ممكنا زيارة جيب كفيا قنجي نفسه أو جنوب غرب دارفور. كما لم يكن ممكنا الاطلاع على الأوراق ذات الصلة في دار الوثائق المركزية في الخرطوم.

هناك بعض ممن أجريت معهم مقابلات لا ترد أسماءهم هنا. ففي بعض الحالات طاب البعض عدم ذكر اسمائهم وفي حالات أخرى لم يتوفر الوقت خلال المقابلة لتوضيح الكيفية التي يتم بها استخدام اسمائهم. وأنا اشعر بالعرفان العميق لكل واحد منهم للمساهمة الكبيرة في هذا التقرير ولما منحوه من وقتهم ولدعمهم الذي لم يكن متوقعا للموضوع والانفعال به.

أود أن اشكر الاشخاص الذين ساعدوني في لقاء كل من شارك في المقابلات:

بول أنيس ومهنّد كادام اللذان ساعدا في تنظيم اقامتي في السودان؛ وثييك جير ثييك ومحمد علي اللذان نظّما المقابلات؛ والفاتح ابو القاسم الذي وفّر المواصلات في راجا.

ساعدني اشخاص عديدون في العثور على وثائق. لقد أتاح لي كل من يوسف تاكانا واسحق عليو وابراهيم عبد القادر ومحمد عليو وسليمان يحيى محمد وروبرت فوتور وبوشيره جمعة حسين ودوغلاس جونسون "بكرم" الاطلاع على ما في حوزتهم من مادة. وبالاضافة إلى ذلك منحوني فرصة ان اقرأ مجموعات هائلة من اوراقهم؛ ولقد زودني دوغلاس جونسون أيضاً، مشكوراً، بفرصة الاطلاع على ملاحظاته الخاصة من الأراشيف، مما جعل وقتي في الأراشيف أكثر كفاءة وفعالية. وأود ان اشكر جين هوغان والعاملين في ارشيف السودان بجامعة دارام على مساعدتهم خلال فترة اقامتي هناك.

أود أيضاً ان اعبّر أيضاً عن تقديري لعمل أحمد سكينجا: لقد استخدمت كتابه «غرب بحر الغزال تحت الحكم البريطاني» (١٩٨٣) بشكل مكثف في هذه الدراسة، لكني لم آت على ذكره كثيرا هنا. وكتابه مشهور للغاية عند اهل منطقة راجا لدرجة أنني اضطررت لأن أترك لهم نسختي. وأخيراً، أود ان اشكر جون رايل من معهد الاخدود العظيم، والذي اتي بفكرة الكتابة عن الناس الذين يعيشون على الحدود شمال وجنوب السودان بطريقة انسانية وواعية، وحوَّل الفكرة إلى مشروع. كما أود ان اشكر كيت كيدنار الذي يجسِّد المشروعات ويحولها إلى واقع.

تم استخدام رسم جونسون كينغدوم على غلاف الكتاب بعد موافقة كريمة من الفنان التشكيلي. وتم دعم البحث الخاص بالتقرير والنشر لكتاب جيب كفيا قنجي بمنحة كريمة من هيومانتي يونايتيد.

الآراء الواردة في هذه الدراسة تخص الكاتب وحده: فهي لا تمثل رأي معهد الاخدود العظيم أو هيومانتي يونايتد أو اي منظمة أخرى. إن الكاتب هو المسئول الوحيد عن ايّ اخطاء فيها.

المنطقة قيد الدراسة

هذه دراسة للأقاصي الغربية للحدود بين دارفور وجنوب السودان، مع التركيز بشكل خاص على جيب كفيا قنجي. إن غرب بحر الغزال (٩٣٩٠٠ كلم٢) وجنوب دارفور (١٢٧٣٠٠ كلم٢) هما منطقتان ضخمتان: فبحر الغزال تبلغ في مساحتها تقريبا حجم كوريا الجنوبية أو البرتغال، وجنوب دارفور تبلغ حجم مساحة كوريا الشمالية أو اليونان.

يُشار أحياناً إلى جيب كفيا قنجي بإسم حفرة النحاس، وهي تسمية تعود إلى مستوطنة تعدين قديمة في طرفه الشمالي. ومنطقتها مجاورة تقريبا لمحمية الردوم للمحيط الحيوي التي هي حديقة تحظى باعتراف منظمة اليونسكو. وتغطي منطقة الجيب ١٢,٥٠٠ كلم مربع تقريبا بحجم بورتوريكو. أن المنطقة والتي كانت في السابق جزءاً من بحر الغزال تقع حاليا تحت ادارة جنوب دارفور.

يتضمن هذا التقرير لمحة عامة عن تاريخ كفيا قنجي تغطي الفترة من القرن السابع عشر حتى اليوم. وخلال ذلك الوقت تغيرت كل اسماء المناطق والحدود الإدارية والمجموعات الاثنية. كما تغيرت معظم معاني المصطلحات الإدارية. وبحر الغزال الذي يعني نهر الغزال هو رافد للنيل الابيض. وفي القرن التاسع عشر كانت دارفور سلطنة مستقلة وكان بحر الغزال هو إسم المديرية الاستعمارية التي تغطي حوض النيل الغربي في جنوب السودان التركي المصري. كان جيب كفيا قنجي جزءا من مديرية بحر الغزال حينما حصل السودان على الاستقلال عام ١٩٥٦. وفي عام ١٩٦٠ تم تحويله إلى دارفور التي صارت مديرية تابعة لدولة السودان عام ١٩١٦. في عام ١٩٧٤ تم تقسيم دارفور إلى مديريتين. وفي عام ١٩٨١ جُعلت اقليما متحدا من مديريتين هما شمال دارفور وجنوب دارفور. وفي عام ١٩٩٤ استبدلت أقاليم السودان التسعة بـ ٢٦ ولاية (تقلّصت فيما بعد إلى ٢٥ ولاية). وقُسم اقليم بحر الغزال إلى اربعة ولايات هي: البحيرات، واراب، شمال بحر الغزال، وغرب بحر الغزال.

صارت المقاطعات الإدارية المحلية في ولاية جنوب دارفور أصغر من حيث المساحة منذ ١٩٧٤ وهو تطور تم تناول مغزاه السياسي في هذا التقرير. ومنذ ٢٠٠٩ صار جيب كفيا قنجي تحت محليّة الردوم؛ وقبل ٢٠٠٩ كانت محليّة الردوم جزءا من محلية

أكبر هي بُرام (مديرية برام قبل ٢٠٠٣)؛ وقبل ١٩٧٤ كانت محافظة بُرام جزءاً من محافظة أكبر هي نيالا.

تتطلب اتفاقية السلام الشامل لعام ٢٠٠٥ العودة إلى حدود ١٩٥٦؛ فإذا تم تنفيذ هذا المتطلب فان جيب كفيا قنجي سيصير جزءا من مقاطعة راجا في ولاية غرب بحر الغزال بجنوب السودان. وفي عام ١٩٦٠ كانت مقاطعة راجا تسمى مقاطعة راجا الفرعية للمقاطعة الغربية لبحر الغزال.

تحمل بلدة سيد بنداس في العديد من الخرط المبكرة إسم من أوجدها؛ ومعظم الناس الآن يسمونها بورو مدينة.

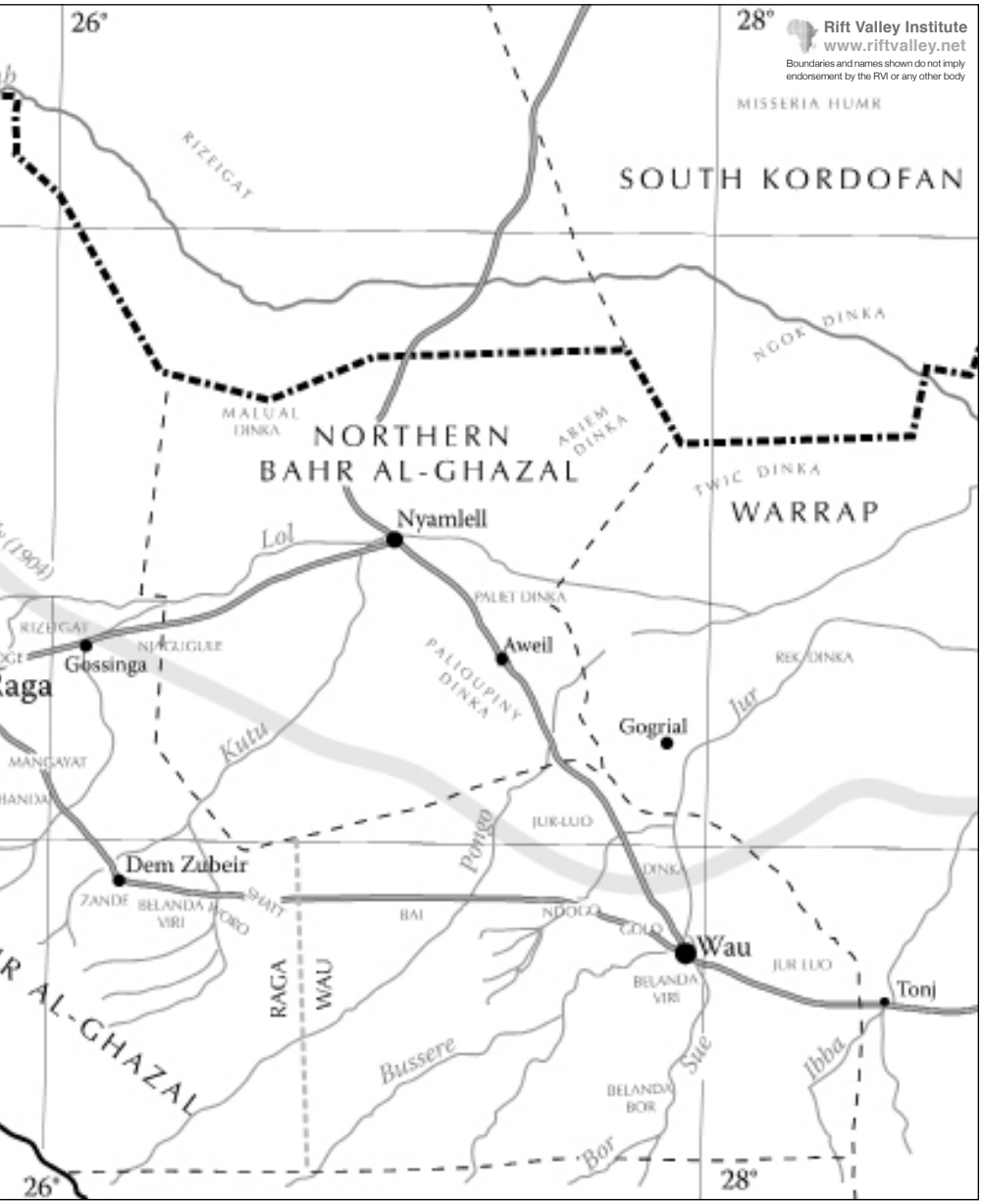

خريطة ٢- السودان: منطقة حدودية لغرب بحر الغزال

(Sources: Santandrea (1964), Tucker and Bryan (1966

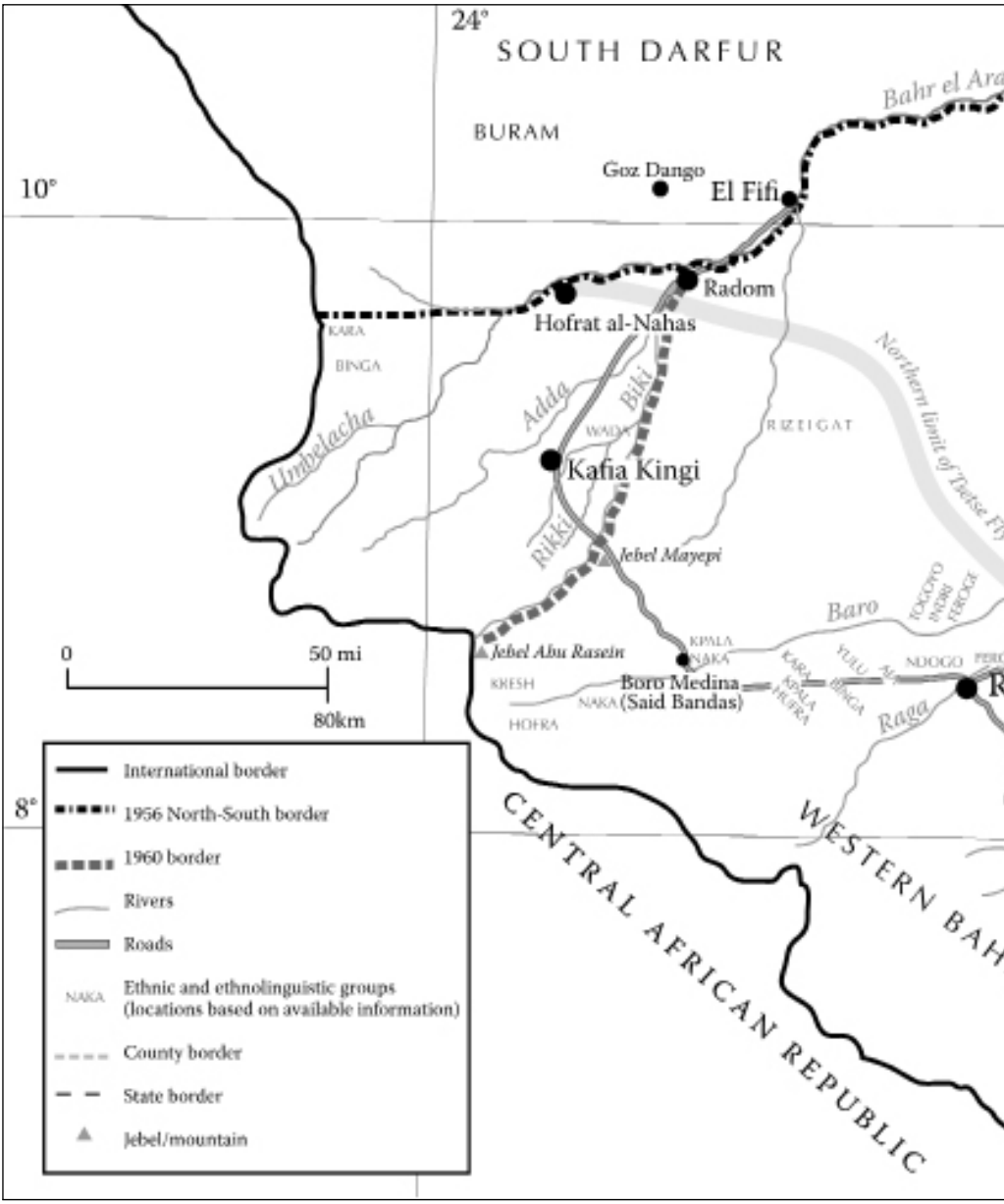
24°
SOUTH DARFUR
BURAM
Goz Dango
El Fifi
10°
Radom
Hofrat al-Nahas
KARA
BINGA
Adda
Biki
Umbelacha
WADA
RIZEIGAT
Kafia Kingi
Rikki
Jebel Mayepi
Baro
Jebel Abu Rasein
KPALA
NAKA
KRESH
Boro Medina
(Said Bandas)
NAKA
HOFRA
0
50 mi
80km
International border
1956 North-South border
1960 border
Rivers
Roads
NAKA
Ethnic and ethnolinguistic groups
(locations based on available information)
County border
State border
Jebel/mountain
8°
CENTRAL AFRICAN REPUBLIC
WESTERN BAH

ملخص

يقع جيب كفيا قنجي، الذي يُشار اليه أحياناً بإسم حفرة النحاس، في حزام السافنا الذي يمتد شرقا وغربا على امتداد السودان، جنوب نهر امبلاشا والذي هو المصدر الغربي الاقصى للنيل على حدود جمهورية افريقيا الوسطى. وتحتوي المنطقة على غابات ومناجم نحاس وغيرها من الثروات الأخرى. والمنطقة الحدودية التي تضم جيب كفيا قنجي هي المنطقة التي تلتقي فيها مقاطعة راجا، الواقعة إلى أقصى غرب مقاطعات ولاية بحر الغزال، بمحلية الردوم في جنوب دارفور. وهي تشكل جزءاً من دار فرتيت. ودار فرتيت هو إسم مأخوذ من مصطلح جماعي يطلق على شعب غرب بحر الغزال. وهذه المناطق المحلية البعيدة ضعيفة التنمية والمعقدة في تركيبها الاثني والهامشية جغرافيّاً بالنسبة للشمال والجنوب معا، لها أهمية سياسية خاصة. فهي توجد حيث تتقاطع الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب وحرب دارفور والعمليات المتعددة لسلام السودان.

ان اتفاقية السلام الشامل لعام ٢٠٠٥ بين حكومة السودان في الخرطوم والحركة الشعبية لتحرير السودان المتمركزة في الجنوب تصورت دولة سودانية جامعة تستثمر مواردها في أطراف السودان الشاسعة الفقيرة. وحسب كلمات الاتفاقية فان الموقعين عليها مطالبون بأن "يجعلوا الوحدة جاذبة". لكن اتفاقية السلام الشامل تمنح الناخبين في جنوب السودان فرصة اختيار الاستقلال بدل الوحدة، وذلك في استفتاء لتقرير المصير حُدّد شهر يناير ٢٠١١ موعداً لاجرائه.

تم تعيين الحدود بين الشمال والجنوب في اتفاقية السلام الشامل بخط حدود عام ١٩٥٦ وهو العام الذي صار فيه السودان مستقلا. وعند الاستقلال كان جيب كفيا قنجي جزءا من الجنوب. وتم تحويل الجيب إلى الإدارة الشمالية عام ١٩٦٠. وبالتالي فانه، وبموجب شروط اتفاقية السلام الشامل، فإن الوقت قد جاء لاعادته لجنوب السودان ولإدارة ولاية غرب بحر الغزال. وتعتبر منطقة الجيب اوسع المناطق الواقعة على امتداد الحدود بين الشمال والجنوب التي يتوقع تحويلها إلى الجنوب. وهنا، كما في مناطق حدودية أخرى هامة، فان عدم اليقين حول الترتيبات الإدارية المستقبلية يختلط بالتوترات المحليّة وباعتبارات استراتيجية أوسع.

إذا قرر الناخبون الجنوبيون الانفصال في استفتاء عام ٢٠١١ فان منطقة كفيا قنجي قد تجد نفسها في الجانب الجنوبي من حدود دولية جديدة. ويجعلها هذا الاحتمال موضوعا لحسابات سياسية متجددة في جوبا والخرطوم. وتتركز هذه الحسابات على ثلاثة ملامح من المنطقة. الملمح الأول هو ثروتها المعدنية. لقد تم تعدين النحاس في حفرة النحاس منذ عصور قديمة، وقد تكون هناك أيضاً ترسبات من الذهب واليورانيوم والبترول. والملمح الثاني هو الموقع العسكري الحساس للمنطقة في أقصى الغرب. فهذا هو المكان الذي تفاعل فيه نزاع دارفور مع نزاع جنوب السودان مؤخراً في صدامات بين جيش تحرير السودان ورعاة دارفوريين. وخلال العامين الماضيين فان حكومة جنوب السودان ظلت تزعم بأن جيش الرب للمقاومة، المتبقي من حرب السودان وأوغندا بالوكالة خلال تسعينيات القرن الماضي، ظل يعمل في المنطقة بمعرفة الخرطوم؛ وهو اتهام ينفيه ممثلو الحكومة القومية.

الملمح الثالث للمنطقة هو قدرتها التجارية. ان حجم سكان كفيا قنجي صغير نسبيا إذ يتراوح بين ٥ آلاف و١٥ الفا، ومن غير المتوقع ان يكون عدد سكانها كافيا لتكوين دائرة سكانية يمكن ان تطعن في القرارات التي يتخذها طرفا اتفاقية السلام. ومن الممكن ان تصير كفيا قنجي قطعة صغيرة في المساومة في مفاوضات مستقبلية بين طرفي اتفاقية السلام الشامل فيما يتعلق بترسيم الحدود بين الشمال والجنوب.

تعرض هذه الدراسة الأدلة المتاحة حول تاريخ الحدود بين الشمال والجنوب في هذه المنطقة من غرب السودان. فقبل فترة الاستعمار البريطاني لم يكن هناك تعيين واضح للحدود الجنوبية لدارفور مع ان سلطنة دارفور ادعت ملكيتها لمناجم النحاس في حفرة النحاس جنوب الضفة الجنوبية لنهر امبلاشا. لكن خلال صفقات السلام قادت أوامر رئاسية ومنازعات دولية من سبعينيات القرن الماضي وما بعده إلى قبول حكومة الخرطوم ضمنا أو صراحة ان كفيا قنجي تاريخيا تعتبر جزء من الجنوب.

يتحاشى هذا التقرير تناول أيّ توقعات حول نزاع محتمل في كفيا قنجي. وبدلاً عن ذلك فانه يركز على التجربة التاريخية المتميزة، والتي لم تخضع الا للقليل من الدراسة، لسكان هذا الجزء من غرب السودان واستراتيجيات الصراع من أجل البقاء التي طوروها هنا وكمهاجرين في مناطق اخرى من البلاد. ان قصة شعب كفيا قنجي وما يحيط بها يمثل منبهاً بأن كل المجتمعات السكانية في السودان تستعصى على ان تصنف وفقاً لتقسيم سهل بين الشمال والجنوب كما ان قصتهم تتكرر بشكل أو بآخر في تجربة العديد من مجتمعات الأطراف البعيدة في السودان.

في مطلع القرن التاسع عشر عاش سكان المنطقة خارج هياكل الدولة ممارسين للزراعة التي تعتمد على تنظيف أراضي من الشجيرات والنباتات، ملتجئين للغابات

متعذرة الاختراق والتخوم الفصلية لدار فرتيت. وقد نشطت سلطنة دارفور في العمل هنا بشن حملات في مواسم الجفاف اختطفت فيها اعداداً من السكان لاستخدامهم كأرقاء أو انتزعتهم من زبائن. وكان الأرقاء هم أساس السلطنة، في جيشها وفي جهازها البيروقراطي. وكان تصدير الرقيق هو تجارتها الدولية. كما كان عمل الرقيق يحقّق مشاريع عظيمة للدولة مثل الري وزراعة المدرجات، وساعد خضوعهم في إنشاء الهرمية الاجتماعية.

حوّلت دولة القرن التاسع عشر الاستعمارية هذا النظام؛ وسمحت لأصحاب الأعمال الخاصة ان يقيموا مستوطنات دائمة في بحر الغزال. لكن تأسيس هذه المراكز الحصينة لتجارة الرقيق وقدرة التجار في الحصول على امدادات من الاسلحة النارية حرم سلطنة دارفور من مصدر ثروتها واضعف بشكل دائم حجم سكان بحر الغزال. وفي نهاية المطاف استطاعت جيوش الأرقاء اسقاط السلطنات في دارفور وافريقيا الوسطى والدولة الاستعمارية في الخرطوم. وبالمقابل فان مُلاك الرقيق انهزموا في النهاية على ايدي مستعمري القرن العشرين الأوربيين الذين كان اجتياحهم لوسط افريقيا أكثر دمارا بمرات عديدة من الانظمة التي سبقتهم. وتظهر الدراسة كيف ان بقايا السكان ممن هلكوا في هذه الحروب كثيرا ما انتهوا إلى القدوم إلى مقاطعة راجا؛ وقد اظهرت مسوح لغوية في القرن العشرين ان سكان المنطقة هم الأكثر تنوعا على المستوى اللغوي من اي بقعة اخرى في البلاد.

مارس الإداريون البريطانيون في ظل الحكم الثنائي الإنجليزي – المصري، الحكم الاستعماري الثاني للسودان، سياسة متناقضة؛ فقد هدفوا إلى تطوير اقتصاد نقدي لتمويل الإدارة الاستعمارية بينما قيّدوا الهجرة والتجارة بتأسيسهم لهذه الإدارة على مشيخات محلية منطوية على نفسها. وكان التواصل بين دارفور والجنوب مقيّدا بشكل كبير خلال الفترة ١٩٣٠-١٩٤٦ بالإضافة إلى ادخال السياسة الجنوبية والتي كانت تهدف إلى وقف انتشار نفوذ الشمال، السياسي والثقافي، في الجنوب. وقد تم تبني تدابير خاصة في جيب كفيا قنجي الذي كان مجتمعه شديد الاختلاط يستخدم اللغة العربية كلغة مشتركة حيث تبنت بعض المجموعات الدين الإسلامي. وحطّم البريطانيون كفيا قنجي وحولوا الأراضي الحدودية بين راجا ودارفور إلى أرض خالية من السكان. وقد احتاجوا، ولأسباب مالية، لتحويل مجتمعات مقاطعة راجا الصغيرة والمتنقلة إلى مناطق سكانية يُجبى منها الضرائب؛ ولكي يقوموا بذلك فانهم اجبروهم على السكن والعيش على طول طريق يتصل بالمستوطنات الرئيسية في غرب بحر الغزال: واو، راجا، بورو مدينه. ولأسباب سياسية قاموا بفصل هذه المجتمعات الصغيرة عن دارفور التي كان لبعضهم صلات تاريخية بها. وانتهت هذه المحاولة الرامية إلى خلق حدود للحد من التأثير العربي الإسلامي من الشمال

قبل الاستقلال لكنها خلفت تركة من التنمية المنفصلة وغير المتكافئة ومن التشكك الثقافي الذي ساهم في حروب السودان الأهلية اللاحقة.

خلال أول هذه الحروب الأهلية، في ستينيات القرن الماضي، انخرط كثيرون من سكان راجا في التمرد الجنوبي. وفي دارفور، التي لم تتأثر مباشرة بالنزاع، كان الانضمام إلى جيش الحكومة وسيلة تتمكن بها الأسر الفقيرة من المشاركة في الدولة. لكن في الحرب الأهلية الثانية، التي بدأت عام ١٩٨٣، نجحت الحكومة في تعبئة سكان راجا ودارفور للانضمام للجيش والمليشيات لمكافحة التمرد الجنوبي الجديد. وخلال عقد من السنوات ساد فيه السلام بين الحربين اتجهت التغييرات في المجتمع الجنوبي لعزل سكان راجا عن الجنوبيين الآخرين. وهي عملية تفاقمت بسبب ممارسات الحكومة في الخرطوم.

في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين اقتربت الحكومة المركزية من الافلاس نتيجة الأزمة الاقتصادية الدولية؛ وبدلا من أن تتجه الحكومة للاستثمار في مناطقها الطرفية فانها مارست سياسة فرّق تسد فكثفت من النزاعات المحلية والتنافس المحلي على الموارد. وحينما انفجرت الحرب الأهلية مرة اخرى شكّلت هذه الانقسامات الأساس لاستراتيجية مكافحة التمرد عن طريق استخدام المليشيات على أساس اثني. وأدى هذا إلى المزيد من تفكك مجتمعات مناطق السودان الطرفية.

كان الاستثمار في التنمية الاقتصادية للأطراف قد انخفض بشكل كبير خلال ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي. وفي التسعينيات ترافقت سياسة التشظي والسعي لإقامة تحالفات اثنية مع سياسة تعزيز صيغة دولة تستند إلى الإسلام. وبموجب اتفاقية السلام الشامل ألزمت الحكومة نفسها بالاستثمار في المناطق الطرفية للبلاد واتخذت بعض الخطوات في التراجع عن الخفض في الاستثمار لكن حينما ووجهت بالتمرد في دارفور لجأت لسياسة التشظي والسعي للتحالفات الاثنية. ولم توفر فترة اتفاقية السلام الشامل حلولا لانقسامات دارفور وعمليات التهميش للاطراف.

تفحص الدراسة سرديات الهجرة والنزوح التي ظهرت في منطقة كفيا قنجي والمناطق المجاورة لها فتصل تاريخها بالتجربة الحالية. لقد شتتت حروب القرون التاسع عشر والعشرين والحادي والعشرين مجموعات راجا اللغوية الصغيرة في مدن وبلدات شمال وجنوب السودان. وقد عجلت عملية بناء الطرق الاستعمارية والهياكل الإدارية والانظمة الاقتصادية من عملية التمدّن هذه وكانت الحرب والنزوح هي الادوات التي دمجت المنطقة بالعالم المعاصر. وتعتبر الدراسة شبكة الطرق في وبين دارفور والجنوب نموذجا للصلات بين المعاصرة والحرب والتنمية فتفحص التجربة

التاريخية للمجتمعات صغيرة الحجم في مسارها وتستخلص الدروس التي تحتوي عليها هذه التجارب لتقدمها للسودان ككل.

يختتم التقرير بتقييم لأهمية أراضي الحدود الغربية لمستقبل السودان. فإذا بقي السودان موحدا بعد الاستفتاء فستكون هناك حاجة إلى ترتيبات سياسية مرنة في مركز الدولة. أما إذا لم يبق موحدا، كما يبدو مرجّحا، فلا تزال تكون هناك حاجة للمرونة، بشكل أكثر عجالة، لما ستصير حدوداً لدولة. وقد وردت هذه الحدود الطويلة في العديد من التقارير الخاصة بالوضع الراهن في السودان كموقع نزاع بين مجموعات رعوية محدّدة تعاني من عداءات بين بعضها البعض أو بين ضحايا يُنتزعون من مجموعة اثنية وجناة من مجموعة اثنية اخرى. لكن واقع الأراضي الحدودية مختلف. وهذا هو الوضع بشكل خاص في مجتمعات غرب بحر الغزال وجنوب دارفور. ان الذاكرة التاريخية لسكان هذه المناطق لا تخلو من مرارات. ومع ذلك فانهم يعترفون بوجود تاريخ من التعاون والنفوذ الثقافي عبر كل التقسيمات الدينية والاثنية. ان الذاكرة المحلية، والهويات التي شكّلتها، تعتبر مصدرا يمكن ان يشكل رأسمالاً ثقافياً لسودان مستقبلي سواء كان قطراً واحداً ام قطرين. لكن، وبنفس القدر، فان هذه الذاكرة يمكن ان تُستغل كأداة للنزاع بين المصالح السياسية في الشمال أو الجنوب سعيا لاضفاء نظرة تبسيطية على محور حدودي معقّد.

١ تقديم

ينقسم التقرير إلى ثلاثة اجزاء. الفصول الخمس الأولى تقدم الخلفية التاريخية. الفصل الأول يصف المشهد الطبيعي لجيب كفيا قنجي والذي يقع بين محاور ايكولوجية وثقافية مختلفة. ويقدم الفصل الثاني نظرة عامة موجزة عن الدول المختلفة في وادي النيل ودارفور وافريقيا الوسطى وافريقيا الاستوائية. وأحد أهداف هذا الفصل هو تحويل انظار القارئ من الخرطوم حيث يُكتب معظم التاريخ السوداني، إلى خط تقسيم المياه بين نهري النيل والكونغو حيث يقع جيب كفيا قنجي. وينظر الفصل الرابع إلى شعب تلك المنطقة بتركيز على مجتمعات مقاطعة راجا الهجين والمتعددة ثقافيا والمعروفة بشكل جمعي بإسم مجتمعات الفرتيت. ويحلّل الفصل الخامس، في نهاية هذا الجزء الأول، السياسة الجنوبية من ١٩٣٠ إلى ١٩٤٦، والتي كانت الأصل في جعل هذه المنطقة أرضا بلا سكان، وهدفت إلى خلق حاجز ثقافي بين الشمال والجنوب.

ينظر الفصلان السادس والسابع، اللذان يمثلان الجزء الثاني من الكتاب، في سياسات الحدود وفي النظام الاقتصادي للأراضي الحدودية. يفحص الفصل السادس الطريقة التي صارت بها تخوم الرق ما قبل الاستعمار حدوداً دولية وكيف تعاملت حروب ما بعد الاستقلال واتفاقيات السلام مع الحدود. ويقدم الفصل السابع تقريراً بالطريقة التي تمدّدت بها الدولة في تواصلها مع المجتمع من خلال سياسة شق الطرق التي ارغمت الناس على الانزواء في قرى، وكيف هرب الناس من القرى إلى المدن في أوقات الحروب. وتوضح عملية شق الطرق بشكل قسري الصلة بين عملية التحديث وما يصحبها من عنف في الأطراف السودانية.

يقدّم الجزء الأخير من التقرير، الذي يتكوّن من الفصول ٨ و٩ و١٠، تاريخا لحروب السودان الأهلية من منظور جيب كفيا قنجي فيتناول الفصل الثامن الحرب الأهلية الأولى في الجنوب والعودة إلى السياسات الاثنية في جنوب السودان ودارفور. وينظر الفصل التاسع في الحرب الأهلية الثانية في الجنوب ومحاولات الجيش الشعبي لتحرير السودان غير الناجحة في استخدام جيب كفيا قنجي كطريق لنقل الحرب إلى دارفور. ويوضح الفصل العاشر كيف ان الحرب في دارفور فقدت قوتها في المجتمعات شديدة التنوّع على الحدود. وتبرز الفصول الثلاثة الآثار الاجتماعية

للحروب على الحياة اليومية – محافظة على تناقضات الأطراف ودافعة بسكانها إلى اسواق العمل في المدن.

يخلص التقرير إلى اظهار بعض تبعات هذا التاريخ للمستقبل: ان لتجربة جيب كفيا قنجي والأراضي الحدودية من حوله دروس حول صلات الشعوب السودانية بالدولة وبالاحساس بالهوية؛ وبتجارتهم وكسب عيشهم وانظمة عملهم وعلاقتهم ببيئتهم وبالحروب التي شكلت تاريخهم.

٢ الحدود الأيكولوجية وخلق جيب كفيا قنجي

في عام ١٩٥٦ عند استقلال السودان كانت الحدود بين بحر الغزال وجنوب دارفور تمر على امتداد الرافد الغربي الاقصى للنيل: نهر امبلاشا الموسمي والذي يلتقي ببحر العرب / نهر كير عند الردوم. وفي عام ١٩٦٠، بعد اربع سنوات من الاستقلال، تحركت الحدود جنوبا إلى خط يتبع اربعة أنهر اخرى. وسجلت الجريدة الرسمية هذا التغيير كالآتي:

> من الردوم على خط عرض ٩ درجات و٥١ دقيقة وخط الطول ٢٤ درجة و٥١ دقيقة داخل مديرية دارفور تمر الحدود الجديدة على امتداد الضفة اليمنى لنهر آدا إلى قرية اجرباكا عند التقاء نهر بيكي مع نهر آدا. ثم يتبع خط الحدود الضفة اليمنى لنهر بيكي حتى ملتقى نهري ديوفو وسيلا ويمر على امتداد الضفة اليمنى لنهر ديوفو إلى أن يلتقي بنهر ريكي. ثم يمر خط الحدود على امتداد الضفة اليمنى لنهر ريكي حتى التقاء خور اويوديسي مع نهر ريكي شرق جبل جيوا... ثم يعبر نهر ريكي في خط مستقيم إلى جبل ميبي وجبل تومروغو ثم إلى جبل ابو راسين على الحدود الدولية للسودان مع افريقيا الاستوائية (جمهورية السودان، ١٩٦٠، ص٤٧٣)

ان جيب كفيا قنجي، والذي يشار اليه أحياناً بإسم حفرة النحاس وأحياناً بإسم دار فرتيت وأحياناً (في جزء منه) بإسم محميّة الردوم للمحيط الحيوي، يحتل نحو ١٢,٥٠٠ كلم مربع تم تحويله من ادارة مقاطعة غرب بحر الغزال إلى مقاطعة بُرام في مديرية دارفور؛ ويعتبر اكبر منطقة بين عدة مناطق تم تحويلها من الإدارة الجنوبية إلى الإدارة الشمالية بعد عام ١٩٥٦ (لم يتم تحويل منطقة من الشمال إلى الجنوب). وكانت حكومة الخرطوم التي اتخذت قرار تحويل الحدود من نهر إلى آخر تتّبع سابقة تاريخية: ان الانهار واحواض الانهار قد استخدمت في تعيين العديد من حدود جنوب السودان. لقد ظلت الانهار تمثل علامات مفيدة بالنسبة للمستعمرين المصريين والبريطانيين والفرنسيين والبلجيكيين أكثر مما تمثل الحدود التي تعينها اماكن

استقرار البشر لأن اي من القوى الاستعمارية لم تكن قد احتلت المنطقة بشكل فعّال في ذلك الوقت. لقد جعلت إحدى الاتفاقيات التي ابرمت عام ١٩٢٤ خط تقسيم مياه نهري النيل – الكونغو، والذي هو هضبة يتراوح ارتفاعها بين ٨٠٠ – ١٠٠٠ متر فوق سطح البحر، حدودا بين المناطق الفرنسية والبريطانية في وسط افريقيا. وما زال خط تقسيم المياه هذا يعين الحدود بين جنوب السودان وجمهورية افريقيا الوسطى، كما يشكل الحدود الغربية لجيب كفيا قنجي.

كان خط تقسيم المياه بين نهري النيل والكونغو مرجعية مفيدة لرسامي الخرائط الاجانب لكنه لم يكن مؤشرا واضحا بالنسبة للسكان المحليين. وقد اشتكى أحد الإداريين الاستعماريين في السنوات الأولى من القرن العشرين قائلا:

> من الصعب ان تجعل السكان المحليين يفهمون خطوط تقسيم المياه كما انهم يستاؤون كثيرا من نقلهم من بعض الخيران (أودية تعتبر مجاري موسمية)، التي ظلوا مستقرين فيها طوال حياتهم، وذلك فقط لأن ذلك الخور يجري في اتجاه معين (SAD/542/18/19).

وبالنسبة للسكان المحليين فان أودية الانهار التي تجري هابطة في اي جانب من خط تقسيم المياه هي اماكن استقرار وملاجيء ذات صلة بمجموعات قبائل أو مجموعات لغوية. وقد قضت العديد من هذه المجموعات القرنين التاسع عشر والعشرين في هجرة مستمرة ونزوح، لكن حينما تسأل علماء الاثنوغرافيا في العهد الاستعماري فانهم كثيرا ما يعطون اسماء لأودية الانهار هذه كأسماء اوطان لهذه المجموعات (رينغ، ١٩٦٦؛ سانتاندريا، ١٩٨١، ص٢٩)[1]

ان انهار غرب بحر الغزال هي في الغالب انهار موسمية- تتحول خلال فصل الجفاف من نوفمبر إلى مايو إلى جداول أو برك أو تجف تماما؛ وهي في الغالب تجري نحو الشمال والشمال – الشرقي عبر التربة صدئة اللون لهضبة الحجر الحديدي ببحر الغزال، وهي حزام أرض بعرض ٢٠٠ أو ٣٠٠ كيلومترا تقع في الطرف الغربي من حوض النيل.

في مناطق السافنا ببحر الغزال تدعم التربة الأسيدية للحجر الحديدي فرجات بين اشجار المهوقني والتيك والشيّة المحاطة بحشائش تجف في الصيف. وتمتد هذه الهضبة جنوبا حتى الاستوائية مكونة حدوداً ايكولوجية هامة تعبر جنوب السودان. وإلى الشرق تقع التربة الطينية للسهول الفيضانية التي تغمرها المياه المنهمرة

---

[1] انظر ايضا قائمة القبائل في SAD/815/7/27-45.

من الحجر الحديدي بشكل موسمي. ان تربة الحجر الحديدي لا تحتفظ بالمياه لكن المحاصيل الزراعية متوقعة بشكل أكبر مما هي متوقعة في السهول التي تغطيها الفيضانات حيث يعتمد السكان على قطعان الأبقار وصيد الاسماك مع قليل من الذرة الرفيعة- ان هذا الخليط من وسائل العيش، المعروف بإسم الرعي - الزراعي، مرتبط بالمجموعات النيلية، مثل الدينكا والنوير (فريق التحقيق في التنمية الجنوبية، ١٩٥٥، المجلد ١، ص٣٦، المجلد ٢، الشكل هـ ويلش، ١٩٩١، ص٤٥).

يعتبر نهر امبلاشا، الذي يقع اقصى شمال وغرب هذه الانهار التي تجري من خط تقسيم المياه بين نهري النيل - الكونغو إلى النيل، هو النهر الذي شكل الحدود الشمالية لجيب كفيا قنجي حتى عام ١٩٦٠ بالقرب من الحدود الشمالية للحجر الحديدي (SAD/815/7/2). ويلتقي نهر امبلاشا ببحر العرب/نهر كير في الردوم. وبعد نحو ٦٠٠ كيلومترا شمال الردوم فان النهر، الذي كان حينذاك يسمى بحر الغزال، يلتقي بالنيل الابيض عند بحيرة نو. وينتهي الحجر الحديدي إلى الشمال من امبلاشا وتبدأ القيزان الرملية الثابتة التي تغطي معظم دارفور (باري وويكنز، ١٩٨١، ص٣٠٨؛ عبدالله، ٢٠٠٦، ص٨٧؛ فضل، ٢٠٠٦، ص٣٦).

يدعم قوز جنوب دارفور الأراضي العشبية والشجيرات الشوكية الأصغر من تلك التي في بحر الغزال. ويتحول المشهد الطبيعي إلى مشهد رائع الخضرة في مواسم الامطار مع ان بعض الانهار الموسمية تمر عبره: التكنولوجيا الحديثة نسبيا والخاصة بإستخلاص المياه الجوفية الضحلة قد حولت القوز إلى منطقة انتاج زراعي. وعلى عكس انواع التربة الأخرى في دارفور فانه يمكن زراعتها بالمعزقة اليدوية وحدها (خدمات الصيد التقنية، ١٩٧٤؛ مورطون، ٢٠٠٥، ص٦-٩، ٥١ - ٥٢).

ان خط التماطر ١٠٠٠ ملم في القرن العشرين، وهو الخط الذي يشير إلى المناطق التي يزيد فيها منسوب الامطار عن متر واحد في العام، يمر عبر جيب كفيا قنجي. ولكن الأرض هنا تصير أكثر جفافا؛ وتوحي الأدلة بأن خط التماطر ١٠٠٠ ملمتر يندفع نحو الجنوب، كجزء من تاريخ طويل من التغير المناخي الملاحظ الذي يشكل ضغوطا على سكان دارفور المتزايدين (مورطون، ٢٠٠٥، ص١٢-١٤) وتتسبب حالات الجفاف ذات الصلة بهذا التغيير المناخي في الهجرات والحروب في هذه المنطقة، وكان لها تأثيرها أيضاً في مقاطعة راجا. وقد أوضح الفاخ ابو القاسم من محطة راجا للارصاد الجوي قائلا[٢]: "قبل عام ١٩٦٧ كانت هناك مياه في الخيران طوال العام؛

.....

[٢] مقابلة مع الفاخ ابو القاسم رئيس محطة بلدة راجا للارصاد الجوي، ١٧ مارس ٢٠١٠.

وقد أثّر الجفاف في دارفور وتشاد على راجا لكن لوجود اعشاب السافنا الغنية فيها لم يلاحظ سكانها ذلك".

نُشرت المحميات الطبيعية في المنطقة في الصحيفة الرسمية أول مرة في العهد البريطاني؛ وفي عام ١٩٨٢ أُدرجت المنطقة في محميات المحيط الحيوي لليونسكو (توسّعت المنطقة التي تشمل المحمية خلال تسعينيات القرن الماضي). وقد منع هذا الاعتراف وقوع تردي دراماتيكي في الحياة الوحشية: سجلت دراسة اجريت عام ١٩٧٧، ٢٤ نوعا من الثديّات (الحيوانات ذوات الثدي)، لكن دراسة اجريت عام ٢٠٠٣ وجدت ١١ نوعا من الفيلة والظبيان قد اختفت. ان بُعْد منطقة الجيب والهجرة التي تسببت فيها الحروب والجفاف منذ عام ١٩٧٧ قد دفعتا الناس نحو الصيد كاستراتيجية إعاشة (حسن وآخرون، ٢٠٠٥، ص ١٩–٢٠).

لحشرات المنطقة أيضاً تبعاتها على الحياة البشرية وعلى سبل كسب العيش. ويجعل انتشار ذبابة التسي تسي في غرب بحر الغزال المنطقة غير مناسبة لتربية الأبقار. ان الحدود الشمالية لانتشار ذبابة التسي تسي، التي تحمل داء المثقبيات البشري والحيواني، تمر عبر المنطقة ذات الغطاء الغابي المتنوّع. ونتيجة لذلك فان قلة من الناس يربّون الماشية على عكس شمال بحر الغزال التي تعتبر منطقة خالية من ذبابة التسي تسي حيث توجد أكبر قطعان الأبقار في السودان. ان مرض عمى نهر الجور الذي تسببه جرثومة تحملها الذبابة السوداء يوجد أيضاً، وبشكل وبائي في المنطقة: توجد في راجا أكبر معدلات للاصابة بالعمى في العالم. (مركز التحكّم في الأمراض، ١٩٩٥).

ان الأمراض المحمولة بالحشرات وخلق محمية في المنطقة قد تسببت جميعاً في نزوح السكان في العقود الأخيرة من السنوات. وقد أُخليت قرية شيريغنا في جيب كفيا قنجي في سبعينيات القرن الماضي بسبب عمى نهر الجور.[٣] كما أُجبر المقيمون على نهر امبلاشا غرب ديم بشاره على مغادرة المنطقة حينما جرى توسيع المحمية في تسعينيات القرن الماضي.[٤] ويعتبر هذا النزوح جزءاً في قصة أكبر عن الهجرة ستناقش في كل أجزاء هذا التقرير.

.....

[٣] مقابلة مع الفاخ ابو القاسم رئيس محطة الارصاد الجوي في راجا، ١٧ مارس ٢٠١٠، ومسكين موسى عبد المكرم، المدير التنفيذي، تمساح، مقاطعة راجا، ٢٠ مارس ٢٠١٠؛ انظر ايضا ستاندريا (١٩٦٤، ص ٣٢٤).

[٤] من مقتطفات من تقرير باللغة العربية عن تجارة المخدرات في محمية الردوم للمحيط الحيوي والذي يبدو ان وزارة الزراعة والثروة الحيوانية بولاية جنوب دارفور هي التي امرت باعداده في نهاية تسعينيات القرن الماضي. زود الكاتب بالتقرير احد مسئولي منظمات غير حكومية والذي هو ايضا عضو في حزب المؤتمر الوطني بالردوم.

شكلت الثروة المعدنية للاقليم، هي الأخرى، تاريخ ثقافاته المحلية؛ وللعديد من المجموعات التي تقطن المنطقة تاريخ من الصناعات الحديديّة التي امتدت حتى القرن العشرين (كومين، ١٩١١، ص٢٦٢). وتمثل صخور الحديد الخام الصغيرة المنتشرة في المنطقة ابسط الاعطيات في الطقوس الدينية التقليدية، وتشكل المعازق الحديدية جزءاً من مهر العروس، وتُدمج في طقوس الزواج. (سنتاندريا، ١٩٨٠، ص٨٣٩). وإسم المستوطنة الرئيسية في جيب كفيا قنجي هو حفرة النحاس. ومجموعة نقبونقبو، التي تمثل جزءاً من مجموعة أوسع تسمى الكريش ظلت تعيش في المنطقتين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ويطلق عليها اسم "كريش حفرة النحاس" وقد ساهمت في القوى العاملة في المناجم.

كانت المناجم تنتج النحاس حتى عشرينيات القرن العشرين. وخلال الفترة التي سبقت الاستعمار كان النحاس يُصدّر إلى الخارج ويرسل بعيدا حتى نيجيريا. (أوفاهي، ١٩٨٠، ص١٣٥). وقد اثار النحاس خيال القوى الاستعمارية فتنافست على السيطرة على جنوب السودان خلال عهود الفوضى في ثمانينيات وتسعينيات القرن التاسع عشر حينما تقدمت جيوش المهدي والجيوش البلجيكية والفرنسية عبر الجيب. وألحّت شركات الجلو – بلجيكية على المسئولين البريطانيين كي تحصل على امتيازات تنجيم وتسببت اعلام بلجيكا التي ترفرف على التلال المنخفضة شرق حدود نهري النيل والكونغو في أزمة قصيرة مع الحكومة الفرنسية قبل الانتصار البريطاني (الارشيف الوطني لوزارة الخارجية / ٧٧٦/١٠؛ سانتاندريا، ١٩٥٥، ص١٨٨). ووجدت عمليات المسح في نهاية العهد الاستعماري ان استغلال النحاس لم يكن بحجم تجاري؛ وبعد الاستقلال قدّرت مصلحة المسح الجيولوجي ان ترسبات الحديد يمكن ان تبلغ ٢٨٣٤٠٠ طن من النحاس؛ وجاء مسح باباني خلال ١٩٦٤ – ١٩٦٥ بتقديرات أكثر تواضعا، وتوصّل مسح لبرنامج التنمية التابع للامم المتحدة عام ١٩٧٣ إلى حقيقة ان عدة شركات درست المنطقة ولم تعتبرها منطقة انتاج الأمر الذي يمثل مؤشراً لامكانياتها الاقتصادية الهامشية (برنامج الامم المتحدة للتنمية، ١٩٧٣، ص١٠١).

ومع ذلك فان شركة بيليتون للتعدين متعددة الجنسيات اجرت عمليات مسح في المنطقة خلال الفترة الممتدة من سبعينيات القرن العشرين وحتى عام ١٩٩٩ (بيليتون، PLC، ١٩٩٩، ص٤٤). وعلق احد عمال المناجم من الذين عملوا في كفيا قنجي في مطلع ثمانينيات القرن الماضي قائلا:

> "عملتُ لمدة عامين في المناجم في عملية فصل المعادن عن التراب. عملت مع شركة زين لاستخلاص الذهب. كان هناك ذهب. لكن ذلك توقف الآن مع تصاعد المشاكل. كان هناك نحاس وفضة وذهب

فقط. جاءت شركة بيليتون – كان هناك ١٦ بابوراً (ماكينة) تعمل – لاستخلاص النحاس والفضة والذهب. والآن لهم بابور واحد وما زالوا يعملون"[٥]

من الصعب العثور على وثائق متاحة علناً تقدّم أدلة على وجود فضة أو نفط أو يورانيوم أو بتروليوم. وقد تم الكشف عن كميات محدودة من الذهب في انهار غرب راجا خلال الفترة الاستعمارية؛ وتشير مصادر اخرى إلى وجود ترسبات يورانيوم (SAD/815/7/5). ويقع الجيب (كفيا قنجي) إلى الجنوب من مربع ٦ اقصى اماكن امتيازات النفط غربا. ويعتقد بعض من أجريت معهم مقابلات انه قد يكون هناك نفط أيضاً في المنطقة.

ان كفيا قنجي مثلها كمثل معظم مناطق الحدود بين الشمال والجنوب تعتبر غنية بالموارد وموجودة في مواقع حساسة ولكن على خلاف غيرها من مناطق الحدود الأخرى فانها تكاد تكون خالية من السكان تقريبا. وذلك جزئيا بسبب محاولة الإدارة الاستعمارية خلق منطقة خالية من السكان بين شمال وجنوب السودان. الشيء الذي سيتم تناوله في الفصل الخامس. وتتفاوت تقديرات عدد السكان خلال فترة التسعينيات بين ٥٠٠٠–١٥٠٠٠ شخص (حسن وآخرون، ٢٠٠٥، ص١٣)[٦]. ان مسألتي الإخلاء من السكان وتواجد الثروات في المنطقة تقعان في قلب حسابات النخب في جوبا والخرطوم للمطالبة بان تتفق وتقوم بترسيم الحدود لاستكمال تنفيذ اتفاقية السلام الشامل. لكن هذه الثروة المعدنية توجد في منطقة ايكيولوجيات متعددة ومتداخلة ساعدت على تشكيل الثقافات المحلية المتعددة والهويات والافكار الخاصة بالاثنية. وكانت المنطقة الخالية من السكان تمثل محاولة للتخلص من هذا التداخل الثقافي لإقامة عازل دائم بين ثقافات دارفور وثقافات بحر الغزال. وقد استمر العازل لمدة ١٦ عاما فقط لكن ذاكرة حدود تقسيم الثقافات واللغات ما زالت ذات مغزى اليوم فيما يتهيأ السودان لاستفتاء على وحدة شعب متعدد الثقافات.

.....

٥ مقابلة مع عامل منجم متقاعد أُخفى اسمه ومكان المقابلة، ابريل ٢٠١٠.

٦ الرقم ٥٠٠٠ استخلص من نفس التقرير باللغة العربية حول تجارة المخدرات في الردوم في محمية الردوم للغلاف الحيوي. انظر الحاشية السفلية ٤.

٣ الحدود بين الدول والكيانات التي ليست دول: دارفور وبحر الغزال في القرنين الثامن والتاسع عشر

خلال معظم المئتي عاما السابقة ظلت المشاريع الأساسية للدولة في بحر الغزال تتلخص في ادخال المنطقة في الانظمة الاقتصادية والسياسية العالمية من خلال الحروب والنزوح والتجارة الضارة. وفي القرن التاسع عشر نفّذت دول مختلفة هذه المشاريع لكن العديد من عمليات التأريخ الملتوية ركزت على العلاقة بين بحر الغزال وسلطنة الفور (أو كيرا) التي حكمت دارفور من القرن السابع عشر وحتى القرن العشرين. وكانت غارات الاسترقاق في بحر الغزال حاسمة في قدرتها على الانخراط في التجارة الدولية، لكن من المرجَّح ان غاراتها لم تذهب بعيداً في المنطقة (أوفاهي، ١٩٨٠، ص١٣٧). والى الجنوب من ذلك، فيما يعرف اليوم بالاستوائية، وجمهورية الكونغو الديموقراطية وجمهورية افريقيا الوسطى، تأسست دول الزاندي في القرنين الثامن والتاسع عشر واستخدمت أيضاً مؤسسات الرق والمؤسسات الشبيهة بالرق لدمج السكان المحليين. ولكن لم يستطع اي نظام ان يحتل بحر الغزال بصورة دائمة حتى منتصف القرن التاسع عشر: الدولة التركية – المصرية الاستعمارية التي قامت في الخرطوم. منح احتلال التركية للمنطقة ترخيصا لمقاولين خاصين للقيام بغارات للاسترقاق. وقد جعل هؤلاء المقاولون من بحر الغزال مركزاً لنظام جديد من عمليات الاغارة والأسر التي حوّلت الاوضاع في دارفور وافريقيا الوسطى.

على امتداد هذه الدول كانت هناك جماعات تعيش دون ان تكون خاضعة لسلطة دولة، أو تعيش على أطراف الدولة. وكانت العلاقة بين هذه الدول وسكان الكيانات التي ليست بدول تتمركز حول حاجة الدول للعمالة ولسكان يَجْبي منهم الضرائب. وقد جنّدت الدولة طاقات للعمل من المناطق غير الخاضعة للحكم عن طريق الاختطاف أو بفرض ضرائب تتمثل في تزويدها بأرقاء من الموالين. وتستخدم الدولة الأرقاء في عدة مناحي: فهم يُصدَّرون ويشكلون قاعدة لتجارة دولية، ويستخدم عملهم في مشاريع كبيرة مثل عمل مدرجات في جبل مرة بوسط دارفور؛ وقد قاموا باعمال صعبة أو غير مشرّفة تسهل حياة الموسرين وتساعد في تدعيم الهرميّة

الاجتماعية التي يمكن ان تستخدم لتوضيح السلطة الإرغامية للدولة المركزية. ان وجود مناطق غير تابعة للحكومة في أطراف الدولة طرحت على السكان امكانية تجنب نظامها الارغامي والهرمي بالسعي لأسلوب معيشة الكفاف على الأراضي بعد قطع الاشجار وحرقها (زراعة القطع والحرق المتنقلة) في الغابات جنوب انهار امبلاشا/ بحر العرب/ نهر كير. لكن اسلوب الاعاشة البديل الحر هذا لم يكن خاليا من المخاطر طالما ان الدولة كانت لا تزال تحاول القبض على الفارين من سلطتها واسترقاقهم. وفي عهد سلطنة الفور كان الناس الذين يتجنّبون الدولة بهذه الطريقة يسمون الفرتيت. وكانت توجد مجموعات شبيهة بهذه المجموعات في الاستوائية وفيما يعرف اليوم بجمهورية افريقيا الوسطى (أوفاهي، ١٩٨٢).

ان الحدود بين الدولة والكيانات التي ليست بدول، وبين الرق والاعاشة، سيجري استكشافها في هذا الفصل والفصل الذي يليه. فقد كانت الحدود بين الدولة وتلك الكيانات لوقت طويل الحدود الاجتماعية الأكثر أهمية والتي تخيّم فوق الحدود الايكولوجية العديدة التي وصفت في الفصول السابقة من الكتاب. ويوفر وجودها في نهاية المطاف تبريراً للقرار الاستعماري بخلق منطقة خالية من السكان على امتداد الحدود، وهي سياسة كانت تهدف جزئيا لقمع تجارة الرقيق.

ان الفرار إلى نظام الاعاشة البديل بالقطع والحرق لم يكن الوسيلة الوحيدة لتجنب الدولة: فالرعي يقدم بديلا آخر. وفي الفترة موضوع الدراسة، كما في الوقت الحاضر، عاشت مجتمعات متنقلة، من النيليين الذين يربون الأبقار، في السهول الطينية لشرق بحر الغزال التي يصعب الوصول اليها، واحتلت مجموعات اخرى من الذين يربون الأبقار أراضي جنوب السافنا في دارفور التي يسهل الوصول اليها. ان جميع بقارة دارفور تقريبا اليوم هم من المتحدثين باللغة العربية، ومعظمهم له رواية عن اصل متميّز يربطه باحد المشاهير الدينيين أو السياسيين من الامبراطوريات الإسلامية الأولى في الشرق الاوسط أو تونس أو الاندلس (عليّو، ٢٠٠٨، ص١). ان رعاة الأبقار المتحدثين باللغة العربية انتشروا في نهاية المطاف عبر الحزام الواقع بين خطي الطول ١٠-١٣ بين نيجيريا الحالية وبحيرة تشاد والنيل الابيض. وفي دارفور يتواجد هؤلاء شمال بحر العرب / نهر كير في منطقة تقل سلطة الدولة فيها اذ تكون المنطقة مقطوعة عن غيرها خلال موسم الامطار (محمود، ٢٠٠٦، ص ٤٣-٤٨؛ عليو، ٢٠٠٨، ص١). وفي السودان يسمى رعاة الأبقار هؤلاء بالبقارة. وفي اقطار منطقة الساحل الأخرى يطلق عليهم أحياناً إسم العرب.

في القرن العشرين ساهمت الشاحنات وطائرات الهيلوكوبتر بشكل درامي في اتساع الرقعة التي تستطيع سلطة الدولة ان تصلها محولة الطريقة التي يشارك فيها سكان هذه المنطقة أو يتجنبون المشاركة في حكمها. ولأجل فهم حجم

هذه التغيرات، والتي ظلت أساسية فيما يتعلق بحروب وهجرات القرنين العشرين والواحد وعشرين، فان من المفيد النظر إلى انظمة الدولة في القرن التاسع عشر وما قبله، وفي بحر الغزال ودارفور، وهذه كانت: سلطنة دارفور، دول الزاندي، الدولة التركية – المصرية (اول دولة استعمارية في السودان) والدولة المهدية. وتقدم الملخصات التالية لكل نظام أيضاً اشارة موجزة لدول في جمهورية افريقيا الوسطى الحالية كان تاريخها متصل بشكل وثيق ببحر الغزال.

سلطنة الفور (من القرن السابع عشر وحتى عام ١٩١٦)

يشكل شعب دارفور مجموعة لغوية تكمن روايات اصلها في الأراضي الخصبة المرتفعة في جبل مرة وهي الجزء الرئيسي لوسط دارفور. وقد توسعوا جنوبا بدمجهم، على الارجح، لمجموعات اخرى، وهي عملية تفاقمت بعد استقلال سلطنة دارفور (كيرا). وبدأت سلطنة دارفور في القرن السابع عشر: وهي سلطنة من أب عربي وأم من الفور اخرجت سلطانا قديما وتبنت الإسلام. وقصة هذا الاب، التي حوّلت مجتمعا افريقيا باستغلالها لأنظمته الاموية، ما زالت تستخدم لتفسير التطور التاريخي لسودان اليوم.

في ذلك الوقت كانت الدول عبر منطقة الساحل الافريقية (ŞAHEL) من شمال وادي النيل وحتى نيجيريا قد تبنت مرجعية اسلامية مشابهة شكلت علاقتها بالمجموعات التابعة التي دُمجت جزئيا والواقعة إلى الجنوب: مجموعات البقارة والمجموعات الفارة إلى وراء الحدود والمجتمعات المفتقرة للدولة في الداخل البعيد. وقد أُدخلت هذه الدول والمجموعات التي تعيش على أطرافها الجنوبية في اقتصاد الشرق الاوسط، ولعب الرق دوراً مركزياً في ذلك. وقد جلبت التجارة مع الاصقاع البعيدة في الرقيق وسلع الغابات إلى سلطنة دارفور الأسلحة النارية والسلع الكمالية من المدن العربية في الشرق الاوسط. وساعدت مجموعات البقارة في تنظيم هذه التجارة فشاركت في الحملات التي تمولها الدولة لاختطاف ارقاء أو فرض الضرائب عليهم لحمايتهم من هجمات المجموعات التابعة التي تُرهبهم. وقد استخدموا أيضاً الأراضي الجنوبية النائية لرعي حيواناتهم أو لتجنب سلطة الدولة. وقد تكون بعض المجتمعات الصغيرة جنوب حزام البقارة قد عاشت هناك قبل تكوين دول القرن السابع عشر. وينحدر العديد من سكان بحر الغزال وشمال شرق حوض الكونغو من المجرمين الفارين أو الأرقاء الهاربين أو المنشقين أو أعضاء الأنظمة السابقة لسلطنة الفور في دارفور الذين دُفعوا للتحرك جنوبا بسبب السياسات أو الضرائب (أوفاهي، ١٩٨٠، ص٢٩–٣٠، ٧٣).

دول الزاندي (منتصف القرن الثامن عشر وحتى ١٩٠٠)

كانت شبكة من دول الزاندي، والتي تقود هياكلها تقريبا نخب حاكمة تعرف بإسم افوجورا، تسكن المناطق التي يطلق عليها اليوم جمهورية افريقيا الوسطى وجمهورية الكونغو الديموقراطية. وقد كانوا جزءاً من منطقة البحيرات الكبرى أكثر مما هم جزءاً من منطقة الساحل. وتختلف ممارسات الدول بشكل كبير عن ممارسات السلطنات في الشمال. وفي حوض النيل استعمر بيت الافنجورا الحاكم مناطق الاستوائية وبحر الغزال بواسطة الزاندي – مبومو –، سكان نهر مبومو فيما يعرف اليوم بجمهورية افريقيا الوسطى. وقد هاجروا شرقا في القرن الثامن عشر فاحتلوا مساحات شاسعة على جانبي الحد الفاصل بين نهري النيل والكونغو. ان هذا المزيج من المجموعات المهاجرة والمحتلة، تحت انظمة عسكرية وقضائية منظمة بشكل مركزي، قد شكّلت شعب الزاندي المعروف اليوم. وسيعيش المستوطنون من مبومو والنخب الشاغلة للوظائف مع المجموعات التي انصهرت دافعين بهم إلى انتصارات جديدة وغارات استعباد جديدة. وكان هذا الانصهار جزئيا: في منتصف القرن العشرين تحدث من يسمون انفسهم بالزاندي لغات من كل عائلات اللغات الافريقية الكبرى المختلفة (ايفانز- بريتشارد، ١٩٦٣، الصفحات ١٣٤-١٣٥؛ ١٩٧١، الصفحات ٢٦٨ – ٢٧١).

وفي بحر الغزال دمجت دولة الزاندي، مثلما فعلت سلطنة الفور، شعوب الكيانات التي ليست بدول في المناطق الداخلية في نظامها الجديد من خلال الاسترقاق. وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فيما كانت المنطقة قد صارت أكثر اتصالا باسواق الشرق الاوسط وأكثر انفتاحا على التعليم الديني العالمي، بدأت بعض الدول في استخدام التفسيرات الإسلامية لتبرير التوسع في تجارة الرق: كانت شعوب المناطق الداخلية تُعتبر شعوباً "قابلة للاسترقاق" لأن أفرادها غير مسلمين. ورفض بعض المراقبين المسلمين المعاصرين لتلك الفترة، مثل محمد بن عمر التونسي (التونسي) هذا الاستخدام لتعاليم الإسلام. وقد عاش التونسي في سلطنات دارفور وودّاي في مطلع القرن التاسع عشر؛ ولاحظ ان الاسترقاق عن طريق الاختطاف أو فرض الضرائب دون تقديم سبل الهداية للإسلام أو الاتفاق على العيش كتابعين مسالمين في دولة اسلامية يتناقض مع القوانين الإسلامية (التونسي، استشهد به في كليرانس – سميث، ٢٠٠٨، ص١٢) لكن فكرة "القابلية للاسترقاق" لغير المسلمين أعطى الرق تشكيلة مستقرة من المعاني الثقافيّة ما زال صداها يتردد حتى اليوم في النقاشات حول علاقات الحدود.

الدولة الاستعمارية الأولى: التركية (١٨٢١ – ١٩٨٥)

في عام ١٨٢١ احتل جيش من مصر العثمانية السودان. وكانت أهداف الجيش الأساسية هي الحصول على الذهب وعلى الرقيق الذين يحتاج لهم كمجندين في الجيش المصري الذي تم تحديثه كي يخدم الأهداف التوسعية لحاكم مصر محمد علي. وقد ساهمت التركية، كما يسمى نظامها في السودان، في إحداث تحول في انظمة الدولة للرق والجيش والتجارة. وفي خمسينيات القرن التاسع عشر سمح النظام الجديد لتجار سودانيين وشرق أوسطيين وأوربيين بالاستيلاء على شركة احتكار الدولة للعاج التي كانت قد أسستها في الجنوب، لكن بحلول عام ١٨٦٠ تحول معظم التجار إلى تجارة الرقيق المربحة والتي كان مركزها بحر الغزال (غراي، ١٩٦١، ص٢١، ٣٧؛ قيسي، ١٨٩٢، ص١). وقد كان المغيرون من دارفور في السابق يأتون إلى المنطقة في غارات في فصل الجفاف لكن تُجار التركية انشأوا قلاعا أو زرائب دائمة يصل عدد من يقيم فيها من العاملين المسلحين الآلاف. وقد سعى تُجار الرقيق لكسب دعم القوانين الإسلامية لنشاطاتهم، بل انه حتى تجار الرقيق المسيحيين كانوا يرفعون رايات عليها آيات تحذير قرآنية بالجهاد أو الحرب الدينية العقابية (يعتبر الجهاد عنصرا أساسيا في تبرير الرق في القوانين الإسلامية مع ان جميع الهيئات المختصة تقريبا اليوم ترفض التبرير القانوني النفعي لمالكي الرقيق) (ماير، ١٩٨٦، ص١١٥).

كانت الجيوش الخاصة لمقاولي التركية قد تكوّنت من مجندين من الرقيق المحليين مع فارين من الجيش المصري ومزارعين من وادي النيل الشمالي أفقرتهم الضرائب الهائلة التي فرضتها عليهم الدولة الاستعمارية. وقد تعلم الأرقاء – الجنود استعمال الاسلحة الحديثة والاستراتيجيات العسكرية الحديثة اثناء قتالهم إلى جانب مسترقيهم الشماليين؛ وساهمت مهاراتهم الجديدة في تغيير السودان تماما وبشكل سريع.

أضعفت التحولات الاقتصادية والعسكرية في بحر الغزال سلطنة الفور في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وقد أُجبرت سلطنة الفور على ارتجال نظام اداري وقبلي جديد على حدودها الجنوبية المضطربة التي فقدت قوتها بسبب عقود من سنوات الحرب بين السلطنة ومجموعات البقارة. (أوفاهي، ١٩٨٠، ص ١٢، ٤٢، ٩٨). ومنذ ستينيات القرن التاسع عشر صار نظام الرق في بحر الغزال يتعرض للضغوط من الاوربيين (وبعض المصريين) المطالبين بالغاء الرق، إلى جانب القوى الاوربية التي تسعى لايجاد شرعية لتدخلها في افريقيا (باير، ١٩٦٩، ص١٨٨). بدأت مصر في قمع عمليات نقل المختطفين على النيل الابيض – الذي كان حتى ذلك الحين طريق

التجارة الأساسي للشمال- وعوضا عن ذلك سعى تجّار الرقيق من بحر الغزال إلى التفاوض حول طرق بديلة تقود إلى اسواق البحر الابيض المتوسط بقيادة البقارة في دارفور الذين كانوا هم انفسهم يعيشون تحت ضغوط من سلطنة الفور ويبحثون عن المراعي وعن مكان لهم في النظام العبودي لبحر الغزال. وكان انهيار احدى اتفاقيات طرق التجارة عام ١٨٧٤ دافعا لغزو دارفور بواسطة الزبير باشا رحمة والذي كان من اقوى مُلاك الرقيق وأكثرهم طموحا، وقد سميت باسمه مستوطنة ديم زبير (ثيوبولد، ١٩٦٥، ص٢١). وقد هزم جيش الزبير، المكوّن من وادي النيل وبحر الغزال، جيوش البقارة والفور وأدخل دارفور في سودان التركية (كورديل، ١٩٨٥، ص١٨). وقد ادى احتلال الزبير لدارفور إلى تزويده بسلطات هائلة فقرّر نظام التركية وبشكل سريع ان الزبير يمثل خطراً كبيراً، فأمرت الحكومة في القاهرة الا يتدخل في شئون الدولة، وفي عام ١٨٧٥ حينما ذهب الزبير إلى القاهرة لشرح قضيته للسلطات تم اعتقاله (جاكسون، ١٩٣٢، ص٧٧-٧٨). وظل ابنه واتباعه في السودان حيث هزمهم روملو قيسي الحاكم التركي لبحر الغزال عام ١٨٧٩. وقد حكم قيسي، وخلفه من بعده، بحر الغزال خمس سنوات فقط قبل ان تجتاح الاضطرابات العنيفة التركية وتقتلعها.

المهدية (١٨٨٢ - ١٨٨٥)

ان المهدي السوداني، محمد احمد، القائد الديني والسياسي الذي قاد مقاومة الحكم التركي - المصري في السودان في أواخر القرن التاسع عشر، قد اعلن عن مهديته عام ١٨٨٢. وقد أطلِق على الثورة والنظام الذي انشأه محمد أحمد المهدي إسم المهدية. والمهدي يعني (الذي حصل على الهداية الالهية)، وهي شخصية ذُكرت في بعض احاديث النبي محمد (ص) وهي ذات صلة بنهاية الدنيا. وقد اثارت هذه التعاليم جدلاً وثورات في مختلف عصور وطوائف وأقاليم العالم الإسلامي. وفي السودان استطاع محمد احمد المهدي حفز تطلعات الجنود - الأرقاء الساخطين، والمزارعين والرعاة الرازحين تحت عبء الضرائب الهائلة، والبشر المتحولين إلى الدين بعد ٦٠ عاما من العنف الاقتصادي والتحول الاجتماعي. وبمثل هؤلاء المناصرين قاد محمد احمد المهدي جيشاً (يضم العديد من قوات البقارة وبحر الغزال) واستولى على الخرطوم عام ١٨٨٥. وتوفى المهدي بعد ٦ شهور من استيلاء قواته على الخرطوم. أما خليفته، الخليفة عبدالله التعايشي، فانه كان من قبيلة التعايشة احدى قبائل البقارة التي تقيم على الحدود بين دارفور وبحر الغزال. وكان في قلب الثورة وفي مركز التحكّم في نظام الدولة المنبثق عنها- المجموعتين الحدوديتين العسكريّتين

الشكل رقم (١):
العدد الرسمي للسكان في مقاطعة راجا

السنة	السكان	المصدر
٢٠٠٨	٥٤,٢٣٠	تعداد سكاني
١٩٩٩	٦٤,٦٥٠	تقرير مقر مقاطعة راجا
١٩٨٣	٤٨,٢٨٩	تعداد سكاني
١٩٥٦	٣٥,٥٢٦	تعداد سكاني

المصدر: حكومة السودان (١٩٥٧)؛ جمهورية السودان الديمقراطية (١٩٨٣)؛ بيانات الانتقال والتعافي في السودان (٢٠٠٣، ص٣)؛ مركز جنوب السودان للاحصاء السكاني

الشكل رقم (٢):
سكان بحر الغزال والولايات المجاورة في التعداد السكاني لعام ٢٠٠٨

الولاية	ايكولوجي	عدد السكان
غرب بحر الغزال	هضبة حجر الحديد	٣٣٣,٤٣١
البحيرات	الفيضان	٦٩٥,٧٣٠
شمال بحر الغزال	الفيضان	٧٢٠,٨٩٨
واراب	الفيضان	٩٧٢,٩٢٨
جنوب دارفور	في الغالب قوز قرب الحدود	٤,٠٩٣,٥٩٤

المصدر: الاحصاء السكاني لأغراض الانتخابات الرئاسية في دارفور (٢٠٠٩، ص٧)؛ لجنوب السودان في مركز جنوب السودان للاحصاء والتقييم (٢٠٠٩، ص٢، ٥).

الجديديتين القادمتين من الغرب- المجموعة التي تتحدّد بالاثنيّة مثل البقارة، وتلك التي تُعرَّف بالاسترقاق، مثل البازنجر الذين يشكلون جيوش الرقيق. وقد جنّد الخليفة جيوشا من المجموعات التي كانت في السابق خارج كيان الدول من مجموعات بحر الغزال، وأجبر كل السكان من البقارة على الانتقال إلى ام درمان حيث ما زالت معظم الأحياء البازخة فيها تحمل أسماء قوات الأمن من ذلك العصر البعيد.

افريقيا الوسطى وقدوم القوى الاستعمارية الأوربية (١٨٧٨ – ١٩٠٠)

تربط نهاية عهد التركية منطقة بحر الغزال بأزمات جديدة في حوض نهر الكونغو. وبعد نصر قيسي عام ١٨٧٨ فر احد ضباط الزبير باشا رحمة إسمه رابح فضل الله عبر خط تقسيم المياه بين نهري النيل – الكونغو حيث وفّرت نهاية نظام الرق في بحر الغزال وقدوم المستعمرين الفرنسيين من الغرب لفترة وجيزة فرصا للمغامرين وللدول التابعة. واجتاح رابح دار الكوتي ودار روجا وهما اثنتان من المناطق التابعة لسلطنة ودّاي (التي تقع في جمهورية افريقيا الوسطى الحالية) ووضع محمد السنوسي حاكما على دار الكوتي عام ١٨٩٠. وقد استخدما معا البنادق التي تم الاستيلاء عليها من الفرنسيين لتأسيس نظام الاسلحة النارية والزريبة لغارات الاسترقاق في بحر الغزال في منطقة كان فيها ممارسو الاسترقاق في السابق يتبعون نظام غارات سلطنتي ودّاي ودارفور. وقد أدى هذا التحول إلى عدّة عقود من سنوات الحرب والنزوح التي تسببت في وقوع خسائر ضخمة في الارواح ودفعت بعدد كبير من السكان إلى الأسر أو إلى اللجوء إلى غرب بحر الغزال (كورديل، ١٩٨٥، ص٢٩). لقد عبرت جيوش المهدية والجيوش الفرنسية والبلجيكية بحر الغزال دون فرض سيطرتها الدائمة على المنطقة بينما كانت جيوش الزاندي تغير من الجنوب لأجل الاسترقاق. وقد التحق بسكان مناطق الحدود في جنوب دارفور عدد من سكان المناطق الداخلية في افريقيا الوسطى: من بقايا مجموعات بعثرها نوع جديد من الحرب ونجوا من خلال الفرار والعيش داخل الادغال والتبعيّة والخضوع.

تغلغل الدولة والتغيرات الديموغرافية في بحر الغزال وافريقيا الوسطى في القرن التاسع عشر.

من مناحي عديدة لم تستعد بحر الغزال بعد كامل عافيتها مما حل بها في القرن التاسع عشر المشحون بنزاعه الطويل. لقد خلقت غارات الاسترقاق والاجتياحات الاستعمارية عمليات نزوح هائلة وسط السكان جعلت المنطقة ما تزال حتى اليوم بلا سكان تقريبا. ان مقاطعة راجا، الإسم الحالي لأقصى المقاطعات الغربية بولاية

بحر الغزال، هي أكبر المقاطعات مساحة في جنوب السودان والمقاطعة الأقل كثافة سكانية فيه، اذ يبلغ عدد سكانها ٥٤٣٢٠ وفقا للاحصاء السكاني لعام ٢٠٠٨. ان احصاء ٢٠٠٨ مثير للجدل اذ قيل عنه انه يقلّل من عدد سكان الدوائر التي يرجح انها ستعارض حزب المؤتمر الوطني في دارفور وجنوب السودان (توماس، ٢٠١٠، ص١٣). لكن عمليات احصاء سابقة (والتي يرجح الا تكون أكثر دقة من احصاء عام ٢٠٠٨) اظهرت ان راجا ذات كثافة سكانية منخفضة منذ منتصف القرن العشرين. وكانت تقديرات عدد السكان خلال الحقبة الاستعمارية تستند إلى عدد دافعي الضرائب، وكان دافعو الضرائب يُنظّمون عن طريق القبيلة. وقد تراجع عدد دافعي الضرائب بالنسبة لمعظم قبائل راجا خلال الفترة ١٩٢٧ – ١٩٥٢ (سنتاندريا، ١٩٦٤، ص ٣٢١ – ٣٢٩). ان كل هضبة الحجر الحديدي لغرب بحر الغزال – وطن الفرتيت – تبدو فارغة تقريبا على الخريطة السكانية. لكن المناطق المحيطة بها – سهول الفيضانات إلى الشرق ومناطق القوز إلى الشمال – تتمتع بكثافة سكانية أكبر.

ان جزءاً من السبب في انخفاض عدد سكان مناطق الفرتيت مقارنة بالمناطق الأخرى يكمن في التربة والهايدرولوجيا – هضبة الحجر الحديدي لا تحتفظ بالماء وذات تربة فقيرة على خلاف القوز وسهول الفيضانات. لكن هذه الحقيقة وحدها لا تفسر وجود هذا العدد الصغير من السكان في مكان بهذا الحجم الكبير. وتعكس الوتيرة الديموغرافية تاريخا من حالات العنف وبيانات سكانية مقارنة بمناطق أخرى فيما يعرف اليوم بجمهورية افريقيا الوسطى حيث تعود اصول العديد من مجموعات سكان راجا، ما يؤيد هذا الماضي. وكان عدد سكان هونت موبومو التي تغطي منطقة تبلغ مساحتها ٥٥٥٣٠ كيلو مترا مربعا ٣٣٠١٩ نسمة عام ١٩٧٥ لكن العدد تقلص إلى ٢٧٣٨٧ نسمة فقط عام ١٩٨٥؛ اما هوتي كوتو وفاكاجا، المنطقتان الاخريتان الحدوديتان اللتان تورطتا في نفس حروب القرنين التاسع عشر والعشرين، فلهما حجم سكاني وكثافة سكانية متشابهة (جمهورية افريقيا الوسطى، ١٩٧٨، ص٢٣؛ جمهورية افريقيا الوسطى، ١٩٨٩، ص٩٦).

دُمج سكان راجا وفاكاجا في نظام الاقتصاد العالمي خلال الفترة التي يغطيها هذا الفصل. وجاء الدمج بكلفة انسانية كبيرة. وقد قَدّر رومولو قيسي حاكم الإدارة التركية قبل الاخير في بحر الغزال انه خلال ١٤ عاما من الاسترقاق تم اخذ ٤٠٠٠٠٠ شخص من جنوب السودان (وأسماه "سودان النيل") و"أن آلاف قد تعرضوا لمذابح دفاعا عن عائلاتهم" (قيسي، ١٨٩٢، ص٢). ونقل رابح فضل الله، الذي كان ضابطا مع الزبير، ذلك النوع من الحرب إلى دار الكوتي فيما تسمى الآن بجمهورية افريقيا الوسطى أباد القسم الاعظم من مجموعات مثل اليولو والكريش وسارا وباندا – الذين عاش العديد منهم في اماكن مثل فاجاكا وهوتي كوتو وفرّوا إلى

راجا حيث يعيش العديد منهم الآن. ان عنف فرنسا الذي مارسته لاخضاع المنطقة، في السنوات الأولى من القرن العشرين، أدى إلى المزيد من الوفيات. وقدّر أيوب بالامون العالم في مجال السكان، بانه وخلال الفترة ١٩٠٦ – ١٩٢٥ أُجبر ما بين ٣ – ٤ مليون شخص على التحرك بين افريقيا الاستوائية الفرنسية وافريقيا الاستوائية البلجيكية، وان نصف هؤلاء قد لقوا حتفهم في الطريق. وقد تواصلت التهدئة الفرنسية حتى عام ١٩٢٣، وبلغ عدد من قتل حتى ذلك التاريخ (١٩٢٣) نحو نصف العدد الكلي للسكان (بالامون، ١٩٨١، ص٢٠٨ – ٢٠٩). ان الرق والعمل القسري والفظاعات الروتينية لتلك الأيام قد روّج لها الروائي الفرنسي الحائز على جائزة نوبل اندريه جيد وآخرون (جيد، ١٩٢٧، كلاك، ٢٠٠٥، ص ٢٨).

تعيش قبائل باندا على جانبي خط تقسيم المياه بين نهري النيل – الكونغو، وقد فر البعض بسبب عمليات التهدئة الفرنسية لراجا (سانتاندريا، ١٩٦٤، ص٢٤٧ – ٢٤٨). واليوم يذكرهم غير المنحدرين من قبائل باندا مازحين بما يزعم من تاريخ لهم في أكل لحوم البشر.[٧] وتشير أدلة وثائقية بأن أكل لحوم البشر قد فرض على السكان المحليين بسبب العنف الشديد للنظام الاستعماري الذي أدى ما فرضه من حصاد قسري للمطاط والعتالة الاجبارية إلى تقويض قدرة الناس على البقاء. وقد اوضح قسيس فرنسي الآثار الاجتماعية للعمل القسري الفرنسي في مطلع القرن العشرين بقوله:

> ان الأطفال المرضى الصغار الذين تُركوا في القرى ماتوا هناك من الجوع. وقد زرت عدة مرات منطقة قام فيها من كانوا مرضى بأفضل ما يستطيعون لإطعام الأطفال المرضى؛ وهناك رأيت قبورا مفتوحة أخذت منها الجثث لتقدم كطعام. ونتيجة لهذا الوضع فان بعض القرى تحوّلت إلى خرائب واختفت المزارع وانحدر السكان إلى يأس وبؤس مفرطين. ولم يمر أي شعب اطلاقا بمثل هذه الفظائع في حياته، حتى خلال اسوأ فترات الغزو العربي (ر. بي – دايجري، مقتطف في سوريتكانيل، ١٩٧١، ص٣٣).

استخدم المستعمرون البريطانيون والبلجيكيون أيضاً العمل القسري وحصاد القطن الاجباري للسيطرة واستخراج الثروات عن طريق السكان الخاضعين لحكمهم (رغم ان الإداريين البريطانيين لم يستخدموا مصطلح "عمل اجباري" لوصف انظمتهم الخاصة بالعمل الضريبي وعمل السجون الذي يقوم به المتخلفون عن دفع الضرائب) (رينج، ١٩٦٦، ص٨٧؛ سوريت كانيل، ١٩٧١، ص٣١). ويتحاشى سكان

.....

[٧] مقابلة مع سكان من راجا، ٧ مارس ٢٠١٠.

راجا في بعض الأحيان الولاية القضائية بالفرار منها إلى ولاية أخرى ثم يعودون مرة أخرى إلى الأولى. وذلك كرد فعل تجاه ادخال سياسات إكراهية؛ فمثلاً عبر شعب يولو الحدود بسبب ضغوط نظام دار الكوتي؛ وعادوا إلى المناطق التي تخضع للسيطرة الفرنسية حينما حاول البريطانيون نقلهم بشكل قسري من ديم زبير عام ١٩١٢ ثم عادوا ثانية إلى مقاطعة راجا نحو عام ١٩٢٢ (SAD/815/7/45؛ سانتاندريا، ١٩٦٤، ص٢٣٢).

ان تكرار وقوع الأزمة والاهمال يعتبر ملمحا من ملامح تاريخ الهامش. وفي أواخر القرن التاسع عشر فان حدود بحر الغزال – دارفور، التي صارت الآن قطاعا فارغا يشمل ٢١٠٠ كيلو مترا بين الشمال والجنوب، هي المكان الذي أعاد فيه الهامش بشكل عنيف تعريف مركز السودان. فالنظام الذي اقامه هناك حطم في نهاية المطاف استقلال سلطنة دارفور ووفّر القاعدة العسكرية للثورة المهدية.

لكن هذه التحولات اقتضت تكلفة باهظة من حيث الارواح. وتشير الأدلة الديموغرافية إلى ان مناطق الفرتيت دفعت ثمنا أعلى مما دفعته غيرها من المجموعات التي مرت بنفس التاريخ فأفرغت مناطقها. ويكمن جزءٌ من السبب في هذا الفراغ في سياسات القرن التاسع عشر الخاصة بالعمل الاكراهي القسري والنزوح الذي سببته الحرب. وتواصلت هذه السياسات في القرن العشرين دافعة السكان من راجا نحو المدن والبلدان والاسواق في بحر الغزال والمناطق الأخرى من السودان. ويبحث الفصل التالي بشكل لصيق عمن كانوا هم هؤلاء الفرتيت على وجه التحديد.

٤ ان تكون من الفرتيت: البشر والمجتمعات في غرب بحر الغزال وجيب كفيا قنجي

اهل دار فرتيت أرقاء ومع ذلك يسيرون احرارا.[٨]

كانت كلمة "فرتيت" في دارفور قبل الحقبة الاستعمارية تعني بشرا ذوي مكانة منخفضة لكنهم يتمتعون بامكانيات يُحسدون عليها من الحرية من تحكم الدولة فيهم ومن اكتفائهم الذاتي – وقد غيّرت حروب القرن التاسع عشر هذا المعنى فصار المصطلح يشير إلى تنوّع بشري من السكان الذين فروا من دارفور ومن حروب في وسط افريقيا إلى بحر الغزال. ويحاول هذا الفصل شرح التنوّع بطرح مناهج مختلفة لتعريف ماذا يعني ان تكون من الفرتيت. ان اللغات وتشعبات تاريخ الرق والانتماءات السياسية والدينية والممارسات الثقافية، كلها تصنيفات توضح الاختلافات بين مجموعات الفرتيت، ويساعد فحص هذه التصنيفات في اظهار استحالة تقليص تنوّع سكان كفيا قنجي إلى وصفة جاهزة: المنطقة قيد الدراسة هي احدى "المحاور المحطمة" في السودان، وهي مكان حطمه عنف القرن التاسع عشر وتُرك ببقايا من سكان مختلفين.[٩]

وتصف الفقرات الأخيرة من هذا الفصل بايجاز المجموعات التي تعيش شمال جيب كفيا قنجي والتي يشكل العديد منها زوّارا موسميين للمنطقة.

.....

[٨] اغنية من الفور مقتطفة من اوفاهي (١٩٨٠، ص٧٣).

[٩] جاء المصطلح من البروفيسور ويندي جيمس. وعن "المحاور المحطمة" الأخرى في السودان ايوالد (١٩٨٠)؛ ولوصف عمليات تاريخية مقارنة في مكان مختلف في جنوب شرق آسيا انظر سكوت (٢٠٠٩).

اللغات

مع ان عدد سكان غرب بحر الغزال صغير الا انها احدى أكثر أقاليم السودان تنوعا ثقافيا. ان إلقاء نظرة على ٢٤ لغة مختارة يتحدثها مواطنون في الولاية (انظر الشكل ٣) تظهر شيئا من ذلك التنوع كما تظهر مخاطر انقراض هذه اللغات. وتنتمي كل اللغات تقريبا إلى عائلتين لغويتين رئيسيتين لا يفهم متحدثيهما بعضهم البعض. فمثلا هناك لغتان متشابهتان في الأسماء هما بيلاندا بور وبيلاندا فيري، يستخدمان في جنوب مدينة واو وشرقها، ينتميان لعائلتين لغويتين مختلفتين – وهو دليل على ان هاتين المجموعتين قد دُفعتا للاقتراب من بعضهما البعض بواسطة عناصر خارجية لكنهما ينحدران من مناطق مختلفة (توكر، ١٩٣١، ص٥٤؛ سانتاندريا، ١٩٦٤، ص١٠٨). وهناك بعض اللغات، مثل أجا أو انديري، اللتان تستخدمان في منطقة راجا، يتحدثهما عدد قليل من الناس وربما تكونان محصورتين في غرب بحر الغزال. وهناك لغات اخرى، مثل زاندي (تستخدم في غرب الاستوائية وجمهورية افريقيا الوسطى وجمهورية الكونغو الديمقراطية) أو لغات باندا المختلفة (تستخدم في جنوب راجا وجمهورية افريقيا الوسطى) يتحدث بها عدد أكبر في اجزاء اخرى من جنوب السودان وافريقيا الوسطى. وهناك لغات عابرة للاثنيات من غرب افريقيا: اثنتان مسجلتان ادناه هما هوسا أو فلفولدي. ونياقولقولي، وهي اللغة التي يتكلم بها عدد قليل أساسا في بلدة راجا، هي نفس لغة بييجو الدارفورية التي ربما تكون الآن قد انقرضت – وربما كان شعب نياقولقولي من التابعين لبييجو في الماضي وان عائلتهم القائدة من اصل بييجو (سانتاندريا، ١٩٦٤، ص ١٧١). اما لغات قولو (تسمى أيضاً كارا) وبيينجا ويولو فلهن من يتحدث بهن في افريقيا الوسطى لكن الروايات الخاصة بأصلهن تربطهن بجبل مرة في دارفور.

يشير التاريخ اللغوي إلى تغيير في معاني كلمة فرتيت. وبالنسبة للمؤرخين المتخصصين في تاريخ دارفور فان المصطلح يأتي من سرديات الاصل لشعب ذي صلة بدارفور فرّ من عمليات تذويب أو إكراه أو من ضرائب سلطنة دارفور خلال تكوينها في القرن السابع عشر. وفي الجنوب صاروا، في عرف الفور، فريسة مشروعة لغارات الاسترقاق التي تقوم بها السلطنة. وتشير لغة نياقولقولي – بييجو إلى هذا النوع من التاريخ (أوفاهي، ١٩٨٠، ص٧٢). لكن تعريف أوفاهي الآسر والنافذ للفرتيت لا يفسر وجود لغات من غرب افريقيا ومن وسط افريقيا في المنطقة: يرجّح ان المتحدثين بهذه اللغات جاءوا نتيجة حروب متأخرة وتغييرات اقتصادية.

قام لطفي محمد وداعة الله وهو مثقف كريشي (من قبيلة الكريش) من الخرطوم بمراجعة الاصول اللغوية لمصطلح الفرتيت فقال:

سألت والدي فقال الفرتيت كلمة غريبة، وهي لا توجد في اي لغة من لغات قبائل الفرتيت. لكن الأصل نفسه موضوع جدل. فبعض الناس يقولون انه يشير إلى آكلي الفواكه. وأبلغني ابي بان الإسم اطلقه البرنو على غير المؤمنين بإله. وكان الكريش وبينقة وقبيلتان أخريتان تمارسان المعتقدات الافريقية التقليدية أو الكجور (الكجور بالعربية مصطلح ازدرائي لكنه واسع الانتشار فيما يتعلق بالمعتقدات التقليدية). هناك معلومة اخرى قريبة من تفسير أوفاهي لكلمة فرتيت (فرّوا خِتِ)، وهي ان الناس الذين كانوا يسكنون جبل مرة قد فرّوا (من غزو الفور) لكن لماذا لا تقال بلغة الفور، لماذا تُستخدم المفردة العربية؟ واذا لم يكن الفور في جبل مرة فأين كانوا؟ واذا كانوا يعيشون معا هم والفور فيجب ان يكون هناك عنصر مشترك. ليس هناك الآن ما يربطهم مع الفور. اعتقد ان هؤلاء الناس كانوا وثنيين وما زلت أبحث في الأدلة حول ما إذا كان كل الفرتيت قد عاشوا في جبل مرة؛ أو أن قبائل معيّنة منهم فقط هي التي عاشت فيه.[١٠]

كان معظم الذين جرت مقابلات معهم في هذه الدراسة يطرحون تفسير آكلي الفواكه عادة مصحوبا بضحكة، وكثيراً ما ينسبون ذلك لمعلم اللغة الإنجليزية. فمثلا ايرينو كوندا احد زعماء بيلاندا يشرح قائلاً "فرتيت – هذا الإسم اطلقه الانجليز، وهو ليس فرتيت وانما فروت ايترز (fruit eaters) (آكلو الفواكه) ولأن لنا فواكه كثيرة في الغابة"،[١١] فقد اطلق علينا الاسم، ومع ان استخدام الكلمة قد سبق الحكم الإنجليزي للمنطقة فانها قد تكون انطوت بالنسبة للمراقبين البريطانيين على حياة شعب في الغابات يعيش حياة قائمة على الصيد والجمع والالتقاط أو حياة بشر في حالة فرار.

ان تصنيف الفرتيت ولغاتهم يمثل عملا سياسيا. هناك مجموعتان توصفان أحياناً بأنهما من الفرتيت، هما بيلاندا بور وشات، تتحدثان لغة ليو النيلية المستخدمة في مناطق مختلفة من السودان، كما تتحدث بها مجموعة جور – ليو في مدينة واو. وقد صنّف المستعمرون البريطانيون بيلاندا بور وشات كفرتيت ودفعوهما دفعا نحو غرب بحر الغزال ذات الأغلبية التي تنتمي للفرتيت. وقد عاشت مجموعة شات على الحدود بين السهول الفيضانية النيلية ومقاطعة راجا، أما اولئك الذين أرادوا البقاء في المناطق النيلية فقد كان عليهم ان يقولوا انهم كانوا من الشلك (متحدثون

.....

[١٠] مقابلة مع محمد لطفي وداعة الله، احد المثقفين من اسرة من حفرة النحاس، الخرطوم، ابريل ٢٠١٠.

[١١] مقابلة مع ايرينو كوندا، أحد زعماء بيلاندا، واو، ٢٢ فبراير ٢٠١٠.

الشكل (٣)
لغات مختارة يتحدثها السكان في ولاية غرب بحر الغزال، أواخرالقرن العشرين

اللغة	العائلة اللغوية	عدد المتحدثين(دراسة اجريت بين ١٩٧٠-٢٠٠٠)
أجا	نيلية – صحراوية	٢٠٠
باي	النيجر – الكونغو	٢٥٠٠
باندا، باندا	النيجر – الكونغو	١٠٢,٠٠٠ ويوجدون في جمهورية افريقيا الوسطى والبعض في السودان
باندا – مبريس	النيجر – الكونغو	٤٢٠٠٠ ويوجدون في جمهورية افريقيا الوسطى وبعضهم في السودان
باندا الجنوب الأوسط	النيجر – الكونغو	
باندا، نديلي	النيجر – الكونغو	٣٥,٥٠٠ ويوجدون في جمهورية افريقيا الوسطى وأيضاً في السودان
باندا، توغبو فارا	النيجر – الكونغو	١٢٠٠٠ ويوجدون في جمهورية الكونغو الديمقراطية وجمهورية افريقيا الوسطيوالسودان
باندا الغرب الاوسط	النيجر – الكونغو	٧٥٠٠ ويوجدون في جمهورية افريقيا الوسطى وفي السودان
بيلاندا بور	نيلية – صحراوية	٨٠٠٠
بيلاندا فيري	النيجر – الكونغو	١٦٠٠٠
فروقي	النيجر – الكونغو	٨٠٠٠
فولفولدي (وتسميأيضاًفولبي)	النيجر – الكونغو	٩٠٠٠٠ ويوجدون في كل بقاع السودان
غبايا (يتحدثها الكريش ودونفو)	نيلية – صحراوية	١٦٠٠٠ ويوجدون في بحر الغزال ودارفور
قولو (تسميأيضاًكارا)	نيلية – صحراوية	١١٠٠
هوسا	آفرو – آسياتيك	٨٠,٠٠٠ ويوجدون في كل بقاع السودان
إنديري	النيجر – الكونغو	٧٠٠
منقايات	النيجر – الكونغو	٤٠٠

ندوغو	النيجر – الكونغو	عدد قليل من ثنائي اللغة
نياقولقولي	نيلية – صحراوية	٩٠٠
شات	نيلية – صحراوية	١٥٠٠٠
ثوري	نيلية – صحراوية	٦٦٠٠
توجويو	النيجر – الكونغو	منقرضة
يولو	نيلية – صحراوية	٣٠٠٠
زاندي	النيجر – الكونغو	٣٥٠,٠٠٠ في السودان

المصدر: لويز (٢٠٠٩)

للغة ليو أخرى) وقال الاب اندريه عثمان أوكيلو،[١٢] احد افراد شات، من الذين اجريت معهم مقابلة: "في واو نحن ثلاثة قبائل نيلية هي شات وبيلاندا بور وجور (جور – ليو). والآن يطلق عليها جميعا إسم جور – ليو". وفي السنوات التي اعقبت التوقيع على اتفاقية السلام الشامل حدث تقدُّم في وعي مجموعة جور – ليو في واو يُعزى أحياناً إلى تعيين حاكم من تلك المجموعة. وصار بعض افراد مجموعة شات الذين يعيشون الآن على حدود السهول الفيضانية يطالبون بنقل منطقتهم في مقاطعة راجا الى شمال بحر الغزال ذات الأغلبية النيلية.[١٣]

تواريخ الرق

الفرتيت مصطلح إزدرائي مرّ بعملية اعادة تعديل. ويكمن المعنى السلبي المتضمن فيه في تاريخ الرق في منطقة الفرتيت. وكلمة الفرتيت لا تعني شخص مسترق وانما تضمنت في مرحلة ما في دارفور معنى "القابلية للاسترقاق". وقد صار العديد من الفرتيت مسلمين واحتفظت بعض مجموعات الفرتيت بوضع التبعيّة لجماعات من دارفور كانت من السادة المعتقين لرقيقهم أو من إسياد الرقيق بعد مرور وقت طويل على إلغاء الرق. وهذا الانفتاح على ثقافة ودين المضطهِدين السابقين يثير الشبهات وسط بعض المجموعات الجنوبية الأخرى. ان فهم كيفية تفسير الرق يمثل طريقة لفهم ما يعني ان تكون من الفرتيت. والتفسير الذي يُقدّم هنا يشدّد على موضوعات (ثيمات) مختلفة: الدمج، حالة الضحية، المزاح، المقاومة، التبعية، الهجرة. وتعود هذه التفسيرات لأشخاص جرت مقابلتهم وتم تحديدهم على أساس مجموعاتهم الاثنية لكنهم لا يعبرون بالضرورة عن آرائها.

كانت احدى خصائص العديد من الكيانات القويّة في نظام الاسترقاق في بحر الغزال هي قدرتها على دمج هذه المجموعات لتصير تابعة. وقد ادى الدمج لتحويل الفئتين. وكانت سلطنة الفور تحتاج لارقاء لإقامة الحواجز والمدرجات في جبل مرة لكن حينما صار حاكم المديرية أكثر قوة، استخدم الأرقاء في انشاء بيروقراطية وجيش يمكن ان يحقق مركزة السلطة. وقد استخدمت مجموعات البقارة الأرقاء في القيام بمهام الزراعة بعد تزويدهم بقدر من الطعام حتى يوفروا ما يسمح لرعاة الأبقار بمشاركة أكبر في الاقتصاد الرعوي المحفوف بالمخاطر. وقد جعل العديد من رجال البقارة والفور الاقوياء نساء من الأرقاء زوجات لهم من درجة أقل. وقد كان

.....

[١٢] مقابلة مع الاب اندريه عثمان اوكيلو، النائب الاسقفي العام لأسقفية رمبيك، رمبيك، ٢٠ فبراير ٢٠١٠.

[١٣] مقابلة، حجب الاسم والمكان، ١٩ ابريل ٢٠٠٩.

للغتهن وثقافتهن المختلفتين تأثيراً متميّزاً على المجتمع (أوفاهي، ١٩٨٠، ص١٣٧). وكان افراد مجموعة منقايات التي وقعت في أسر دول الزاندي يتزوجون داخل نطاق مجموعتهم ومن مجموعات منقايات الأخرى، حتى تلك التي هاجرت لتلتحق بهم (سانتاندريا، ١٩٦٤، ص ١٤٣). وقد تبنت بعض المجموعات عائلات قيادية كي تستطيع ان تتفاوض مع اقوياء من خارجها: اصل عائلة فروقي مثلا يعود إلى حاج من غرب افريقيا،على صلة قويّة بسلطان دارفور، تزوج ابنة احد زعماء كاليجي وورث موقع والدها. ويطلق على متحدثو لغة كاليجي الآن فروقي. ومثل قصة الأصل التاريخي هذه لأب عالم مسلم يحوّل المجتمع الافريقي الأمومي تعتبر قصة شائعة في جميع ارجاء السودان (سانتاندريا، ١٩٦٤، ص١٤٣). بعض الناس لهم ذاكرة غير متسامحة تجاه غارات الاسترقاق، وقد وصفوا العبودية بمصطلحات إختطاف الأطفال أو الاتجار في النساء الشابات مما يعكس المكافأة التي يمنحها مالكو الرقيق للشباب ولقابلية التطويع. ويتذكر سليمان حسين عبدالله، احد زعماء مجموعة سارا من فيرجا الواقعة شرق حدود جيب كفيا قنجي مباشرة، تجارة الرقيق التي كانت تُمارس في مطلع القرن العشرين. ففي عام ١٩١٦ سقطت سلطنة دارفور التي كانت مستقلة اسميا. وتسببت اضطرابات ذلك الوقت لمجموعات مثل سارا – التي لها قصص عن اصلها في دارفور وافريقيا الوسطى – ان تفر إلى جيب كفيا قنجي. وقال سليمان حسين عبدالله: " كان الجميع يسرقون الاطفال ويأتون بهم إلى داهال كورو (قرب كفيا قنجي) إلى تُجّار (الرقيق). وكانوا يأخذون النساء أيضاً – جداتنا اللاتي جئن من الفاشر".[١٤]

يعتبر الرق، بالنسبة لمجموعتين ذوات روايات أصل من غرب افريقيا، مزحة شائعة. فالفلاتا (المتصفين في بحر الغزال بخاصية شكل بدو رُحّل من رعاة البقر) ومجموعة البرنو (المتصفين بصلتهم بالتجارة والتعليم الديني الإسلامي) ليس لهما تاريخ لغارات استرقاق بينهم لكنهم يطلقون النكات عن أسرهم لبعضهم البعض. ولهم مثل عربي يقول سيدكم وعبدكم، والذي يكرره بعض من أجريت معهم مقابلات مصحوباً بضحكة، لكنهم لا يقدمون توضيحا أكثر.[١٥] وأشار البروفيسور الأمين ابو منقة من جامعة الخرطوم بأن المزحة هي جزء من روح الدعابة النيجيرية أيضاً:

.....

[١٤] مقابلة مع سليمان حسين عبدالله، زعيم سارا، فيرجا، ٢١ مارس ٢٠١٠.

[١٥] مقابلات مع مجموعة امبررو ورجل من برنو بمعسكر رُحل قرب ماقوي، غرب بحر الغزال، مارس ٢٠١٠ ؛ مقابلة مع الامين ابو منقة، مدير معهد الدراسات الافريقية والأسيوية، جامعة الخرطوم، الخرطوم، ابريل ٢٠١٠.

"سيدكم وعبدكم – لم تكن هناك أبدا غارات استرقاق بين البرنو والفلاتا. وفي زمن شيخ عثمان [دانفوديو قائد فولاني من القرن التاسع] أخضع الفولاني عاصمة البرنو واستعادها البرنو بعد ٤٠ يوما، وربما كان ذاك هو اصل المزحة".[١٦]

شدّد بعض من أجريت معهم مقابلات على الطاقة الكفاحيّة لمجموعاتهم، ربما مشيرين إلى الذاكرة التاريخية لمقاومة الاكراه. فمثلا احد رواة مجموعة بينقة حينما سُئل عن لماذا واجه شعبه صعوبات عديدة للغاية أمام البريطانيين، قال أن بينقة "كانوا جامحين جدا جدا. لماذا؟ هم جامحون. هم لا يريدون ان يحكمهم اي شخص".[١٧] وشرح أحد الرواة من مجموعة الكريش معنى كلمة ناكا – إسم لمجموعة فرعية من الكريش: "ناكا مستمدة من كلمة تعني سفلس (مرض الزهري)، وهي تعني سأرهقك كما يرهق السيلان".[١٨]

كانت بعض مجموعات بحر الغزال تُعامل كمجموعات تتبع كل منها لمجموعة محدّدة من مجموعات البقارة، وتقوم بأداء وظائف خطيرة أو شاقة مثل صيد الأفيال أو القتال أو الزراعة. وذُكر أنهم يعترفون بحقوق أُسَرُ معتقيهم على اطفالهم كما يعترفون بالمساهمة في حقوق الدية لضحايا معتقيهم ممن يصابون بجراح أو من يُقتلون. وقد استخدموا المناطق البعيدة للأراضي الحدودية بين دارفور وجنوب السودان لتنويع وسائل عيشهم ولتحاشي دفع الضرائب. أما باندالا (او ماندالا أو نق باندالا) فهو إسم لمجموعة من بحر الغزال من التابعين لقبيلتي الهبانية أو الرزيقات، اللتين هما من أكبر قبائل البقارة (هيربرت، ١٩٢٦، ص ١٨٧ وما يليها) وتعتبر باندالا الآن مصطلحا مسيئا. ووفقا لأحد زعماء قبيلة الرزيقات فإنه: "في عام ١٩٢٠ اصدر [الناظر الكبير] ابراهيم موسى مادبو حكماً بأنه إذا قلت تلك الكلمة توضع في السجن."[١٩] ويطلق الآن على باندالا إسم الرزيقات (في هذه الدراسة يطلق عليهم إسم رزيقات بحر الغزال، لأن العديد منهم يعيشون في منطقة الحدود ويخضعون للسلطات التقليدية للنظام الجنوبي).

تختلف التبعية عن الدمج: فهي تسمح للمجموعات الفرعية التابعة ان تفاوض المهيمنين وأن تفرّ منهم أحياناً. وقد شدّد في الكثير من الاحيان من أجريت معهم

---

[١٦] مقابلة مع الامين ابو منقة، مدير معهد الدراسات الافريقية والاسيوية، جامعة الخرطوم، الخرطوم، ابريل ٢٠١٠.

[١٧] مقابلة مع رومانو رمضان اسماعيل، عضو المجلس التشريعي للولاية، واو، فبراير ٢٠١٠.

[١٨] مقابلة مع رومانو رمضان اسماعيل، عضو المجلس التشريعي للولاية، واو، فبراير ٢٠١٠.

[١٩] مقابلة مع محمد عيسى علي، مؤرخ ومسئول رزيقات، الخرطوم، ٤ مايو ٢٠١٠.

مقابلات من مجموعات الفرتيت التابعة على احساسهم بوكالة تاريخية مشيرين إلى أن الوضع يتيح لهم امكانيات معيّنة. وتعتبر مجموعة كارا التي تم تناولها في عدة مراحل من هذه الدراسة مثالاً يؤيد ما قيل. وصرّح أحد الذين جرت مقابلتهم من الدارفوريين ان مجموعة كارا كانت قبل المهدية تُعتبر مجموعة باندالا بالنسبة لقبيلة التعايشة الصغيرة التي انحدر منها عبدالله التعايشي خليفة المهدي. لكن المهدية حرّرتهم. وقد ألقى الخليفة علناً وعلى رؤوس الاشهاد بوثائق علم الانساب في النهر (محمد، ١٩٨٢، ص١.) وقد شدّد من اجريت معهم مقابلات من مجموعة كارا في مينامبا ببحر الغزال، وفي نادي كارا بام درمان، على المساهمة العسكريّة لكارا في المهدية. وقد ابرزوا نسخة من كتاب عصمت زلفو عن معركة كرري عام ١٨٨٩ (حينما هزمت البنادق البريطانية جيش المهدية)، مع ملحق بخط اليد من اشارات إلى الجزء الذي لعبه جيش كارا وتضمينات لملاحظات وينستون تشرشل (مشارك في كرري صار فيما بعد رئيسا لوزراء بريطانيا) حول شجاعة العدو: "اشجع رجال سارو على ظهر الأرض، أبدناهم بالبنادق ولم نهزمهم" (زلفو، ١٩٧٣، ص٣٣٥) وذكر كل من أجريت معهم المقابلات من كارا أن جنرالات المهدي، ابراهيم خليل وحمدان ابو عنجة، كانا من كارا.[٢٠] قبض ابو عنجة على زعيم الرزيقات مادبو وقطع رأسه في الأبيّض ودعا مادبو ابو عنجة عبدا عند لحظة اعدامه: "لم اطلب منك الرحمة وانما اطلب العدالة لكن عبداً مثلك لا يمكن ان يكون نبيلاً" (هولت، ١٩٧٠، ١٥٤) ولقد كانت لحظة هامة في التاريخ السوداني حينما تحدى قوم من الهامش المتميز بالعنف النظام القديم – وأدخِلوا في النظام الاقتصادي القوي الموجود في الخرطوم.

ما زالت الصلات بين مجموعات كارا والتعايشة موجودة بين مجموعات الحدود: علي كوشيب احد قادة مليشيات التعايشة، قيل ان أمه من كارا أو بينقة، هو الذي اتهمته المحكمة الجنائية الدولية بارتكاب جرائم في دارفور عام ٢٠٠٤ وتوضح وثيقة للمحكمة نسبه:

.....

[٢٠] أصول حمدان ابو عنجة الجنوبية معترف بها على نطاق واسع (انظر هولت، ١٩٧٠، ص٦٣) لكن اصول كارا فيما يتعلق بابراهيم خليل ليست كذلك: هيل (١٩٥١، ص١٧٤) والحسن (١٩٩٥، ص١٨٩) كلاهما ذكرا ان خليل كان أخاً لإبن عم او ابن عم للخليفة عبدالله، الذي ينتمي الى قبيلة التعايشة وهي قبيلة من البقارة تتحدث اللغة العربية. وهذه الروايات ليست بالضرورة غير متطابقة – فخليل قد يكون له اقرباء من كارا ومن التعايشة.وقد قلل بعض المؤرخين عن غير قصد او خطأ من دور مجموعات بحر الغزال بالمهدية: فمثلا عرّف هولت الذي يعتبر مرجعاً في المجال، كارا باسم قلعة كانت القوات المهدية الخاصة من الجنوب مرابطة فيها. ووصف أبو عنجة وكأنها "مانداالا" او باندالا اكثر منها كارا (١٩٧٠، ص ٣٦، ١٣٥، ٢٠٦، ٢١٤، ٢٥٠، ٢٦٠).

"علي كوشيب كان عقيد العقداء في محليّة وادي صالح في ولاية غرب دارفور. وبسبب هذا الموقع القبلي فإنه كان واحداً من أكبر القادة في السلم الهرمي في محليّة وادي صالح... من حوالي اغسطس ٢٠٠٣ تولى كوشيب قيادة الآلاف من مليشيا الجنجويد... يبلغ كوشيب من العمر ٥٠ عاما. والده من قبيلة التعايشة بينما تنتمي امه إلى قبيلة من جنوب السودان (المحكمة الجنائية الدولية، ٢٠٠٧، ص٣٢ – ٣٣)".

وقد يكون زعماء الفرتيت التابعين قد حصلوا على بعض الحرية بأن يختارو ارقاء من نفس مجموعتهم أو من مجموعات اخرى كضريبة. لكن هذه الحرية تعني ان مصالح الأُسر القائدة قد صارت في تضاد مع الأرقاء المختارين، منشئة بذلك هرمية رق داخل مجتمع دار فرتيت. وقد شرح لطفي محمد وداعة الله كيف ان الناس صاروا يفرون من القيادات إلى المدن منذ القرن التاسع عشر:

"بعض الناس فرُّوا من الحكام القُساة وفي بعض الاوقات صار الشيوخ في المنطقة شديدي القسوة بحيث انك إذا ارتكبت جريمة صغيرة تتعرض لعقاب قاسي".[٢١]

كان الرق، بالنسبة للعديدين وسيلة يمكنهم بها الانتقال من الحياة الريفية إلى الحياة الحضرية. وفي معظم الحالات كانت هذه التجربة ستصير قمعية للغاية لكنها وفرت بالنسبة للبعض فرصاً. وفي مذكرات ستانسلاوس عبدالله بايساما بعنوان "كيف صار عبدٌ وزيرا"، يعطي الكاتب أكثر الروايات تفصيلية حول تجّارة مطلع القرن العشرين. وُلد بايساما في إحدى قرى جنوب دارفور نحو عام ١٩٠٤، وهو ابن لقائد روحي مسلم (فكي) من الفور. وكان سلطان دارفور، السلطان المستقل لدارفور علي دينار، قد أخضع بشكل عنيف مجموعات البقارة على الحدود الجنوبية في ذلك الوقت. وجاء اختطاف بايساما في سياق هذه الاضطرابات السياسية. وقد أُختطف حينما كان في العاشرة من عمره وأخذ إلى كفيا قنجي حيث توفي مختطفه. وفي عام ١٩١٤ كانت كفيا قنجي تحت الحكم البريطاني: وألغي الرق رسميا لكنه لم يُدْحَر. وأُسر بايساما مرة أخرى بواسطة تاجر رقيق من الفور، ووُضع في غرفة مع بنتين كبيرتين من الفور وحكى لهن قصته وهو يرقد بينهما في سريرهما.

.....

[٢١] مقابلة مع لطفي محمد وداعة الله، مثقف من اسرة بحفرة النحاس، الخرطوم، ابريل ٢٠١٠.

> حدثتاني عن قصة هذا الرجل. كان اسمه عبدالله ابو طلاطين وهو تاجر رقيق كان يشتري أو يسرق الأولاد والبنات ويبيعهم. لقد اشتراهن من هنا ووضع علامات على وجهيهن لتغيير ملامحهن. وقد خصى بعض الأولاد وباعهم. "انظر كيف فعل بنا" [كانت الفتاتان معاقتان عن طريق قيود اقدام خشبية] (بايساما، بدون تاريخ، ص٣٣).

فـرّ بايســاما من تاجر الرقيق وانتهى به الأمر إلــى برنامج حكومي مختص بالأرقاء المحرريــن، والــذي حــوّل الأولاد المخطوفين إلى رجال شــرطة والفتيــات المختطفات إلى عروســات لرجال الشــرطة. لكنه كان محظوظاً: أُخذ إلى مدرسة تبشيرية في واو وســاعده اختطافه في نهاية المطاف ان يشــق طريقه إلــى تدرج وظيفي حكومي بلغ أوجه في وظيفة وزير. وقد اعتبر بايســاما شــخصا حولته تجربة الرق من فور إلى فرتيت. وتنتهي مذكراته بعودته إلى قرية أمه كوزير حكومي حيث لم يجد اقارب أو اصدقــاء وحيــث قرر ان يعود إلى واو. وتعتبر تجربته في الرق غير عادية في أنها جلبت له فرصا دراماتية وقوية.

تاريخ بينقة والهجرات

رابطة بينقة في الخرطوم يقودها مهنيون يعملون في وظائف خاصة ومستوصفات طبية وادارات حكومية؛ وللرابطة مجموعة من الخرائط ولافتات عرض محلاّة بخطوط جميلة توضّح وجهة نظر الرابطة في تاريخ بينقة وتستخدم اللافتات في المعارض. وتقول لافتات العرض انهم مسلمون؛ وانهم زنوج افريقيون من مكان قرب جبل مرة وانهم عاشوا في ديمنقا نحو عام ١٤٤٥؛ وديمنقا، التي يطلق عليها أيضاً دار ابو ديمه، كانت المديرية ذات الكثافة السكانية والمزيج السكاني الواقعة في اقصى جنوب سلطنة دارفور. والقصد من لافتات العرض ان يراها جمهور الخرطوم: فهي تؤكد على الاصول الافريقية لكنها حذفت الاشارات المباشرة للرق مفضلة ان تربط التاريخ بنخب دولة دارفور. وتحتوي إحدى لوحات العرض على قوائم لجنرالات بينقة (رمضان بورا، ابو المكرم) الذين حاربوا مع علي دينار ضد البريطانيين والذين فرّجنودهم إلى كفيا قنجي بعد هزيمته. وعلى النقيض من ذلك ففي مينامبا، قرب راجا، تضمنت رواية زعيم بينقة حول التاريخ الرق والنزوح: أشار إلى سوق للرقيق في جيب كفيا قنجي يسمى جبل بيو [باعوه] والذي ظل يعمل حتى عام ١٩٢٠* ويشدّد مؤرخون آخرون لبينقة على تراث بينقة التاريخي واجتازاتهم العسكرية والتبني المبكر للبنادق القديمة. وهذه التواريخ غير متسقة: حوّل الرق مجتمعات بحر الغزال وجلب بشراً من الأطراف إلى الجيش أو جلب تراتبية العلاقات الزوجية إلى مركز الدولة.

ان لافتات عرض رابطة بينقة تعتبر وسائل تذكير بأهمية تاريخ البشر الذين يمرون بهجرات طويلة؛ محاولة من البشر العاديين ان يتوصّلوا إلى احساس بالانتماء في مجتمع مرّ بقرنين من التغيير العنيف. وقد شرح احد كبار السن من مجموعة بينقة، يقيم في منطقة امبلاشا، الاماكن التي تنتمي اليها مجموعة بينقة:

> "اماكن بينقة: غارسيلا، تشاد، كافيندیبي، مينامبا، كفيا قنجي، الفاشر. سلطان بينقة- السلطان ضحية في مينامبا. هو (السلطان الأكبر. وعنده وثيقة منذ زمن الانجليز... وفي برام، في مناطق الهبانية لهم عمدة. ولهم شيوخ في غارسيلا ونيالا. وفي الفاشر يتبعون الفور وليس لهم شيوخ. وبينقة في الفاشر الآن إختلطوا بالفور وصاروا لا يتحدثون اللغة [لغة بينقة]. اذا كنت شخصاً من بينقة في الفاشر وبلا شيخ ولا تتحدث لغة بينقة فما الذي يجعلك بينقة". "

* مقابلة مع شيخ بينقة أبّكر عبد الرحمن ضحية، مارس ٢٠١٠

الانتماءات الدينية والسياسية

العديد من الفرتيت مسلمون يتبعون نسخاً دارجة للاسلام ونسخاً أخرى مستلهمة من معظم النصوص القديمة الرفيعة للدين. وربطت بعض مجموعات الفرتيت الاثنية ممارسات مجموعتها بهذه النصوص – وهكذا تأسلموا" كما أنهم صاروا مسلمين. وهناك انتشار واسع أيضاً للكاثوليكية الرومانية (هناك قلة من البروتستانت) كما أن هناك عديدين يتبعون الديانات التقليدية الافريقية. والتنوع الديني ظاهر في عادات الزواج. فمجموعات فروقي تصوم وتصلي وتتزوج وتطلق وترث وفقا للنسخ النصيّة للقانون الإسلامي مع ان المؤسسات القانونية الدينية للإجراءات المدنية مثل الميراث ليس لها وجود في بحر الغزال.[٢٢] وتتزوج مجموعة الكريش ومجموعات اخرى عديدة بثروة عروس تتكون من أدوات زراعية وتقديم عمل زراعي (في القرن التاسع عشر العنيف كانت مهور الكريش أسلحة نارية وعاج) ويتزوج البعض وفقا للاسلام والبعض وفقا للكاثوليكية والبعض وفقا للمعتقدات الافريقية التقليدية والبعض وفقا لخليط من كل هذه المعتقدات.

ونسبيا يتلقى قلة من الكاثوليك الفرتيت سر القربان المقدس وذلك بشكل أساسي لأن ممارسات زواجهم لا تتبع القانون الديني الكاثوليكي. وفي مخالفة ذلك المظهر من القانون فانهم يُعتبرون مرتكبين لمخالفة تدنيس المقدسات باخذ الخبز المقدس ونبيذ القربان.[٢٣]

وفي بعض الاحيان يكون للكاثوليك علاقات تعدد زيجات تعترف بها المعتقدات العرفية الافريقية. وفي بعض الاحيان يكون البعض في علاقات، "تعال وابقى" لا تنظمها عادات ولا قوانين دينية وانما ناجّة عن التغيرات الاجتماعية التي جلبتها عشرات السنين من الحرب والعيش في المراكز الحضرية.

وتمارس مجموعات عديدة في المنطقة ختان الاناث، والذي يرتبط أحياناً بالإسلام أو بالعرب أو بثقافة حضرية وأفكارها عن مسئولية الانثى (ولكنه غير مطلوب في القانون الإسلامي؛ ويوجد بشكل واسع في الثقافات غير الإسلامية وغير العربية وغير الحضرية في انحاء افريقيا المختلفة) يرجّح ان تكون مجموعات باندا قد تبنت ختان الاناث في وسط افريقيا أو خلال فترة اقامتها في كفيا قنجي حيث انتقلوا فراراً من غارات الرق التي كان يقوم بها السنوسي في مطلع القرن العشرين. وقد

.....

[٢٢] مقابلة مع عبدالله تميم فرتاك، زعيم فروقي، راجا، مارس ٢٠١٠.

[٢٣] مقابلة مع الاب بول أنيس، بعثة الكمبوني فبراير ٢٠١٠؛ معلم مدرسة كاثوليكية، حجب الاسم؛ قائدة نسوية، حجب الاسم، راجا، مارس ٢٠١٠.

ذُكر ان الفروقي ونياقولقولي وكريش حفرة النحاس وآجا وووروا والزاندي واصلوا ممارسة ختان الاناث، لكن المجموعات الأخرى مثل بفيري وشات ومنقايا رفضوها (سانتاندريا، بدون تاريخ، ص ٤٢-٥٢؛ سانتاندريا، ١٩٨٠، ص٨٢٨).

وفي السودان كثيرا ما يكون تبني ختان الانثى أو تبني قوانين الميراث الإسلامية بواسطة جماعة اثنية أو اجتماعية اعلانا ثقافيا وسياسيا للانتساب لثقافة وسياسات وادي النيل الشمالي الذي يعتبر القلب الثقافي للدولة. وربما كان تبني هذه الممارسات ناتج عن اقتناع أو اخلاص ديني أو ربما كان مرتبطا باستراتيجيات مجموعة تابعة للتطابق مع الاسياد. ان الابعاد السياسية للاختلافات بين نُسخ الإسلام الشعبي والإسلام الذي تدعمه الدولة كان مفروضا في مقاطعة راجا خلال حملة الانتخابات العامة عام ٢٠١٠. فمرشحا حزب المؤتمر الوطني والحركة الشعبية لتحرير السودان للرئاسة زارا العدد الصغير من الناخبين في راجا. وفي الجنوب قال مرشح حزب المؤتمر الوطني الرئيس عمر البشير القليل عن نسخته الدينية؛ لأنها متصلة بشكل واسع بتبريرات حزبه لممارسته خلال الحرب الأهلية فقد يكون توصل إلى تقديرات بأنها من غير المرجح ان تجلب له تاييداً انتخابيّاً. لكن مرشح الحركة الشعبية لتحرير السودان، ياسر عرمان، ناشد مسلمي راجا ان يكونوا صادقين مع فهمهم الشعبي للاسلام المتعارض مع الفهم الحرفي المتشدد الذي تربطه الحركة الشعبية لتحرير السودان بالتطرف الإسلاموي وبفساد الدولة، وأن لراجا ابعاد شمالية وجنوبية، وأن شعب راجا شعب حدودي... ومسلمو راجا لهم اسلامهم وليس اسلام طالبان والفساد. ان اي شخص شرب المريسة يجب الا يصوت للبشير.[٢٤]

تحاول كيانات خارجية قوية تسعى لكسب التأييد في غرب بحر الغزال ان تصنّف مجموعات الفرتيت على أساس ديني لأجل خلق دوائر فرتيت تتماشى مع نقاشات اوسع حول هوية وطنية. واليوم فان المزيد من المجموعات المؤسلمة – مثل الفروقي ونياقولقولي – يخطط لها ان تتحالف مع حزب المؤتمر الوطني. كما ان مجموعة اخرى – مثل الكريش – يصنفون كمجندين محتملين للقضية الجنوبية. ولكن أعضاء كل المجموعات توزّعوا على جانبي الصراع في الحرب الأهلية في الجنوب. وهذه الخطط لا توضح الكثير. ففي انتخابات عام ٢٠١٠، على سبيل المثال، وضعت الحركة الشعبية مسلمين في مناصب رفيعة، ووضع حزب المؤتمر الوطني العديد من الكريش الكاثوليك في مناصب رفيعة – قدّم الكاثوليك الاعضاء في حزب المؤتمر الوطني الرئيس الزائر البشير بطقوس العقيدة الكاثوليكية.

.....

[٢٤] خطاب المرشح الرئاسي للحركة الشعبية لتحرير السودان ياسر عرمان، ميدان الحرية، ٢٣ مارس، ٢٠١٠.

تشير الانتماءات السابقة أيضاً إلى الصعوبة التي تعترض سبيل التخطيط النظيف. لقد فرت مجموعات الفروقي الأكثر أسلمة من التجنيد الاجباري في المهدية لكن مجموعات كارا، كما ورد اعلاه، قدمت مساهمة ضخمة في المهدية.[٢٥] وفي ستينيات القرن العشرين التحقت قطاعات من كارا في بحر الغزال بتمرد الانيانيا؛ وفي عام ١٩٩١ قُتل زعيم كارا على ايدي اسلاموي دارفوري التحق بالحركة الشعبية لتحرير السودان وكان يقود قواته عبر قريتهم متوجهاً ليغزو دارفور. وانضم بعض افراد كارا في غرب بحر الغزال إلى المليشيات المساندة للخرطوم في تسعينيات القرن الماضي. لكن بعد عقد من السنوات من ذلك انتهى الامر بعناصر مجموعة كارا في دارفور إلى القتال مع الثوار في الحرب في دارفور.[٢٦]

حوّل الاستفتاء حول مستقبل الوضع في جنوب السودان منطقة الحدود، مثل مناطق الفرتيت، إلى مواقع للمنافسة الشديدة بين طرفي اتفاقية السلام الشامل. وقد تجّد المجموعات ذات الانتماءات السياسية والدينية المختلطة أو غير المحدّدة، مثل تلك التي وردت اعلاه، نفسها مقحمة في هذا الصراع. ويبلغ خطر مثل هذه المنافسة اقصاه في كفيا قنجي نفسها.

الفرتيت وأولاد العرب: مجموعة تعيش حول جيب كفيا قنجي

ان عدد السكان في جيب كفيا قنجي قليل. وظل العدد يتراوح خلال الاعوام الخمسة عشر الماضية، ما بين ٥ الف إلى ١٥ الف.[٢٧] ومعظم الناس يعيشون على امتداد نهري امبلاشا وآدا وأغلبهم من مجموعات الفرتيت (حسن وآخرون، ٢٠٠٥، ص١٣). وكان البريطانيون قد أخلوا السكان قسرا من كفيا قنجي عام ١٩٣٠ كجزء من سياسة حاولت خلق فصل محسوس بين مجموعات "العرب" و"الافارقة" على امتداد الحدود. وهذه السياسة، التي ستناقش بشكل مطوّل في الفصول اللاحقة أفرزت عدة قوائم قبلية اظهرت تنوعا وهجنة مدهشتين وسط سكان كفيا قنجي. وقد دُفع البعض إلى هناك بسبب الحروب على امتداد افريقيا الوسطى ومنطقة الساحل، ودُفع آخرون ليشاركوا في تجارة الرق المربحة، والتي استمرت في المنطقة حتى عشرينيات القرن العشرين.

.....

[٢٥] SAD/815/7/8. ومقابلة مع عبدالله تميم فرناك، زعيم من الفروقي، راجا، مارس؛ ٢٠١٠.

[٢٦] مقابلات مع افراد من كارا في مينامبا، ١٨ مارس ٢٠١٠ ومع افراد من كارا في ام درمان، ٢٧ ابريل ٢٠١٠.

[٢٧] وكما لوحظ اعلاه فان رقم الـ ٥ الف تم استقراؤه من تقرير باللغة العربية عن تجارة المخدرات في محمية الردوم الطبيعية، انظر الحاشية السفلية رقم ٤.

وحينما قرر البريطانيون ابعاد السكان من كفيا قنجي عام ١٩٣٠ صُنّف السكان على أساس أولاد العرب والفرتيت وأحياناً الفلاتا؛ وتشير فئة "اولاد العرب" إلى مجموعات كثيرا ما اشتركت في روايات أصل ولغات وتواريخ تبعيّة مع بعض مجموعات الفرتيت، لكنهم أُعتبروا أكثر دارفورية وأكثر تعريبا أو أكثر اسلمة. فقد وضعهم أحد المسئولين في قائمة عام ١٩٣٣ بأنهم برنو (ويعرفون أيضاً بإسم كانوري)، روڤو (يعرفون أيضاً بإسم رووڤا)، باقرما، قِمِر، داجو، سارا، برتي، وبرقو (SDD/SCR/66-D-3). ويحمل بعض هذا العدد القليل من السكان اسماء دول من غرب افريقيا ما قبل الاستعمار وكانوا في بعض الاحيان يُجمعون كلهم تحت إسم "الفلاتا"، وهي كلمة سودانية لشعب فولبي من غرب افريقيا وكثيرا ما تُطلق دون تمييز على اي شخص من غرب افريقيا. (B.G.P. 16.B.2) وقد وُجدت أيضاً مجموعات تُصنف بأنها فرتيت في كفيا قنجي. وأورد البريطانيون بشكل متكرر في تقاريرهم ما يسمونه بندالا (او رزيقات بحر الغزال) وهي مجموعات قدمت إلى المنطقة لتحاشي دفع الضرائب. وتحرّكت مجموعات بينقة وكارا إلى الشمال من نهر امبلاشا ويعيش الآن العديد منهم حول سونغو. وتعيش مجموعات يولو ودنقو وكريش أيضاً في المنطقة؛ وهذه المجموعات لها سرديات اصل في جبل مرة تتصل بلغات تستخدم في بحر الغزال وافريقيا الوسطى وتضم منتمين للإسلام والمسيحية والأديان التقليدية.

وفي أواخر تسعينيات القرن العشرين وجدت دراسة للردوم – المليّة التي تدير جيب كفيا قنجي – ان بعض المجموعات التي وصفها البريطانيون بأنها اولاد عرب هي في الغالب تعيش شمال بلدة الردوم على بحر العرب / نهر كير، وتعتمد في حياتها على الزراعة ورعي الحيوان والتجارة؛ وتمارس بينقة وكارا الزراعة والصيد على امتداد نهر امبلاشا. ولكن كفيا قنجي نفسها قد تعرضت بشكل كبير لعمليات الاخلاء من السكان بسبب الامراض الوبائية، وصعوبة العيش في منطقة حدود شديدة العسكرة، والتوسع في المحميات الطبيعية، الأمر الذي أدى إلى نزوح بعض القرويين في تسعينيات القرن العشرين وفرض قواعد عديدة على الحياة الاقتصادية للسكان في المنطقة. وقال الحاكم السابق لغرب بحر الغزال نيبوك أن "معظم سكان حفرة النحاس يعيشون الآن في الخرطوم".[٢٨]

.....

[٢٨] مقابلة مع مارك نيبوك، اللواء بالجيش الشعبي لتحرير السودان وحاكم ولاية غرب بحر الغزال من ٢٠٠٦ – ٢٠٠٩، مارس ٢٠١٠.

الشكل رقم (٤):
السكان الذين يعيشون حول جيب كفيا قنجي

القبيلة	مكان الإقامة	الوطن الاصلي	النشاط الاقتصادي
بينقة	الردوم، سونغو، كافيندييي	كفيا قنجي	الزراعة، الصيد، جمع العسل
كارا	الردوم، قوز شلال	كفيا قنجي	الزراعة، الصيد، جمع العسل
دنقو	الردوم، تتريبي	جبل دنقو	الزراعة، الصيد، جمع العسل
كريش	الردوم، كفيا قنجي	بحر الغزال	الزراعة، الصيد، جمع العسل
سارا	المورارايا		الزراعة
برنو	مورايا والردوم		الزراعة
مساليت	دافاج، ايلايبو	الجنينة، قريضة	الزراعة، التجارة
فلاتا	الفيفي	تُلُّس	الزراعة
باقرما	مورايا		الزراعة
هبانية	الحجيرات، الفيفي		الزراعة

ملاحظات: المجموعات القبلية وضعت في القائمة وفقا لأولئك الذين يعيشون على امتداد نهري امبلاشا وآدا (١-٤) ومن يعيشون على بحر العرب / نهر كير (٥-١٠). كل المستوطنات هنا تظهر في الخريطة ٢ اعلاه.
المصدر: من تقرير عن تجارة الرقيق في محمية الردوم للمحيط الحيوي في أواخر تسعينيات القرن العشرين. انظر الحاشية السفلية رقم ٤.

مجموعات من غير الفرتيت شمال جيب كفيا قنجي

ان بلدة الردوم التي توجد بالكاد خارج الطرف الشمالي الشرقي من جيب كفيا قنجي تتمتع بأكثر تنوع اجتماعي وثقافي في جيب كفيا قنجي ويدرك السكان صلاتهم بالجنوب لكن تعريفهم بانهم جنوبيين أو فرتيت يجعلهم يواجهون بصعوبات؛ وقد سئل احد سكان الردوم والذي يُعرَّف ويُميِّز بمصطلح اولاد العرب ما إذا كان يريد ان يكون جزءاً من الجنوب فأجاب:

> "جدتي كانت جنوبية. لكنني لا اريد ان أذهب إلى الجنوب واعتقد ان الجنوب يخص القبائل النيلية – الدينكا والنوير والشلك. ان الفرتيت هم من الدرجة الثانية في الجنوب. ان لهم اسماء اسلامية وهم يعتبرون مواطنين درجة ثانية. وحين ينفصل الجنوب فان القبائل الثلاثة ستحكمه. لن يكون هناك سلام وسيكون هناك قمع من هذه القبائل الثلاث.

سيدرِّسون المنهج الاوغندي ولن تكون هناك حريات لثقافتك. انهم يكرهون اي شيء شمالي، كاللغة أو الدين.»[٢٩]

حاولت السياسة البريطانية انشاء مساحة حدود فصل عرقي بين العرب والافارقة في أراضي الحدود الهجينة هذه لا زال لها صداها اليوم وسط السكان مع زيادة الحروب في الجنوب ودارفور للحساسية تجاه الاثنية. وعندما يقود الاستفتاء على مستقبل الجنوب إلى تأسيس خط جديد اثني فاصل في المنطقة فان تصورات ذلك الخط ستتأثر بالانتماء السياسي – المتحدث أعلاه هو أيضاً سياسي من حزب المؤتمر الوطني – لكنها تُفسر بطريقة شخصية.

قد يجد بعض الناس صعوبة في الاختيار بين الجنوب والشمال. وقد وجد مسئولو الاستعمار البريطاني ان من الصعب تعيين مكان للفلاتا – المتحدثين بلغة فولبي غرب افريقيا – وفي اللغة العنصرية لهذه الايام فانهم «ممتزجون بدم اسود»: رجال الفلاتا لا يتزوّجون من نساء الفرتيت أو الدينكا بالطريقة التي يقوم بها رجال الرزيقات بذلك (SAD/735/4/1). وفي عام ١٩٣٠ صُنِّف بعضهم بأنهم من «أولاد العرب» وأُرسلوا إلى دارفور بينما أُرسل آخرون إلى شرق السودان للعمل في مشاريع زراعية. وما زال البعض في الجنوب. أما أولئك الذين صاروا مواطنين دائمين في مدينة واو فينطبق عليهم تعريف جنوبي الوارد في الدستور الانتقالي لجنوب السودان.

١) اي شخص يكون أحد والديه أو جديّه عضواً في اي من المجتمعات الاصلية للسكان الموجودة في جنوب السودان قبل أو في ١ يناير ١٩٥٦؛ أو انّه يمكن تتبع اسلافه من خلال خط النسب الأبوي أو الأب لأي من المجتمعات الاثنية لجنوب السودان؛ أو

٢) اي شخص كان يقيم بشكل دائم وكانت أمه و/أو ابوه أو ايّ من جدّيه كانوا يقيمون بشكل دائم في جنوب السودان اعتبارا من ١ يناير ١٩٥٦ (حكومة جنوب السودان، ٢٠٠٥، المادة ٩ (٣))

والسؤال عن الانتماء للسكان الاصليين سيكون بارزا بشدة خلال الفترة السابقة للاستفتاء في السودان الذي سيستخدم هذا التعريف الدستوري كأساس لمشروعية المقترع. وسيكون السؤال صعب الاجابة بالنسبة للفرتيت وبالنسبة أيضاً لبعض المجموعات الأخرى التي تعيش على الحدود. ويتقلّد بعض افراد الفلاتا من الردوم (في

[٢٩] مقابلة مع احد سكان الردوم، حُجب الاسم، ٧ نوفمبر ٢٠٠٩.

دارفور) مناصب رفيعة في الجيش الشعبي لتحرير السودان، الذي هو جيش الجنوب. ويمكن اعتبار مجموعات من الفلاتا كجنوبيين بالإقامة لكن آخرين من السكان الرحل الذين يتنقلون بين كفيا قنجي وبحر الغزال بحثا عن المراعي في موسم الجفاف يعتبرون ذوي إقامة جزئية.

ان الفلاتا – أمبررو هم الأكثر تنقلا وبدوية بين كل هذه المجموعات. ويتحرّك امبررو رعاة البقر بأبقارهم جنوبا حتى الاستوائية، ويتبعون طرق اقصى الغرب المطوّقة بذبابة التسي تسي حيث لا يستطيع الرعاة الآخرون المخاطرة بأبقارهم فيها. ويستطيع الأمبررو ان يتجاوزوا هذه المخاطر بسبب مهاراتهم في رعي الأبقار، ولأنهم، على عكس غيرهم من الرعاة، يستثمرون جزءاً من فائض دخلهم في توفير أدوية بيطرية. والغالب ان اختيارهم للطريق يفرضه ضعفهم السياسي النسبي مقابل قبائل البقارة الكبيرة مثل الرزيقات والهبانية والذين تقع طرق هجرتها إلى الشرق من جيب كفيا قنجي وذبابتها (ذبابة التسي تسي).

ان فلاتا – امبررو، بالرغم من ضعفهم السياسي فانهم، في بعض الاحيان، يمثّلون مصدر تهديد؛ فخلال الحرب الأهلية ١٩٨٣ – ٢٠٠٥ ساند بعضهم الجانب الحكومي؛ وقد سببت معرفتهم الكبيرة بأراضي المنطقة مشاعر قلق لدى الجيش الشعبي لتحرير السودان. وفي خطاب ألقاه رئيس جنوب السودان سلفا كير في مارس ٢٠١٠ دمج الامبررو مع جيش الرب للمقاومة، وهي مجموعة اوغندية مسلحة اتهمت المحكمة الجنائية الدولية قيادتها بارتكاب جرائم ضد الانسانية:

> هنا عندكم جيش الرب للمقاومة، وهنا عندكم الامبررو، ونحن لا نعتبرهم اعداء لشعب جنوب السودان، نحن نعتبرهم مجرمين. هم ياتون بأبقارهم ولا يطعموها حشائش وانما يطعموها من الذرة المزروعة. وحينما يحاربون يقتلون الناس. يجب ان يأكلوا حشائش الغابة والا يأخذوا عسل الناس.[٣٠]

جاءت ملاحظات الرئيس بعد شهور قليلة مما زُعم بأنه هجوم لجيش الرب للمقاومة في بلدة بورو قرب جيب كفيا قنجي والذي قاد إلى نشر كتيبة من الجيش الاوغندي في المنطقة (هناك اتفاقية بين اوغندا وحكومة جنوب السودان تسمح لأوغندا بنشر قواتها في المناطق التي يشتبه في وجود نشاطات لجيش الرب للمقاومة فيها). وقد عبّر بعض الفلاتا الذين جرت معهم مقابلات (لهذا التقرير) بحذر على

.....

[٣٠] خطبة الرئيس سلفا كير، ميدان الحرية، راجا، ٢٣ مارس ٢٠١٠.

تشككهم حول وجود لجيش الرب للمقاومة في المنطقة، مشيرين إلى ان شبح هذه المجموعة المسلحة المرعبة قد استحضر لتبرير عسكرة المنطقة. وابلغوا عن عدد من الحوادث عن تعرض شبابهم وقطعانهم للهجوم من الجيش الشعبي لتحرير السودان – وقد تم التحقيق في بعض هذه المزاعم بواسطة السلطات المحلية.[٣١]

يشمل الشكل ٤ اعلاه قبيلة الهبانية، والتي هي مجموعة من البقارة، رعاة البقر؛ وقد صُنف اعضائها في القائمة كمزارعين. وهذه احدى اقوى المجتمعات السياسية في جنوب دارفور؛ يخضع جيب كفيا قنجي ومعظم مناطق الجنوب الغربي في جنوب دارفور لناظر الهبانية. لكن مجموعات البقارة تمر حاليا بالعديد من التغيرات. فالهبانية والرزيقات الذين يرتّون الماشية ما زالوا يقضُّون مواسم الجفاف في الجزء الشرقي من مقاطعة راجا ويتقدمون عادة حتى نهر بورو والذي يقع على بعد ١٠٠ – ١٥٠ كلم جنوب بحر العرب / نهر كير. وكثيرون من هذه المجموعات شرعوا في التحول إلى الزراعة، وذلك جزئيا بسبب الضرائب والضغوط الاقتصادية للحرب في دارفور: الضرائب التي تُفرض على الحيوانات أعلى بشكل ملحوظ من الضرائب التي تُفرض على الحبوب. ومنذ انفجار الحرب في دارفور عام ٢٠٠٣ صارت اسعار الماشية متقلّبة كثيرا (كلوجمان ووي، ٢٠٠٧، ص ١٩٩ – ٢٠٤). وقد جذبت موارد المياه والأراضي، الخاصة بأراضي الحدود، البقارة نحو الزراعة، أحياناً على طريقة البدو الرُحَّل. وقد اوضح احد جنود الحركة الشعبية لتحرير السودان من البقارة قائلا:

> البقارة لا يريدون مشاكل. ونشاطهم الوحيد هو ماشيتهم، والآن زراعتهم؛ وقد انتقل الناس نحو الزراعة. ان منطقة كورو بين تمساح والحدود هي منطقة تصدير للذرة – تصدِّر من ٦ إلى ٤٠ لوري في الاسبوع إلى الضعين ونيالا. ويستورد أهل راجا أيضاً من كورو. يأتي المزارعون في ابريل ومايو [عند بداية موسم الامطار] ينثرون البذور ثم يعودون. لا تستطيع ان تعبر بحر العرب / نهر كير حينما تكون مياهه مرتفعة في الفيضان. معظمهم يذهبون إلى ديارهم ثم يعودون في موسم الحصاد. ان التغيير إلى الزراعة هام جدا.[٣٢]

تعتبر الزراعة الآن نشاطا نقديّاً متنامياً في المرتبة والأهمية؛ وتعتبر منطقة الحدود مكانا يستطيع فيه الرعاة ان يصيروا مزارعين. وفي الماضي دمج البقارة مجموعات

.....

[٣١] مقابلات مع ممثلين من الفلاتا، حجبت الاسماء والاماكن؛ مقابلة مع مسئول محلي للحركة الشعبية لتحرير السودان، حجب الاسم والمكان، مارس – ابريل ٢٠١٠.

[٣٢] مقابلة مع جندي دارفوري من الحركة الشعبية لتحرير السودان، حجب الاسم والمكان، مارس ٢٠١٠.

الفرتيت من الجنوب عن طريق الرق ودمجوا غيرهم بالاكراه، وكثيراً ما كلفوهم بمهام زراعيــة. والذرة الرفيعــة التي يزرعها البقارة تمنحهم مزيدا من الحرية يتخلصون بها من متابعة حياة معيشية أكثر شدة في تربية الأبقار كما ورد اعلاه. وقد غيّر التحول في وسائل كسب العيش من وضع المزارعين مما ينبه إلى القدرة على التأقلم الكامنة في التنظيم الاجتماعي للبقارة. ووفقا لمحمد عيسى عليو، المؤرخ وشاغل مكتب في مجلس الرزيقات، فان بعض الناس من المنحدرين من سلسـلة نسـب تعرضت للرق قد صاروا عُمداً. ان تحول الشـخص إلى بقّاري هو عملية غير معقدة. يتطلب فقط الالتزام بمبادئ الدفع القبلي الجماعي لغرامات الديّة فيما يتعلق بالمسئولية الجنائية لأي فرد رزيقي أو مجموعة رزيقية:

> اذا قلت اريد ان أكون رزيقي يقولون لك اختر قطاعك القبلي. عديدون من الذين يريدون الانضمام يذهبون إلى منزل الناظر للحماية. والشرط الوحيد هو ان تلتزم بالديّة. ولن يتطرق الناظر ابداً للدين ولا للزواج.[٣٣]

بالنسـبة لبعض الناس في مقاطعة راجا يتضمن الاندماج في مجموعات البقارة رفض الأصل واللغة، ويحمل رسائل تذكير بماضٍ من الرق. لكن قدرة أشكال التنظيم الاجتماعي للبقارة والفرتيت على التأقلم قد تكون ملاذا.

هناك قلة من المجموعات النيلية تعتبر من ذوي الإقامة الدائمة في مقاطعة راجا وجيب كفيا قنجي. وهؤلاء الذين انتقلوا إلى هناك لا يملكون بقراً مع ان تربية الأبقار تشكل نشاطا مركزيا في ثقافة الدينكا. وجميع هؤلاء تقريبا يعملون في صيد الاسماك أو التجارة. وعلى عكس قطاعات الدينكا التي تعيش في سهول الفيضانات فانهم لا يتبادلون ثروة الأبقار في عمليات الزواج. وهناك، أيضاً، عديدون من الجنود من الدينكا والنوير في الفرق العسكرية للجيش الشعبي لتحرير السودان في منطقة راجا وفي اجهزة الأمن الأخرى هناك.

والمجموعات النيلية، مثلها مثل مجموعات البقارة ومثل الدول السودانية السابقة على الاستعمار، تدمج فيها من ليس منها عبر الزواج والانظمة الأخرى. لكن دمج الدينكا للفرتيت يسبّب أحياناً قلقاً شديداً وسط الفرتيت. فقد تنهدت امرأة من بيلاندا قائلة "الفرتيت رخيصون" في اشارة إلى حقيقة ان الرجال النيليين يستطيعون ان يتزوّجوا امرأة من الفرتيت دون ان يدفعوا مهراً من الأبقار للعروس.[٣٤] وقد وقعت عدة عمليات توتر بين مجموعات الدينكا والفرتيت خلال سبعينيات

.....

[٣٣] مقابلة مع محمد عيسى عليو، مؤرخ وشاغل مكتب في مجلس الرزيقات، الخرطوم، ٤ مايو ٢٠١٠.

[٣٤] مقابلة مع امرأة من بيلاندا، حجب الاسم والمكان، مارس ٢٠١٠.

القرن العشرين سيتم التطرّق لها في الفصل الثامن أدناه؛ والسبب في عمليات التوتر هذه يكمن في معنى كلمة فرتيت: فبالنسبة لأشخاص عديدين على امتداد السودان، خصوصا في الجنوب، فانها يمكن ان تعني الآن "جنوبي" من غير الدينكا.

حتى منتصف القرن العشرين كان للأراضي التي تقع إلى الشمال من نهر امبلاشا عدد قليل للغاية من السكان يتكونون من قلة من الرعاة والفارين من كارا وبينقة من الدمار الذي حل بكفيا قنجي عام ١٩٣٠. ولكن وصول تكنولوجيا الآبار في ستينيات القرن العشرين غيّرت احتمالات الزراعة في المنطقة في الوقت الذي ضرب فيه الجفاف دارفور. وفي عام ١٩٧٣ ساعدت الدولة مجموعات من الرعاة من شمال دارفور على اعادة توطينهم في قوز دانقو (يسمى أيضاً القوز الغربي أو قوز دنقو) وهي المنطقة ذات التربة الرملية إلى الشمال من جيب كفيا قنجي. ومعظم هؤلاء الناس الذين اعيد توطينهم كانوا من الزغاوة – من المتحدثين بلغة نيلية – صحراوية، والمجموعة ذات صلة برعي الاغنام والجمال في حزام شبه الصحراء في شمال دارفور وتشاد. وقد أقاموا في مناطق كانت قليلة السكان بشكل كبير وزرعوا أراضي يملكها الهبانية، وتدريجيا امتلكوا حقوق الأرض. وفي ثمانينيات القرن العشرين تسبّب جفاف أكثر خطورة، ترافق مع فترة ضغوط اقتصادية دولية كبيرة على السودان، في قدوم مجموعات جديدة من الناس إلى المنطقة، بما في ذلك مساليت ومسالاتي وقِمِر وتاما وارينغا ومسيرية الجبل – وهي مجموعات دارفورية معظمها من الحدود مع تشاد ومعظمها تتحدث لغات نيلية – صحراوية بالاضافة للغة العربية.[٣٥] وقد اعاد الجفاف تشكيل سكان المنطقة بحيث انها صارت تعكس تنوّع المجتمع الدارفوري بالاضافة لاعادة تشكيل مجتمع الجنوبيين السودانيين ومجتمع افريقيا الوسطى. وقد استخدم النازحون الرعاة موارد المنطقة من الأرض والمياه للتحول إلى اسلوب جديد من كسب العيش.

بالرغم من البداية السلمية المنتجة وجد العديد من هؤلاء انفسهم متورطين في عنف الحرب في دارفور التي بدأت عام ٢٠٠٣ بهدف اعادة صياغة الجغرافيا الاثنية لكل الاقليم. كما ان مجموعتي كارا وبينقة اللتين تعيشان في المنطقة منذ عام ١٩٣٠ حتى اعتبرها بعضهم بمثابة وطن لهم، تورطتا في العنف أيضاً.

ربما كان مصطلح فرتيت قد أُخترع بواسطة معادين من الخارج لكنه صار في بعض الاحيان الآن يستخدم بواسطة الفرتيت انفسهم لوصف تكوينهم الهجين وتمكنهم من ناصية معرفة الثقافات واللغات المختلفة وحياة النزوح التي يعيشونها

.....

[٣٥] مقابلة مع محمد علي، مواطن من نيالا، ٦ ابريل ٢٠١٠.

من قرى السافنا إلى مدن شمال وجنوب السودان وخوفهم من ان تخضعهم أو تبتلعهم ثقافات جيرانهم الأكثر قوة منهم – الفور أو العرب أو الدينكا. وقد مرّ هؤلاء الجيران بنفس الحروب وباضطرابات مشابهة. وكان على الفور والبقارة أيضاً ان يصارعوا الهجنة والاخضاع كجزء من تجربة معظم السودانيين. لكن، ولعدة اسباب، فان ثقافتي الدينكا والبقارة واسعتي النطاق وذوات النفوذ تظهر نفسها، وبشكل روتيني، كثقافة أكثر اتساقا أو انطوائية أو عنادا أو ثقة في النفس، من الثقافات الأخرى. وتشير أدلة من الأراضي الحدودية على امتداد بحر العرب / نهر كير انها أيضاً اماكن يستطيع فيها سكان من مثل هذه الثقافات القوية ان يجرّبوا انواعا جديدة من وسائل العيش وممارسة عمليات التأقلم.

في الماضي لعب بحر العرب / نهر كير دور الحدود بين شعوب الكيانات خارج الدول (القابلة للاسترقاق) والدول، أو بين مجالات متمايزة ثقافيا توصف بانها افريقية أو عربية. لكن النهر لعب أيضاً دور الحدود بين الروابط الداخلية والتنوع، وهو مكان مليء بسوابق تاريخية للتفاهم المتبادل واحتمال التعاون. وقد قام هذا الفصل بمراجعة قدر كبير من تفسيرات هذه السوابق التاريخية لأنها غير معروفة بشكل واسع. ومع ذلك فمن المرجح ان تشكل استجابات مجموعات مختلفة لإمكانية ان يصير الخط الفاصل بين دارفور والجنوب حدودا في القانون الدولي. وسيعرض الفصل التالي كيف فشلت إحدى المحاولات الاستعمارية في إلغاء مرونة الحدود.

٥ السياسة الجنوبية لعام ١٩٣٠: رسم حدود ثقافية ودينية

ساهمت عشرات السنين من الحروب وعمليات النزوح في إفراغ جيب كفيا قنجي من سكانها. وقد صعّدت السياسة الجنوبية للحكومة الإنجليزية – المصرية ذلك النزوح من خلال محاولتها خلق فصل ثقافي واضح في منطقة تتميز بهجنة عالية، وذلك جزئيا في إطار رد على أزمة سياسية. وقد تجسدت حدود القرن التاسع عشر، بين السكان من الفارين من الاستعباد أو من التابعين وبين الدولة، كخط بين الشماليين و"السكان المحليين"، والعرب وغير العرب، والمسلمين وغير المسلمين.

كيف جاءت السياسة الجنوبية؟ في عام ١٩٢٤ اتجهت حركة اللواء الابيض، أول حركة وطنية جاءت قيادتها من ضباط جيش ينتمون إلى اصول حضرية ارتبطت بالرق، للسعي إلى طلب الدعم المصري في الخرطوم لتحدي السلطة البريطانية. وكرد على ذلك اسرع البريطانيون إلى تقليص الوجود المصري في السودان وسعوا إلى استقطاب حلفاء في الريف السوداني باعادة هندسة الهياكل التقليدية للسلطة وتقييد الحركة بين المجموعات القبلية. وقد حبس هذا الإجراء عملية التطور الاداري التي كانت قد بدأت سلفا منذ سنوات قليلة في السابق. وفي المحكمة رفض بعض وطنيي اللواء الابيض هؤلاء الاجابة حينما طولبوا بذكر اسماء قبائلهم فاخافوا البريطانيين وجعلوهم يعتقدون ان الوطنيين قد انشأوا مجتمعات سياسية يمكن ان تنافس السلطة البريطانية (فيزادیني، ٢٠٠٨، ص٢٨٩). وفي شمال السودان أنشأ البريطانيون أو وسعوا من هرمية الزعامة المحلية التي تسمى الإدارة الأهلية بمنحها سلطات تنفيذية وقضائية واسعة النطاق. وفي الجنوب والمناطق المتصلة بها ثقافياً، مثل جبال النوبة، أنشأوا نظام مناطق مقفولة بممرات داخلية تفصل هذه المناطق بشكل كامل تقريبا عن الشمال. وقد حددت مذكرة عام ١٩٣٠ حول السياسة الجنوبية أهداف هذه السياسة:

> ان سياسة الحكومة في جنوب السودان تهدف إلى خلق سلسلة من الوحدات العرقية أو القبلية المكتفية ذاتيا بهياكل وتنظيم تستند، لأي مدى تسمح به متطلبات العدالة والحكم الرشيد، على العادات الاصلية

والاستخدام التقليدي للمعتقدات (بشير، ١٩٦٨، ص١١٥).

طرحت هذه السياسة امام الاداريين في غرب بحر الغزال مجموعة من المشاكل. أولا، تتميز المنطقة بوجود عدد كبير من (الوحدات العرقية أو القبلية) تتطلب عدداً مكثفاً من المحاكم لكي تسند ما يسمى بـ"الحكم الرشيد" على "العادات الاصلية". وقد توزعت هذه المحاكم بشكل ضعيف على منطقة شاسعة وادارها اثنان من الموظفين السياسيين البريطانيين. (B.G.P. 16.B.2، ص. ٧). ولم يستطع الاداريون البريطانيون تغطية تكاليفها (وزاد الأمر صعوبة إن ذلك حدث في وقت تضرّرت فيه عائدات السودان كثيرا بأزمة تعرض لها قطاع القطن تزامنت مع أزمة مالية عالمية) (روديـن، ١٩٧٤، ص٥٠٦). ثانيا، طرح تنوع وهجنة غرب بحر الغزال تحديا اذ انه بدا ان سكانها منفتحين على المؤثرات الخارجية.

أوضح ر. ج. س. بروك، حاكم بحر الغزال أمثلة للتأثير الشمالي في تقرير عام ١٩٣٠ إلى السكرتير الإداري في الخرطوم: ان تصير مسلما كان شرطا غير رسمي للالتحاق بالشرطة؛ يرتدي الزعماء الزي الإسلامي؛ وقد اضعفت الصلة بالإسلام الصلة بالقانون القبلي؛ ويتحدث نصف السكان اللغة العربية في منازلهم. ويتناقض تبني راجا للغة العربية مع مناطق اخرى من الجنوب (يقدر تقرير معاصر ان نحو ٠,٥٪ فقط من الدينكا يستطيعون معرفة العربية) (ND/SCR/1/C/1). وقد رعى البعض المدارس الإسلامية أو ممارسة ختان الاناث. ورأى بروك هذه الممارسات بوصفها "شكل من التنفجية" وهي محاولة استيراد أُبهة أجنبية إلى مجتمعات يحاول إخضاعها من خلال نوع من البدائية الجديدة – سياسة محاولة اعادة اختراع مجتمع سريع التغير ومنفتح ليأخذ شكل مجتمع مغلق وغير متغير وعتيق.

كان جيب كفيا قنجي على حدود دارفور محل اهتمام السياسة الجنوبية. واشارت التقديرات البريطانية إلى وجود ٢٥٧٥ دافع ضرائب في المنطقة عام ١٩٣٠ (وتنبّهوا سريعا إلى ان هذه التقديرات اقل مما هو حقيقي).كان هناك ٥٠٠ من الفلاتا (يسمون أيضاً اولاد العرب) و٨٠٠ بندالا أو رزيقات بحر الغزال – وكِلا المجموعتين رأتهما الحكومة الاستعمارية كقائدتين للنفوذ الشمالي وعصيتين على التصنيف أو الإحتواء. وكلتاهما كانتا على صلة بتجارة الرقيق التي كانت ما تزال ناشطة، والتي اقترنت بالمقابل بتغلغل الشماليين والمسلمين والعرب.[٣١]

.....

[٣١] B.G.P. 16.B.2، ص. ٤–٥؛ مقابلة مع الزعيم سليمان حسين عبدالله، سارا وقبائل اخرى في فيرجا، فيرجا، مارس ٢٠١٠.

وفي واو قرر الحاكم البريطاني بروك التنفيذ الحاسم لإجراءات تتعلق بالسياسة الجنوبية – وهي إجراءات تطلّبت قدراً كبيراً من عمل المسئولين في دارفور مما تسبب في اثارة جدل في الخرطوم (كولينز، ١٩٨٣، ص١٧٦ – ١٨٩). وقد الغت ادارة بروك بلدة كفيا قنجي منشئة منطقة خالية من السكان على امتداد جنوب الحدود (تغطي مساحة اوسع من جيب كفيا قنجي الحالي) وقد منعت سلطات بحر الغزال دخول "جميع اهالي دارفور وكردفان" محوّلة أراضي حدود ثقافية إلى حاجز (B.G.P./SCR/I.C.6). (عام ١٩٣١ قدم خط بروك، الذي يوصف أكثر في الفصل السادس، استثناءاً دائما للرعاة من البقارة). وفي مناطق اخرى من بحر الغزال كان العديد من الناس يعيشون بعيداً عن نفوذ عرب أو مسلمي كفيا قنجي في "وحدات عرقية أو قبلية مكتفية ذاتيّاً" (بشير، ١٩٦٨، ص١١٥) على امتداد الأنهار – ربما بمثابة رد يعود لاستراتيجية من القرن التاسع عشر لنوع جديد من غارات الاسترقاق التي تستهدف المناطق الداخلية من بحر الغزال. لكن بروك أراد تغيير هذا أيضاً: تحدد السياسة الجنوبية ان يتم إبعادهم جميعا من وديان الانهار والقرى على إمتداد المديرية إلى طريق طوله ٢٦٥ ميلاً يمتد من واو إلى بلدة سيد بنداس على الحدود الغربية (قرب ما يعرف اليوم بإسم بورو مدينة) ثم يُجَمّعون بشكل تقريبي عن طريق اللغة أو الاصل ويُختصر عدد زعماءهم الكثر إلى نحو اربعة أو خمسة زعماء ومحاكم دائمين/دائمة. ويتغلغل الاداريون البريطانيون بشكل اعمق ويُغرس نظام الانضباط في العمل من خلال اعمال الطرق الهادفة لتحسين الطرق الحالية. ويبدأ العمل بأجر في التوسّع في المجتمعات التي لا تستخدم فيها النقود بشكل واسع. وتتحسن اساليب مكافحة الامراض. (رينج، ١٩٦٦، ص١٠١).

ذكريات النزوح القسري

كانت عمليات النزوح الخاصة بهذه الفترة متميزة لأنها كانت ذات صلة بشكل واضح بسياسة ثقافية. لكنها تزامنت مع تحوّل تاريخي آخر: توسع المدى الزمني الذي تغطيه سلطة الدولة والذي جلبته بداية مواصلات الشحنات (اللواري) في جنوب السودان. وقد غيّر هذا التوسّع العلاقة بين مراكز الحكومة في المدن وبين سكان الارياف المتنقلين ذوي القدرة على التأقلم. وما زال هذان التغييران – السياسة الجنوبية وصعود نجم المواصلات التي تستخدم السيارات – يعيشان في الذاكرة الحيّة لكبار السن من مواطني راجا. ان منظورهم للنزوح الذي سبب هذه التغيرات يقدم استبصارات في العالم القديم قبل ان يصير تجنب الدولة أمراً مستحيلاً.

كثيرا ما يقيّم من ولدوا بعد عام ١٩٣٠ عمليات النزوح التي جرت ذلك العام بشكل ايجابي بوصفها اول مرة يمكن فيها لمواطني الارياف الحصول على الخدمات الاجتماعية التي يحصل عليها سكان المدن. ويُرجِع ايرينيو كوندا، احد زعماء ميلاندا في واو، والذي وُلد بعد سنوات من ذلك، التاريخ الذي انتشر فيه التعليم إلى عام ١٩٣٠:

> متى بدأ الناس يحصلون على التعليم؟ نحو ١٩٣٠ – ١٩٣١. وقبل ذلك لم يكن الناس يعيشون على إمتداد الطريق. كان الطريق موجودا ولكن دون سيارات. كان أفراد شعب بيلاندا يتشوّقون للتعليم وبدأت مدرسة البعثة (الكاثوليكية) في ديم زبير عام ١٩٣٠.[٣٧]

لكن كبار السن، الذين يتذكرون طريقة الحياة قبل ظهور المواصلات التي تستخدم السيارات والخدمات المدينية يتذكرون ما واجهوه من إكراه عام ١٩٣٠ ببعض المرارات. يقول لينو بيانكا وهو مؤرخ من راجا وخبير لغوي كان عمره حينذاك ١٥ عاما "لم نصر سعداء حتى يومنا هذا". اسماء الاماكن من هذا الزمن تسترجع الذكرى أيضاً: في كاتا، شرق سيد بنداس مباشرة، كانت هناك مستوطنة تسمى "جبرونا" وتعني "أجبرونا" ما زالت هي الإسم الحالي لمستوطنة يسكنها نازحون (هناك الآن احياء بإسم جبرونا في ام درمان وفي جوبا) ان قرية "ليلي" غير البعيدة، احدى قرى مجموعة من الكريش الذين تحركوا من حفرة النحاس هي كلمة أطلقها الكريش (او غبايا) تعني ذبابة التسي تسي (وهي الآن غير مهجورة تماما ومازال يقصدها الناس) اما كلمة "سوبو" والتي تعني مدينة بالنسبة لبيلاندا من سكان كفيا قنجي على الطريق من راجا إلى ديم زبير فانها كلمة تعني "وقع السوط" في لغات باندا.[٣٨]

حينما افرغت ادارة مديرية بحر الغزال جيب كفيا قنجي فانها نقلت منها نحو ٢٧ الف رجل وامرأة وطفل (٥٤٥٧ من دافعي الضرائب)، من الذين صُنّفوا بأنهم من اولاد العرب (خليط من مجموعات تمت أسلمتها أو تعريبها من غرب افريقيا أو دارفور). كان في مدينة واو، التي كانت في وقت ما عاصمة مديرية، ١٥٥٣ دافع ضرائب في عام ١٩٣٧ (B.G.P./SCR/8-A-3; SAD/710/20، ص. ٢٠). وكان في جيب كفيا قنجي أيضاً ٢٠٠٠ شخص من كارا وبينقة من الذين امرتهم السلطات بالانتقال إلى الطريق الممتد من بورو مدينة إلى راجا. وهؤلاء تربطهم روايات اصلهم بدارفور كما تربطهم بافريقيا الوسطى، لكن البريطانيين كانوا ينظرون اليهم كمجموعات

---

[٣٧] مقابلة مع زعيم بيلاندا ايرينيو كوندا، واو، فبراير ٢٠١٠.

[٣٨] مقابلة مع بانكراسيو مبال ياجو، نائب برلماني من سابو ومقيم سابق في ليلي، فبراير ومارس ٢٠١٠.

بمرتبة أرقاء. وتستحق الروايات الأخرى لأصلهم الفحص والتحري كمثال لكيف تصدى البريطانيون لإزاحة مجموعات من كفيا قنجي لم يتيحوا فيها الفرصة لأي سلالة ذات أصول غامضة أو هجينة.

يعتقد الاب ستيفانو سانتاندريا، اللغوي المبشّر الذي يعتبر المصدر الرئيسي لما كتب عن اثنولوجيا المنطقة، انهم أتوا من الحدود الشرقية لما كان يعرف بافريقيا الاستوائية الفرنسية، لكنه اعترف بانه لم يقابل العديد من كبار السن من مجموعة كارا (سانتاندريا، ١٩٦٤، ص٢٢٩ والصفحات التالية). ان لمجموعة كارا تاريخ موثق بشكل جيد عن ارتباطهم بالحركة المهدية وصلاتهم بالتعايشة التي هي قبيلة البقارة الأكثر ارتباطا بالمهدية. ويعتقد افراد كارا وبينقة الذين جرت مقابلات معهم في اطار هذه الدراسة انهم جاءوا في الاصل إلى كفيا قنجي من دارفور وكثيرا ما يُرجعون تاريخ تحركهم من دارفور إلى سقوط سلطنة الفور عام ١٩١٦ أو قبلها بسنوات قليلة.[٣٩]

في جبل مرة، تطرّق المسئولون الاستعماريون، لوجود متحدثين بلغة كارا يسمون انفسهم كارينجا وفي ديمقا (وتسمى أيضاً دار ابو ديمة)، المحافظة المكتظة بالسكان والمختلطة في اقصى جنوب سلطنة الفور، ذكر المسئولون الاستعماريون ان هناك من يتحدثون بلسان بينقة يسمون تيبيلا: وصف احد القادة التقليديين في مطلع القرن العشرين الاختلاف بين الفور وبينقة كاختلاف بين الشرتاي والقرويين العاديين (ماكمايكل، ١٩٢٢، ص٩٧). وقد صوّر المسئولون البريطانيون افراد مجموعتي بينقة وكارا أحياناً كأرقاء سابقين أو تابعين لمجموعات دارفوريّة مثل التعايشة، مع ان تصورات كارا وبينقة الذاتية عن انفسهم من ناحية تاريخية أكثر دقة.

هناك أيضاً صلات مع ما يعرف الان بجمهورية افريقيا الوسطى. وقد ذكر احد المكتشفين الفرنسيين ان غارة كبيرة لسلطنة الفور للقبض على ارقاء وقعت عام ١٩٤٠ عبرت أراضي بينقة جنوب ودّاي (بيزمونت، نقله اوفاهي، ١٩٨٠، ص١٣٨). كما ان المسئولين واعون أيضاً لتقارير فرنسية تتحدث عن وجود لمجموعتي كارا وبينقة في اواندا غاليه، التي هي منطقة في افريقيا الاستوائية الفرنسية، خلال غارات الاسترقاق التي كان يقوم بها رابح فضل الله في نهاية القرن التاسع عشر.[٤٠]

كان يمكن وصف مجموعتي بينقة وكارا بانهما دارفوريتان، لكن البريطانيين قرّروا نقل افرادهما إلى مينامبا، وهي قرية على الطريق بين راجا وبورو مدينة. وربما كان

.....

[٣٩] مقابلة مع افراد من كارا وبينقة، في نيالا وام درمان والخرطوم، مارس – مايو ٢٠١٠.

[٤٠] ملاحظات تاريخية عن كارا، بدون تاريخ، بدون اسناد، اوراق اندرو بارينج، غير مصنفة.

هذا بسبب ان البريطانيين ربطوا سكان كارا وبينقة بنسب مسترقين، واعتقدوا ان السياسة الجنوبية قد تحميهم من الاسترقاق – غارات الاسترقاق المستمرة حول كفيا قنجي كانت احدى الاسباب لإغلاقها. وقد رفض الف شخص من بينقة الرحيل (نحو ٢٠٠ من دافعي الضرائب) و٧٠٠ من كارا (١٤٠ دافع ضرائب)؛ وقد قام مسئول بريطاني يدعى س. ر. سيمون باشعال الحرائق في منازلهم (B.G.P./SCR/8-A-3). ولم تحترق منازلهم فقط وانما تحطمت أيضاً مخازن غلاتهم (حبوبهم). وعلى حد تعبير احد الذين أُجبِرت معهم مقابلات من مجموعة كارا فان هذا كان "زمن الحروب".[٤١]

لقد فرّوا إلى الضفة الشمالية لنهر امبلاشا، حيث لقي ٢٠٠ منهم حتفهم من الجوع في العام التالي كنتيجة لتحطيم مخازن غلاتهم.[٤٢] وقد باشر إداريو بحر الغزال تنفيذ سياستهم بلا رحمة دافعين زملائهم كي يحرقوا الديار الجديدة لهؤلاء لأجل دفعهم للانتقال إلى مينامبا. وعقب هذه المرحلة اتهم المسئولون البريطانيون في دارفور رصفائهم من المسئولين البريطانيين في الجنوب باستخدام ارهاب الدولة ضد السكان. وقد قضت بينقة وكارا ٦ سنوات من التمرد في الجانب الشمالي من الحدود قبل ان تمنحهم رسالة من السكرتير الإداري في الخرطوم الاذن بالبقاء. وبعد ذلك حاول اداريُّو بحر الغزال منعهم من زيارة اقربائهم عبر الحدود (كولينز، ١٩٨٣، ص٢٦٤).

وفي نهاية المطاف تم ضم لاجئو جيب كفيا قنجي إلى الإدارة الأهلية في دارفور وصارو تحت ادارة ناظر قبيلة الهبانية، وهي مجموعة من البقارة تغطي أراضيها الطرف الجنوبي – الغربي من دارفور؛ وقد كانت، فيما يتعلق بالضرائب، ثاني أكبر مجموعة في جنوب دارفور. وقد عَيَّن ناظر الهبانية عمدةً للخليط السكاني الذي يسكن الردوم، ويملك الناظر الآن سلطة تعيين عمد ومشايخ جيب كفيا قنجي.[٤٣]

[٤١] مقابلة مع اشخاص من مجموعة كارا، مينامبا، مارس ٢٠١٠.

[٤٢] 42SDD/SCR/66-D-3؛ تنص المذكرة ان ١٩٤ من الوفيات قد تضمنتها قوائم الوفيات لكن العدد الحقيقي كان ٢٣٨. لكن الرقم ٢ في ٢٣٨ يمكن ان يُقرأ بوصفه الرقم ٣.

[٤٣] مقابلة مع مارتن موسى عبد المكرم، المدير التنفيذي لبايام تمساح، مارس ٢٠١٠؛ ابراهيم الامين علي، عمده كارا للردوم، ابريل ٢٠١٠.

السياسة الجنوبية والإسلام

كان تحجيم قوة الإسلام وانتشاره في بحر الغزال هدفاً للسياسة الجنوبية التي ما زال يتذكرها مسلمو راجا اليوم. واحدى أكبر المجموعات في المقاطعة هي الفروقي، الذين نشأوا من تحالف بين حاج من البرنو ومجموعة تسمى كاليجي، وتوزعوا عبر الأراضي الحدودية بين بحر بورو (الذي يجري من سيد بنداس) وبحر العرب / نهر كير. وقد خاف البريطانيون من ان وجود مجموعات الفلاتا في المنطقة سيقود الفروقي لتبني نسخاً أكثر تشددا من الإسلام.

> ان الفروقي، مع انهم ربما يعتبرون مسلمين غير متشددين، كما ورد في دليل بحر الغزال، فانهم صاروا كذلك وبشكل متسارع؛ وذلك يعود إلى ان مجموعات الفلاتا في راجا كانوا تحت زعامة زعيم من الفروقي كان مسلماً شديد التمسك بدينه. (B.G.P. 16.B.2، ص٥-٦).

كتب عيسى فرتاك، زعيم الفروقي، رسائل للسلطات البريطانية بلغة عربية كلاسيكية دقيقة طالبا الاذن ببناء مدارس ومساجد.[٤٤] وقادت رغبته في مواجهة البريطانيين إلى فصله وسجنه في الاستوائية؛ ووفقا لعبدالله تميم فرتاك زعيم الفروقي الحالي فان عيسى فرتاك نُقل إلى الفاشر لأنه كان يعلّم السجناء الآخرين القرآن.[٤٥]

وفي راجا عام ١٩٣٠ لم تكن آراء البريطانيين عن الإسلام أقل اضطرابا مما هي عليه الآن: كانت مرتبطة عندهم بالتلوّث والتعصب؛ وكانت هناك مخاوف من الاتجاهات المتشدّدة للدين واحتمال ان الإسلام قد ينشر تطلعات مثيرة للاضطرابات أو "العجرفة" وسط الجنوبيين. وقد عمدت السياسة الجنوبية إلى اعاقة انتشار اللغة العربية والإسلام بل وعمدت حتى إلى حرق الجلاليب البيضاء المقترنة بالثقافة العربية (B.G.P. 16.B.2). اصدر احد مفوضي المقاطعات البريطانيين، والذي كان حريصا بشكل خاص على مراقبة ملابس الرجال، الامر التالي عام ١٩٣٥:

> لاحظت بالرغم من مطالب متكررة بغير ذلك، ان كميات كبيرة من الملابس "العربية" ما زالت تُصنّع وتُباع؛ المرجو الانتباه في المستقبل إلى انه محظور تصنيع أو بيع مثل هذه الملابس. يجب ان تكون القمصان

.....

[٤٤] بعض هذه الرسائل اعيد نشرها في سيكينجا (١٩٨٣).

[٤٥] مقابلة مع زعيم الفروقي، عبدالله تميم فرتاك، راجا، مارس ٢٠١٠.

> بياقة وفتحة امامية على الطريقة الاوربية وليس برقبة مفتوحة كالتي يلبسها الفلاتا في دارفور. ويجب أيضاً عدم بيع الطاقية التي يرتديها العرب لتدوير العمامة حولها. ويجب عدم تصنيع ملابس عربية منذ اليوم؛ وأمامكم من الوقت حتى نهاية شهر فبراير للتخلص من الكميات التي بحوزتكم. وهذا الامر ينطبق على كل الوكلاء الخارجين والمالكين لماكينات الحياكة.[٤٦]

ان التفسير الشرس للسياسة الجنوبية ربما كان جزئيا ذا صلة بالشخصيات التي ارتبطت بها والذين تشير مراسلاتهم الغاضبة أحياناً بانه كان لهم مشاعر عاطفية دفعتهم إلى قمع تنوع المنطقة وانفتاحها تجاه النفوذ الخارجي.

استمرارية السياسة الجنوبية بعد إلغائها

استمرت السياسة الجنوبية لعام ١٩٣٠ لفترة قصيرة إلى أن تغيرت عام ١٩٤٦ حينما قام البريطانيون في مقاومتهم لمستقبل يربط السودان مع مصر باعادة دمج الجنوب في الإدارة الشمالية كجزء من استراتيجية تهدف إلى تدعيم وتوسع الدوائر المضادة للمصريين. لكن ظل صدى السياسة الجنوبية يتردد لوقت طويل بعد ذلك. وعقب الاستقلال، حينما قادت الانقسامات بين جنوب السودان والحكومة المركزية إلى حرب أهلية، كتب المؤرخون الوطنيون من نُخبة الخرطوم عن القمع البريطاني للثقافة العربية والإسلامية، لأجل التشديد على الجذور الاستعمارية للحرب الأهلية (عبد الرحمن، ١٩٦٦، ص ٢٢٧ – ٢٤٩؛ بشير، ١٩٦٨، ص ٥٢) وقد وُزِّعت الملفات البريطانية التي تنتمي لتلك الفترة بين موظفي الحكومة (السودانيين الشماليين) في الجنوب على اعتقاد ان هذا قد يعزّز الوحدة.[٤٧]

ولكن سياسة ١٩٣٠ تجد لها اليوم تأييداً من بعض الوطنيين الجنوبيين. وقد اثنى احد مسئولي حكومة جنوب السودان من الذين أجريت معهم مقابلات لهذه الدراسة على السياسة الجنوبية:

.....

[٤٦] خطاب من مفوض مقاطعة راجا الى السيد ايمانويل لاغوريتيس، وكيل ميسرز بابوتسيذيس في راجا، ٢١ يناير ١٩٣٥، مقتطف في (عبد الرحيم، ١٩٦٦، ص٢٣٤).

[٤٧] مجموعة من هذه الوثائق نُشرت دون معلومات ببليوغرافية تحت عنوان السياسة الجنوبية البريطانية في السودان. وقد ورد في تعريف مختصر: "ان الوثائق التالية من ارشيف الحكومة في الخرطوم قد استنسخت ووزعت بواسطة حكومة السودان لاستخدام الضباط العرب في دعاية قضية الجنوب. (هناك وثائق أكثر حول سياسة السودان الجنوبية كانت مكررة وغير صالحة للغرض.) وقد أخذت نُسخ من هذه الوثائق من مكتب الحكومة في الاستوائية بواسطة وطني جنوبي فر فيما بعد الى احدى الدول الافريقية المجاورة".

> بعض الناس قد يلومون الإدارة البريطانية لكن البريطانيين ساعدوا بشكل ما. واذا لم يكن هناك قيود شديدة فان تغلغل [الإسلام] كان سيكون بصورة أكبر.[٤٨]

بالنسبة لبعض المسلمين في راجا فان السياسة الجنوبية تذكرهم بوقت كان دينهم يُـرى بوصفه تهديدا لنظام السياسـة الجنوبية. وربمـا كان بعض كبار الضباط في الجيش الشعبي لتحرير السودان ما زالوا يشاطرونهم هذا الرأي:

> إن [قوات السودان المسلحة أو الجيش الحكومي] يريد تغيير الوضع السكاني في [غرب بحر الغزال]. وقد تلاعبت حكومة السودان بمركز ثقلنا، وهو وحدة الجنوب. ومنذ اليوم الأول [من الحرب الأهلية]، الذي وضع فيه الشمال قدمه في راجا اعتبر اعضاء بعض القبائـل مثل الكريش وفروقي انّهم، بسـبب دينهم، جزءاً من الشـمال. فالكريش وفروقي مسلمين واذا انت مسلم فيفترض انك عربي.[٤٩]

ان آراء الجيش الشعبي لتحرير السودان ليست موحّدة: للجيش الجنوبي ضباط كبار مسلمين وشماليين. ويعكس الجيش الشعبي لتحرير السودان بعض تناقضات سياسات الحركة الشعبية لتحرير السودان تجاه الإسلام والتي ورثت وأنشأت مؤسسات اسلامية لكل الجنوب لكن ما زالت لا تملك مجموعة واضحة من الادوار لهم. ويتبع العديد من مسلمي راجا التطورات في السياسة الإسلامية ويتخوفون من اي ربط لدينهم بأي تهديد للأمن الوطني.

ان السياسة الجنوبية ١٩٣٠ – ١٩٤٦ التي تم إهمالها منذ وقت طويل ما تزال لها وبشكل واضح استمراريتها. فبعد تحويل الحدود إلى حاجز ثقافي بين الافارقة والعرب – تظل السياسة الجنوبية أداة سياسية حيّة. لقد ظلت الثقافة دائما عنصراً من العناصر التي تعيّن الحدود بجانب العناصر الايكولوجية والاقتصادية: صنعت السياسة الجنوبية فصلا ثقافيا فيما كانت تهدف لقطع العلاقات بين مجموعتين سكانيتين متميّزتين ثقافيا حاولت ان تخلقهما.

ان الايمان بقيمة المحافظة على التمايز الثقافي والتركيز على عدم الثقة وعدم العدل بين مجموعات ثقافية مختلفة ينتقص من فهم استغلال الامكانيات والتجارب المشتركة عبر الثقافات؛ وما تزال الحدود الثقافية جزءاً قويا من الحسابات السياسية والامنية لكلا الجانبين اليوم. وتعتقد بعض المجموعات الهامة ان فكرة الاختلافات الثقافية التي لا يمكن تجسيرها، والمتضمنة في السياسة الجنوبية

.....

٤٨ مقابلة مع مسئول من حكومة جنوب السودان، حُجب الإسم، جوبا، مارس ٢٠١٠.

٤٩ مقابلة مع ضابط كبير من الجيش الشعبي لتحرير السودان، حُجب الاسم والمكان، يونيو ٢٠١٠

١٩٣٠ – ١٩٤٦، تعكس واقعا وتسعى إلى حدود افريقية – عربية واضحة. وينظر الفصل التالي إلى بعض هذه الحسابات السياسية والامنية عارضاً تاريخاً سياسياً للحدود منذ العصور قبل الاستعمارية وحتى اليوم.

٦ رسم المعالم: الحدود السياسية

في حقبة ما قبل الاستعمار كانت الحدود الجنوبية لدارفور قد تم تعريفها بمجموعة من عمليات هجرة وأشكال تعدي أكثر مما عن طريق خط أو نهر. وكان لصيّادي دارفور ورُعاتها ومُلاك الرقيق فيها وجامعي ضرائبها، جميعاً، حدوداً جنوبية لنشاطاتهم لكن هذه الحدود تحوّلت مع تغيّر الفصول أو مع الاستجابة للاسواق الاجنبية والامبراطوريات أو التغيّر الايكولوجي أو الثقافي. وكانت، "دارفرتيت"، على الجانب الآخر من التخوم، دائما متحرّكة ولم تكن مكاناً بالمعنى الكامل وانما كانت وضعيّة ذهنيّة"، كما كتب أوفاهي (١٩٨٢، ص ٨٢). وقد مثلت الحدود أفكاراً مثل القابلية للاسترقاق والتحول الايكولوجي أكثر مما مثّلت خطوطاً على خريطة.

وينظر هذا الفصل في تطوّر الحدود السياسية منذ ذلك الوقت. ويقدّم أدلة من مصادر ارشيفية حول فهم الحدود بين دارفور والجنوب في ظل كل نظام منذ القرن التاسع عشر.

رسم معالم الحدود من مرحلة ما قبل الاستعمار وحتى المهدية

يأتي احد اقدم المصادر المكتوبة عن الحدود السياسية لدارفور في سجل محمد بن عمر التونسي لرحلته إلى دارفور ووّداي في القرن التاسع عشر. ففي ١٨١١ لاحظ التونسي ان سلاطين ما قبل الاستعمار في وّداي ودارفور نصبوا عارضات حديدية لتوضيح حدودها (اوفاهي، ١٩٨٠، ص ٨٢). وقد جرى الاعتراض على حدود دارفور مع وّداي وكردفان، وقد يكون بعض الجهد السياسي قد ذهب في رسم معالمها. لكن خريطة التونسي لدارفور لم تُظهر حتى بحر العرب/ نهر كير ولم يشر إلى حدود: "الى الجنوب تنتهي دارفور إلى مساحات فارغة بينها وبين دار فرتيت" (التونسي، بدون تاريخ، ص١٣٦) وتغيّرت الهياكل السياسية عند الحدود: فسكان الحدود مثل الفروقي والداجو وبينا [ربما بينقة] والذين لكل منهم معتقداتهم، كانوا يخضعون لسلطان الفاشر أكثر مما يخضعون لإداري تعيّنه الفاشر (سانتاندريا، ١٩٦٤، ص١٦٧).

خلال التركية (١٨٢١ – ١٨٨٢)، حينما إجتاح بحر الغزال كيانات تقوم بدور الوكالة للدولة الجديدة في الخرطوم فإن التهديد العسكري الجنوبي غيّر طبيعة الحدود والحياة

السياسية لسكان الحدود. وقال الزبير باشا رحمة أحد أكثر الوكلاء الخصوصيّن أهمية في بحر الغزال في مذكرات سجلها ضابط بريطاني في القاهرة أنه "سيطر على البلاد وكل المناطق المجاورة حتى بحر العرب" مما يمثل اشارة للحدود التركية. لكن في نفس المذكرات اشار بأن مناجم النحاس في حفرة النحاس في الطرف الشمالي الاقصى من جيب كفيا قنجي "أعتبرت في دارفور" وليس بحر الغزال (جاكسون، ١٩١٣، ص ٣٠-٣٥). ووضع أوفاهي أيضاً حفرة النحاس بوصفها الحدود الجنوبية للسلطنة، وقد أوحت مصادره بأن غارات الاسترقاق الدارفورية لم تذهب بعيدا في الجنوب (أوفاهي، ١٩٨٠، ص١٣٧).

في عام ١٨٧٤ غزا الزبير دارفور من بحر الغزال وهزم سلطنة الفور. وبعد ٤ أيام من وصول الزبير إلى الفاشر عاصمة دارفور، وصل حاكم عام التركية من الخرطوم. وزعم الزبير انه استولى على السلطنة نيابة عن الحاكم المصري وبالتالي اسس لحق التركية في دارفور ودمجها في سودان التركية وتحويل الحدود الجنوبية لدارفور إلى حدود مديرية (ابراهيم، ٢٠٠٨، ص٩). وكتب قيسي حاكم التركية قبل الاخير لبحر الغزال بعد هزيمة الزبير اللاحقة راسماً بشكل ملتبس حدود مديريته الشمالية على امتداد بحر العرب / بحر الغزال:

> يمثل بحر العرب الحد الذي يفصل بين مديرية دارفور ومديرية بحر الغزال... كانت المحطات إلى الجنوب من النهر أيضاً تخضع لسلطان السلطنة. وللدقة في الحديث يجب ان اقول انه لا توجد حكومة مركزية هناك. كانت البلاد مقسّمة بين الزعماء الكبار، والذين كانت المديريات تعتمد عليهم... ولم يكن سلطان دارفور يتدخل ابداً في النزاعات الضاريّة التي تقع بين تابعيه، وكان يكفيه ان يدفعوا مساهماتهم بشكل منتظم ولم يكن يهتم بشيء آخر خلاف ذلك. (قيسي، ١٨٩٢، ص٢٩٧)

اقامت المهدية (١٨٨٢ – ١٨٩٨) لفترة وجيزة مديرية أو عمالة في بحر الغزال، وأقامت اخرى (بشكل أكثر دواما) في بحر الغزال قرب الموقع الذي تحتله الآن مدينة جوبا. ولم يكن لها سيطرة فعّالة على بحر الغزال: أُرسل قائد من قادة المهدية إلى دارفور عام ١٨٨٥ لمعالجة تمرد قامت به مجموعات من البقارة، وترك المنطقة وهي تتعرض لخطر التوغل البلجيكي في حفرة النحاس (١٨٩٤) والتوغل الفرنسي في بحر الغزال واعالي النيل (١٨٩٨). وكان غير العرب من جنوب دارفور يُعرفون بإسم اهل السودان أو السودانيين لتمييزهم عن العرب البقارة – مما يشير إلى ان حدود المهدية كانت ثقافية، وان فكرة القابلية الثقافية للاستعباد ظلت باقية على قيد الحياة خلال المهدية (الحسن، ١٩٩٥، ص ٣٠ – ٣١).

سيطر النظام الإنجليزي – المصري الذي يهيمن عليه البريطانيون، سريعا، على الجنوب بعد هزيمة المهدية؛ وقد قرّر البريطانيون في البداية، ولأسباب ماليّة بشكل أساسي، ان يحافظوا على استقلال دارفور الإسمي فاعترفوا بعلي دينار، وهو احد افراد العائلة الحاكمة في سلطنة دارفور، كسلطان يدفع مساهمة مالية للنظام الجديد في الخرطوم (ثيوبولد، ١٩٦٥، ص٣٠). وفي عام ١٨٩٨ اعلنت حكومة الخرطوم أنّها تعتبر بحر العرب / نهر كير في بحر الغزال كحدود جنوبية لدارفور، لكن لم يكن لها اي سيطرة فعّالة على المنطقة. وكما يبدو واضحاً انها لم توضح الحدود للسلطان دافع الجزية الجديد لدارفور (حكومة السودان، ٢٠٠٨، ص١٨٧). وفي عام ١٨٩٩ كتب على دينار إلى الحاكم يقول ان الحفرة (حفرة النحاس) والكارا وكل الغرب ينتمي إلى دارفور (ثيوبولد، ١٩٦٥، ص٣٥)؛ وبعد عامين من ذلك طلب مدّه باعلام مصرية وبريطانية كي يرفعها على حفرة النحاس منتويا من ذلك ان يظهر حقّه في المنطقة كدافع جزية انجليزي – مصري. وفي عام ١٩٠٣ أرسل السلطان احتجاجا إلى الخرطوم بشأن اول حملة بريطانية لحفرة النحاس. ولم يبلّغ الحاكم العام على دينار الا عام ١٩١١ أين تقع حدوده الجنوبية لكن دون توضيح كاف:

> فيما يتعلق بطلبك لتعيين حدود دارفور اود ان أُبلغك بأن الحدود ستكون مثلما كانت في السابق وستكون من ام شنقه إلى طوايشا ودار المعاليا ودار الرزيقات حتى بحر العرب؛ ثم كلاكا المولم ودار التعايشة والحدود السابقة مع برقو [مثلا ودّاي]) NA/ WO/106/14).[٥٠]

ان الأدلة المستمدة من الخرائط من هذه الفترة أكثر وضوحا من المراسلات الرسمية؛ وقد ادعت الحكومة الإنجليزية – المصرية احقيتها لكل الأراضي جنوب نهر امبلاشا الذي يصب في بحر العرب / نهر كير. وهذا يشمل حفرة النحاس، المستوطنة التي تقع جنوب امبلاشا. وغرب حفرة النحاس تمر الحدود شمال النهر في خط مستقيم مع الخط الفاصل بين نهري الكونغو والنيل. ان الأدلة الواردة في الخرائط المرسومة من هذه المرحلة غنية؛ ما زالت الجمعيات العلمية في اوربا مندهشة من عمليات استكشاف منابع النيل. والعديد من هذه الخرائط والاوراق قد عرضت في مذكرة حكومة السودان إلى محكمة التحكيم الدولية في لاهاي عام ٢٠٠٨ لمحكمة حدّدت

.....

٥٠ ثيوبولد (١٩٦٥، ص٤٣) يعطي التاريخ بانه ١٩٠١.

حدود منطقة أبيي التي تعتبر هي ايضاً جيب آخر يجب ترسيم حدوده وفقا لاتفاقية السلام الشامل.

توضّح مذكرة الحكومة ان حفرة النحاس كانت جزءاً من بحر الغزال طوال الفترة الاستعمارية: تجري الحدود في اقصى الغرب على امتداد المصدر الغربي للنيل بل وحتى إلى الشمال منه. لكن خلال هذه الفترة كان هناك تغيير في فكرة اعتبار بحر العرب / نهر كير حدوداً ولو في المنطقة إلى الشرق من المنطقة قيد الدراسة. وفي عام ١٩١٢ رعى البريطانيون اتفاقية بين الرزيقات ودينكا ملوال اعتبرت النهر (بحر العرب / نهر كير) حدودا قبلية. واطاح البريطانيون بعلي دينار وضموا دارفور إلى السودان الإنجليزي – المصري عام ١٩١٦ كجزء من حساباتهم المرتبطة بالحرب العالمية الأولى (صار جيب كفيا قنجي بمثابة ملجأ لجنود علي دينار المهزومين كما كان كذلك بالنسبة لجنود المهدية). وصارت حدود دارفور الجنوبية مرة اخرى حدود مديرية مما جعل عملية ترسيمها، في بعض المناحي، أقل عجالة وسمح بانتهاج ممارسات براغماتية لمشاكل الحدود. وكان احد الامثلة لهذه البراغماتية اتفاقية مونرو – ويتلي لعام ١٩٢٤ والتي منحت الرزيقات حقوقاً في الصيد والرعي في شريط يمتد ١٤ ميلا إلى الجنوب من بحر العرب / نهر كير. وقد افرغت المنطقة من السكان في اوج فترة تجارة الرق لكن دينكا – ملوال عادوا إلى هناك خلال حقبة المهدية (جونسون، ٢٠١٠). وربما كان اعتراف الاتفاقية البريطانية بحقوق الرزيقات في الرعي بمثابة جائزة لهم على قيامهم بخدمات عسكرية: استخدم البريطانيون جنوداً من الرزيقات كمليشيا قبلية خلال حملتهم للاطاحة بعلي دينار. وقد وضعت الاتفاقية في نهاية المطاف حدوداً ادارية لشمال بحر الغزال؛ وفي المنطقة الغربية شكّلت الأساس لحقوق ثانوية.

> للعرب إذن عام بدخول المنطقة الغربية لمديرية بحر الغزال للماء ورعي قطعان أبقارهم بين نهر سوبو شرقا ونهر شيليكا غربا، وشمال خط يقع على بعد نحو ٢٠ ميلا تقريبا جنوب نهر امبلاشا.
>
> يسمح للعرب بدخول المنطقة الغربية من بحر الغزال للصيد على ان يبقوا إلى الغرب من الخط الذي يمتد من سفاهة على بحر العرب وحتى نقطة اتصال نهري سوبو وبورو، وان يكون في حوزتهم إذن باللغة الإنجليزية من ناظر قبيلتهم. ويجب أيضاً ان يحصلوا على إذن من الزعيم المحلي الذي يرغبون في الصيد في بلده. (DR.P/66-B-45).

السياسة الجنوبية والانتقال إلى الاستقلال (١٩٣٠ – ١٩٥٥)

ان هـذا التقلُّـب في موضوع الحدود بين البراغماتية والعنف قد اسـتبدل فجأة في منتصف عشـرينيات القرن العشـرين بنظام مناطق مغلقة وأنظمة مرور، بلغت أوجها بانشاء منطقة بلا سكان في شمال مقاطعة راجا كجزء من صيغة شرسة للسياسـة الجنوبية تبناها بروك (انظر الفصل ٥) (B.G.P.16.b2)؛ وقد حدّت تدابير لاحقة من دخول الشماليين للجنوب: المقيمون السابقون في كفيا قنجي لا يُسمح لهم رسـميا بالعودة، حتى لو كانت لهم أسـر في القسـم الآخر مـن الحدود، لكن الهبّانية والفلاتا والرزيقات من رعاة الأبقار يتمتعون بحق المرور. إن "خط بروك"، الذي يمر غرب – شـمال – غرب بلدة كفيا قنجي قد أقيم عام ١٩٣١ كحد رعي لمجموعات البقارة التي تعبر إلى المنطقة (DP.R SCR 66-B-44).

لم يكن البريطانيون قادرين على الاشراف الأمني للمنطقة، وبدلا من ذلك قاموا بمراجعتها من خلال اجتماعات دوريّة بين المديريتين والتي كانت تُعقد في العادة في بلدة سفاهة الحدودية إلى الشرق مما يسمى الآن ولاية شمال بحر الغزال. وقد فكّروا في، وأجّلوا، إتخاذ قرارات حول مقترحات لأجل:

- (١٩٣٤) تحريك الحدود جنوبا إلى ٩ درجات و٤٥ دقيقة، الذي هو خط العرض لحفرة النحاس، مما يُدخل معظم الضفة الجنوبية للنهر داخل دارفور؛
- (١٩٣٤) بناء طريق إلى دارفور كي تستطيع مجموعتي بينقة وكارا العودة إلى جيب كفيا قنجي؛
- (١٩٣٩) اعادة النمو السكاني إلى المنطقة بتوطين أولاد العرب أو ماندالا أو الكريش، لأن الافتقار للزراعة يعني توسّع منطقة ذبابة التسي تسي مع ما لذلك من تبعات اقتصادية على رعاة الأبقار في دارفور؛
- (خمسينيات القرن العشرين) اعادة النمو السكاني للمنطقة بتوطين أولاد العرب، والمحافظة على المنطقة كجزء من بحر الغزال، لكن ادارتها بشكل واسع لخدمة مصالح الرعي في دارفور (SAD/815/7/12).

في عام ١٩٤١ تم تعديل اتفاقية مونرو – ويتلي لتُمدّد حقوق الرعي بمقدار مسيرة يوم كامـل جنوبا من خط بروك في بداية موسـم هطـول الامطار، وصار خط بروك أيضاً حدوداً للصيد بالنسـبة للمنطقة الواقعة شرق كفيا قنجي (غرباً، يمكن للصيادين

ان يذهبوا حتى حدود افريقيا الاستوائية الفرنسية) (SAD/815/7/10-11). وبدأ البريطانيون في تخفيف القيود على المجموعات ذات الصلة بكفيا قنجي التي تريد الرجوع إلى هناك من نهر امبلاشا. وفي عام ١٩٥١ كتب مبانغا شيمي زعيم بينقة إلى المسئولين البريطانيين متسائلا عما إذا كان يُسمح لأفراد بينقة من دارفور أن يستقروا مرة اخرى في كفيا قنجي، جاهراً بالشكوى من نظام الضرائب القمعي الذي يفرضه زعيم الهبّانية؛ وهدّد المسئولون البريطانيون بإجبار اي عائدين يأتون بشكل تلقائي من كفيا قنجي على الرحيل منها ولو اضطروا لحرق منازلهم، لكنهم (المسئولين البريطانيين) قالوا انهم سيناقشون الموضوع في الاجتماع السنوي للمديرية.[٥١]

ما زالت ادارة هذه الحدود تتطلب مفاوضات محلية منتظمة فيما يتعلق بحقوق الوصول، وذلك جزئيا لأنها بعيدة للغاية عن الشرطة. لكن لم يحدث تغيير للحدود الإدارية التي ظلت تجري على امتداد امبلاشا في الفترة البريطانية. لكن هذا حدث فقط عام ١٩٦٠ حينما حرّك أمر جمهوري الحدود بحيث أنها نزلت على نهر ريكي منشئة جيب كفيا قنجي.

نقل جيب كفيا قنجي إلى الشمال والوعد باعادتها، ١٩٦٠ – ١٩٨٩

بهذه النقطة يتغير السجل التوثيقي المتاح لهذه الدراسة من الوفرة الشديدة إلى التوثيق المختصر ثم إلى ما يبلغ مستوى عدم الوجود تقريباً. لقد اتخذت الحكومة العسكرية برئاسة الرئيس ابراهيم عبود قرار تحويل جيب كفيا قنجي إلى دارفور. لقد استولت الحكومة على السلطة عام ١٩٥٨ وذلك جزئيا بهدف استباق تحرك من اجل إقامة سودان فيدرالي، الامر الذي كان سيعطي حكماً ذاتيا لجنوب السودان، ثم اندفعت نحو الحرب. وقد عارض اهل راجا بشكل سرّي تغيير الحدود لكن فرص الاحتجاج كانت محدودة تحت ظل النظام الاستبدادي الجديد.[٥٢] وقد تكون الاسباب التي كانت دعت للتغيير ادارية: كان طاقم الموظفين البريطانيين في بحر الغزال يفكر أحياناً في نقل بلدة كفيا قنجي أو المنطقة المحيطة بها إلى دارفور بسبب تكلفة ادارة المنطقة البعيدة. وقد رفض الموظفون البريطانيون في دارفور بشكل عام ذلك؛ لكن تشارلس غولو حاكم غرب بحر الغزال ألقى خطبة في اجتماع للحدود عام ١٩٨٥ قال فيها أن التغيير الذي حدث عام ١٩٦٠ كان يمثل استجابة ادارية تتعلق

.....

[٥١] رسالة من السلطان مبانغا شيمي الى مستر آر سي اس مكفايل مينامبا، الثاني عشر من مايو ١٩٥١، ملحق ب (RAGA) WD/66-A-20/24.

[٥٢] مقابلة مع محمد وداعة الله، برلماني ومفوض ولاية بحر الغزال في لجنة الحدود، ابريل ٢٠١٠.

ببعد المنطقة.[٥٣] أما مناطق الحدود الأخرى التي أفرغت من السكان – مثل تمساح وئيري، التي هي وطن الاسلاف لمجموعة الفروقي التي تتحدث كاليجي، والواقعة قرب الحدود على خط مستقيم شرق جيب كفيا قنجي، فلم تُحوّل إلى دارفور.

بعد ٢٠ عاماً من قرار نظام عبود نقل جيب كفيا قنجي إلى دارفور الزمت حكومة جديدة في الخرطوم نفسها بالعودة إلى حدود ١٩٥٦، وهو التزام يتطلب إعادة المنطقة إلى بحر الغزال. وقد تم ترديد ذلك الوعد عدة مرات خلال الأربعين عاما الماضية لكن على مستوى الممارسة لم يحدث اي تغيير (انظر الشكل ٥).

نشبت الحرب الأهلية الأولى بين جنوب السودان وحكومة الخرطوم بين ١٩٥٥ – ١٩٦٢، طوال فترة نظام عبود العسكري (١٩٥٨ – ١٩٦٤) والمرحلة البرلمانية (١٩٦٥ – ١٩٦٩) التي تلتها. وانتهت الحرب عام ١٩٧٢ باتفاقية سلام اديس ابابا بين المتمردين والنظام العسكري الجديد للرئيس جعفر نميري (١٩٦٩ – ١٩٨٥). وكانت اتفاقية اديس ابابا هي الأولى من ثلاث اتفاقيات سلام بين الحكومة السودانية ومجموعات مسلحة ذات صلة بأعمال التمرد في جنوب السودان المطالبة بالعودة إلى حدود ١٩٥٦ (جمهورية السودان وآخرون، ١٩٧٢، المادة ٣ (٣)). ودعا سكان راجا وواو إلى عودة جيب كفيا قنجي في مذكرة عام ١٩٧٤ إلى لجنة حكومية حول الحدود الداخلية (لجنة لاعادة تقسيم المديريات الجنوبية، بدون تاريخ، القسم ٢، ص٣٨).

لم يكن إنفاذ الآليات الخاصة باتفاقية اديس ابابا مُجدولة زمنيّا بعناية كتلك التي وردت في اتفاقية السلام الشامل لعام ٢٠٠٥. ولم تُتخذ اي إجراءات قانونية لعودة جيب كفيا قنجي حتى وقوع الأزمة السياسية عام ١٩٨٠؛ وقد تم تقديم مسودة قانون للحكومات المحلية شمال السودان للمجلس الوطني ألحقت بها خريطة بها رسم معالم لخمس مناطق جديدة في الشمال. ووفقا لأحد التقارير المعاصرة:

> أظهرت الخريطة تجاوزات واضحة بل ومتعمّدة لأراضٍ بدت ظاهريا كجزء من الاقليم الجنوبي. وكانت المناطق المتأثرة هي مناطق كفيا قنجي وحفرة النحاس في بانتيو ببحر الغزال، حيث كان قد خُطط لانتاج النفط، ومنطقة الرنك المختلطة إثنيا وثقافياً، والمتنازع عليها، في مديرية أعالي النيل (بادال، ١٩٨٦، ص١٤٤).

.....

[٥٣] "خطبة اللفتنانت كولونيل كيوبو، سكرتير الاتحاد الاشتراكي السوداني ومفوض محافظة غرب بحر الغزال، في مؤتمر سفاهة، ١٥ يونيو ١٩٨٥". صورة غير مصنفة قدمتها اللجنة القائدة لكفيا قنجي، الخرطوم، ابريل ٢٠١٠.

الشكل ٦: حكومات ما بعد الاستقلال وقرارات الحدود

التاريخ	الحكومة	الحروب والحدود
١٩٥٦ – ٥٨	نظام برلماني، رئيسا الوزراء اسماعيل الازهري وعبدالله خليل	نقاشات لم تكتمل حول الفيدرالية الجنوبية، لا تغيير لحدود ١٩٥٦
١٩٥٨ – ١٩٦٤	حكومة عسكرية، الرئيس ابراهيم عبود	(١٩٦٠) تم نقل جيب كفيا قنجي من بحر الغزال إلى دارفور؛ (١٩٦٣) تمرد الانيانيا في الجنوب يبدأ عمليات في مقاطعة راجا؛ (١٩٦٤) تأسيس قيادة الانيانيا ببحر الغزال، هجمات واو
١٩٦٤	جبهة الهيئات – رئيس الوزراء سر الختم الخليفة	جهود غير مكتملة لانهاء تمرد الانيانيا
١٩٦٥ – ١٩٦٩	الفترة الديمقراطية الثانية، رئيسا الوزراء محمد احمد محجوب والصادق المهدي	تأجج الحرب في الجنوب بعد الفشل في محادثات السلام؛ بداية الغاء الإدارة الأهلية
١٩٦٩ – ١٩٨٥	حكومة عسكرية، الرئيس جعفر نميري (الاتحاد الاشتراكي السوداني)	(١٩٧٢) اتفاقية اديس ابابا بين الحكومة والانيانيا مع التزام بالعودة إلى حدود ١٩٥٦ بين الشمال والجنوب؛ (١٩٧٣) حكومة الاقليم الجنوبي؛ في سبعينيات القرن العشرين إلغاء الإدارة الأهلية؛ (١٩٧٩ أو ١٩٨٠ أو ١٩٨٢) انشاء حديقة الردوم الوطنية كمحمية محيط حيوي تابعة لليونسكو؛ (١٩٨٠ – ١٩٨١) تفشل اعادة تنظيم المديريات في اعادة كفيا قنجي إلى الجنوب؛ (١٩٨٣) حل الحكومة الاقليمية، تبدأ الحركة الشعبية لتحرير السودان تمرداً جديداً في الجنوب
١٩٨٥ – ١٩٨٦	حكومة انتقالية عسكرية، الرئيس سوار الدهب	١٩٨٥، رئيس الوزراء النذير دفع الله يتعهد باعادة تأهيل اتفاقية اديس ابابا لعام ١٩٧٢ والتي تعترف بحدود ١٩٥٦؛ (١٩٨٥) اول هجوم للجيش الشعبي لتحرير السودان على راجا

١٩٨٦ – ١٩٨٩	الفترة الديمقراطية الثالثة، رئيس الوزراء الصادق المهدي	تأجج الحرب في الجنوب؛ استعادة جزئية للادارة الأهلية؛ (١٩٨٦ – ٨٧) هجمات للجيش الشعبي لتحرير السودان على راجا)
١٩٨٩ – ٢٠٠٤	الانقاذ أو ثورة الانقاذ الوطني، الرئيس عمر البشير؛ من ١٩٩٧ يقودها حزب المؤتمر الوطني	تأجج الحرب في الجنوب؛ أسلمة ظاهرة للحرب؛ (١٩٩١) محاولة الجيش الشعبي لتحرير السودان غزو دارفور عبر راجا؛ (١٩٩١ – ٩٤) اعادة تنظيم الإدارة الأهلية وإدارة المديريات/الولايات؛ (١٩٩٥) توسيع منطقة محميّة حديقة الردوم الوطنية؛ (١٩٩٧) اتفاقية الخرطوم للسلام مع التزام بالعودة إلى حدود ١٩٥٦؛ (٢٠٠١) الجيش الشعبي لتحرير السودان يحتل راجا خلال فترة فصل الامطار؛ (٢٠٠٣) الحرب في دارفور؛ (٢٠٠٤) بروتوكول اتفاقية السلام الشامل حول تقاسم السلطة والإلتزام بالعودة إلى حدود ١٩٥٦.
٢٠٠٥ – الآن	حكومة الوحدة الوطنية المكوّنة من حزب المؤتمر الوطني والحركة الشعبية لتحرير السودان	(٢٠٠٥) وقف اطلاق النار في الجنوب؛ انشاء لجنة فنية لترسيم الحدود؛ (٢٠٠٦) اللجنة الفنية تبدأ اعمالها

المصدر: الكاتب

أجـاز مجلس الوزراء مشـروع القانون للمجلس دون أن يـرى الخريطة المرفقة، واحتج السياسـيون الجنوبيون بأن ذلك يشـكل انتهاكا لاتفاقية اديس ابابا للسـلام. وكرد على ذلك وقّع الرئيس أمراً في ٣١ ديسـمبر ١٩٨٠ يعترف فيه بأن الحدود بين الاقليم الجنوبي والشـمال يجب ان تظل كما كانت عليه عند الاسـتقلال عام ١٩٥٦ (بادال، ١٩٨٦، ص١٤٦ – ١٥١).

كان الرئيس نميري قد قدم مشروع القانون كرد على أزمة سياسية سيجرى تناولها في الفصل التاسع أدناه – وكانت النية من تعديل الحدود الداخلية ترمي لمساعدته في اجراء تعديلات في تحالفاته. ولكنه، في الحقيقة، كان يريد للأمر الصادر عنه ان يؤدي إلى انفاذ عودة المنطقة (جيب كفيا قنجي) إلى الجنوب. وقامت مجموعات من الهبانية بارسال عرائض له كي يحتفظ بجيب كفيا قنجي في دارفور اذ انهم كانوا يستخدمونها للصيد – ويُقال انهم ابلغوا الرئيس قائلين "نحن سنبيع أبقارنا ونشتري اسلحة لحمايتها"[٥٤] وكلّف نميري احمد ابراهيم دريج حاكم دارفور حينذاك، والذي كان قد عُين حديثا، بمهمة تعطيل عملية تنفيذ الأمر الجمهوري.[٥٥] وفي الجنوب، أنشأ المجلس التنفيذي الأعلى (وهو شبه حكومة اقليمية مستقلة) لجنة برئاسة إيسايا كولانج، حاكم سابق لبحر الغزال، لمتابعة تسليم المنطقة في مطلع ١٩٨١. وانفجرت الاحتجاجات في عدة مدن بدارفور عندما وصلت اللجنة إلى نيالا؛ واشعلت النيران في مباني المحكمة. فغادرت، في الحال، اللجنة التي كانت قد وصلت نيالا؛ وتم تأجيل تسليم المنطقة لأجل غير مسمى.[٥٦]

خلال الفترة بين ١٩٧٩ و١٩٨٣ تم اعتبار جزء من جيب كفيا قنجي حديقة وطنية وتم الاعتراف بها من قبل اليونسكو كمحمية محيط حيوي. (اعطيت تواريخ واماكن مختلفة للمحمية من قبل مصادر مختلفة)[٥٧].

عادت شركات التعدين إلى حفرة النحاس نحو هذا الوقت أيضاً.[٥٨] وليس واضحا لماذا قررت الحكومة تبني سياسة تركز على بعد جيب كفيا قنجي وعزلته بعد ان تم التنازع حوله. وقال يوسف تاكانا الذي كان حينذاك وزير زراعة لمديرية جنوب دارفور

٥٤ مقابلة مع احمد ابراهيم دريج، حاكم دارفور خلال الفترة ١٩٨٠ – ٨٣، اكتوبر ٢٠٠٩.

٥٥ مقابلة مع احمد ابراهيم دريج، حاكم دارفور خلال الفترة ١٩٨٠ – ٨٣، اكتوبر ٢٠٠٩.

٥٦ مقابلة مع علي تميم فرتاك، مستشار رئاسي ووزير فيدرالي سابق وحاكم سابق لبحر الغزال، عضو في لجنة المجلس التنفيذي العالي لعام ١٩٨١، مايو ٢٠١٠.

٥٧ اليونسكو (٢٠٠٧) أورد تاريخ ١٩٧٩ ؛ يوسف تاكانا الذي كان حينذاك وزير زراعة لمديرية جنوب دارفور اورد تاريخاً في ١٩٨٢، مقابلة، ٥ مايو ٢٠١٠. انظر ايضا مقتطفات من تقرير باللغة العربية عن تجارة المخدرات في محمية الردوم للمحيط الحيوي، انظر الحاشية السفلية ٤.

٥٨ مقابلة مع عامل منجم متقاعد، ابريل ٢٠١٠.

وارتبط اسمه بقرارات تتعلق بتعيين شرطة الصيد" "في ذلك الوقت لم يكن في ذهني ابداً ان هذا الامر يتعلق بالحدود".

بالرغم من الخلاف حول عودة كفيا قنجي إلى الجنوب تواصلت الاجتماعات السنوية بين مسئولي بحر الغزال ودارفور في البلدة الحدودية سفاهة؛ وكانت هذه الاجتماعات قد تأسست في العهود البريطانية واستمرت خلال الحرب الأهلية الأولى وحتى مطلع ثمانينيات القرن العشرين.[١٠] وكانت دائما تُعقد في فبراير أو مارس

> "تغطي النقاشات تنظيم المراعي وحلّ النزاعات والمعارك القبلية والاحتكاكات بين القبائل في المراعي وتأسيس علاقات طيبة بين قادة القبائل اينما تكون هناك مشكلة. ويلتقي القادة لخمسة ايام ويذبحون الخراف ويأكلون مع بعضهم البعض ويرقصون ويشارك في اللقاء كل قائد من قادة القبائل والاداريين، بمن فيهم الحاكم، الذي كان يُسمى في ذلك الوقت مفوضاً".[١١]

توقفت الاجتماعات في فترة وجيزة بعد الحرب التي اعقبت إنطلاقة الحركة الشعبية / الجيش الشعبي لتحرير السودان عام ١٩٨٣ ضد حكومة نميري في الخرطوم بعد ان عطّل نميري، أو ابطل، اتفاقية سلام اديس ابابا. وقد قاد التمرد، بجانب أزمة اقتصادية ذات صلة، إلى اسقاط نظام نميري؛ لكن موضوع جيب كفيا قنجي والموضوع الاوسع الخاص بالحدود لم ينالا اهتماماً كبيراً من النظام الانتقالي ومن النظام البرلماني الذي حل محله.

التطورات منذ ١٩٨٩

استمر النظام البرلماني لأربع سنوات، حتى أطاح به عام ١٩٨٩ انقلاب عسكري بقيادة الرئيس الحالي عمر البشير. وكان أحد أهداف الانقلاب هو تأجيج الحرب ضد المتمردين الجنوبيين. أُستُبعد النقاش حول الحدود الشمالية – الجنوبية وجيب كفيا قنجي بسبب الحرب. وفي عام ١٩٩٥ وسّعت حكومة البشير المنطقة المحمية من حديقة الردوم الوطنية إلى مداها الحالي، الذي يبلغ تقريبا ١٢٥٠٠ كيلو متر مربع

---

[٥٩] مقابلة مع يوسف تاكانا، وزير فيدرالي سابق بالتعاون الدولي ومفوض سابق لدارفور، الخرطوم، مايو ٢٠١٠.

[١٠] مقابلة مع زعيم نياقولقولي، محمد احمد مادبو، راجا، مارس ٢٠١٠.

[١١] مقابلة مع علي نميم فرتاك، مستشار رئاسي ووزير فيدرالي سابق وحاكم سابق لبحر الغزال، مايو ٢٠١٠.

مـا أدى إلى نزوح سـكان منطقـة اقصى الغرب. وتم حظر الصيد وصيد الاسـماك واسـتخدام الآلات الزراعيـة وحتـى طواحين الدقيق، مـا أدى إلى مزيـد من العزلة للمنطقة وإلى إفراغها من السكان.[١٢]

في منتصف تسعينيات القرن العشرين صارت الحكومة أكثر انخراطا في مفاوضات السلام مع مجموعات جنوبية مسلّحة. وكانت عدة مجموعات يعود اصلها إلى تمرد الحركة الشعبية لتحرير السودان قد صارت من حلفاء الحكومة. وفي عام ١٩٩٧ أبرمت الحكومة اتفاقية الخرطوم للسلام مع تلك المجموعات وانشأت اتفاقية الخرطوم للسلام مجلسا للولايات الجنوبية داخل حدود ١٩٥٦ – والتي تتطلب عودة جيب كفيا قنجي إلى بحر الغزال. واعترفت اتفاقية السلام الشامل لعام ٢٠٠٥ أيضاً بحدود ١٩٥٦ كحدود للاقليم الجنوبي للحكم الذاتي وأنشأت مفوضية فنية لترسيم الحدود (جمهورية السودان وآخرون، ١٩٩٧، الفصل ١؛ حكومة السودان والحركة الشعبية لتحرير السودان، ٢٠٠٥، بروتوكول اقتسام السلطة، المادة ٣ (٥)).

تسبّب الأمر الجمهوري لعام ١٩٨٠ باعادة جيب كفيا قنجي في إثارة احتجاجات في دارفور. وفي عام ٢٠١٠ اطلق حاكم جنوب دارفور، عبد الحميد موسى كاشا عدة تصريحات دافعا بشدة بالقضية في اتجاه ملكيّة دارفور لحفرة النحاس.[١٣] وفي أواخر ٢٠١٠ فشل طرفا اتفاقية السلام الشامل في الاتفاق على الحدود، وقد تكون تصريحات الحاكم كاشا قد اعتبرت مؤشراً بأن ملكية كفيا قنجي كانت ما تزال موضوع خلاف.

قبل العهد الإنجليزي – المصري لم تكن هناك معالم مرسومة للحدود الجنوبية لدارفور والتي يرجّح ان ينتهي نطاق نفوذها على مسافة لا تبعد كثيرا عن جنوب نهر امبلاشا وبحر العرب / نهر كير. وفي القرن العشرين زعم سلطان دارفور ان حفرة النحاس تنتمي إلى دارفور لكن نيّة السلطان في رفع اعلام الحكم الثنائي هناك ربما كانت تعني انه يعتبرها محطة حدود– وقد يتضمن زعم السلطان انه اعترف بباقي المنطقة كمجال آخر. وقد رفض البريطانيون زعم السلطان بملكية حفرة النحاس وبالتالي بأيّ زعم له في بقية جيب كفيا قنجي. وكان النظام الإنجليزي – المصري هو أول نظام يُقدم على ترسيم الحدود في بحر الغزال: يسير الخط على امتداد امبلاشا وبحر العرب / نهر كيري؛ وقد ادى قرار صدر عام ١٩٣٠ بانشاء حدود ثقافية بمحازاة

.....

[١٢] مقابلات مع سكان من جيب كفيا قنجي، مارس ٢٠١٠ ؛ مقابلات مع اعضاء لجنة تسيير كفيا قنجي، مجموعة مواطنين يقيمون في الخرطوم من المنطقة ويسعون الى اعادتها لجنوب السودان، ابريل – مايو ٢٠١٠.

[١٣] الاذاعة السودانية، (٢٠١٠) ؛ عبد العظيم (٢٠١٠).

الحدود السياسية إلى تعقيد الوضع منشئا جيبا حول كفيا قنجي بلا سكان وغنياً بالمعادن وسهلا من حيث التبادل التجاري. وتم تحويل الجيب إلى دارفور عام ١٩٦٠، ربما لأسباب ادارية. لكن الحكومات اللاحقة في الخرطوم كلها وقّعت اتفاقيات سلام تتطلب عودة الجيب إلى الجنوب؛ وفي وثائقها التي قدمتها لمحكمة التحكيم الدولية في لاهاي اعترفت الحكومة الحالية ضمنا بهذا الوضع.

٧ اقتصاديات الحدود والمعنى الاجتماعي للطرق، ١٩٣٠ – ٢٠١٠

دفعت السياسة الجنوبية ١٩٣٠ – ١٩٤٦ بعض الاداريين البريطانيين ليكتبوا رسائل تهديد إلى تُجّار في مدينة راجا حول أسلوب الزي العربي للرجل. وقد حجب مثل هذا الانشغال بتنظيم الرموز الثقافية تحولاً تاريخيا أكبر كان قد حدث في ذلك الوقت. ان توسع سلطة الدولة الذي احدثته الطرق والسيارات، التي أدخلت سكانا كانت قد حُرقت مساكنهم في السابق في انظمة الضرائب وفي الاسواق لأجل العمل والحصول على الحبوب، لم تكن دائما لمصلحتهم. وكان تعبيد الطرق جزءا أساسيا في هذه العملية؛ فالناس في اقصى غرب بحر الغزال، الذين كانوا يعيشون في أودية الانهار، أعيدوا إلى القرى الواقعة على امتداد طريق شُيّد في الغالب بجهدهم هم. وقد استطاع الزعماء المحليون تسهيل تقديم خدمات جديدة مثل التعليم الحديث لكنهم صاروا أيضاً زعماء عصابات لأعمال تشييد الطرق وجامعي ضرائب من السكان حديثي الإقامة. وفي مجتمع الاعاشة خلقت ضريبة الرأس حاجة للنقود وكان العمل القسري أو عمل الضرائب هو الطريق الوحيد لتسديد ضريبة الرأس؛ وكانت الهجرة للعمل داخل بحر الغزال وما ورائها تمثل استجابة أخرى لمطالب الحاجة للنقود التي جلبتها الطرق. وغيرت الهجرة العلاقات الأسرية وساعدت في انتشار مجموعات اللغات الصغيرة عبر السودان.

كان للطرق الممتدة من راجا معانٍ اجتماعية واسعة: فالهجرات التي بدأت على تلك الطرق تحكي قصة مختلفة عن المشروع الانعزالي الثقافي للسياسة الجنوبية. وكان للطرق أيضاً معاني اقتصادية ولكنها تقوّضت بخلق السياسة الجنوبية للحواجز الثقافية التي أعاقت تنمية العلاقات التجارية. وكانت السياسة مثالاً للتناقضات الاستعمارية التي كان هدفها الاساسي هو الزيادة أو التحكم في انتاجية المناطق الهامشية بجلب ضغوط السوق العالمية ليقع عبئها على كل ركن من أركان السودان. لكن الاعتبارات السياسية – الحاجة لمنع تطور مشاعر وطنية لتعزيز المجتمعات السياسية والثقافية المحلية – اعاقت أحياناً التنمية الاقتصادية.

بُنيت الطرق من راجا بعد عام ١٩٣٠ اثناء خمود العديد من الحروب التي كانت قد شُنّت في بحر الغزال منذ خمسينيات القرن التاسع عشر. وربما لم يكن الإستخدام العسكري للطرق حاضراً بشكل واضح أوان تشييدها لكنه صار ملحوظا حينما انتهى الهدوء المؤقت قرب حلول استقلال السودان عام ١٩٥٦. ومع ان الطرق كانت قد بُنيت بعد أن كانت قد أكملت التهدئة العنيفة لجنوب السودان إلاّ أن تشييدها مع ذلك كان بمثابة عملية قسرية: كان عنف الدولة في قلب التنمية الاقتصادية لغرب بحر الغزال والتي اعقبت بناء الطرق. ان عملية اسكان النازحين على امتداد هذه الطرق، والتي نظمتهم كقوة عمل ودمجتهم في الاقتصاد النقدي، كانت تتطلب جُاح عنف الدولة.

كانت التنمية الاقتصادية والتغيير الاجتماعي والفعل القسري للدولة كلها عمليات متصلة ببعضها البعض ساعدت الدولة المركزية السودانية في تشكيل هامشها. ويسعى هذا الفصل لتوضيح هذه العمليات المتصلة ببعضها وذلك من خلال النظر في الطرق في مقاطعة راجا؛ ويقدم هذا المظهر من تاريخ راجا مقارنة لتحليل عمليات تشييد واهمال الطرق في دارفور والذي ساعد في جعل دارفور منطقة هامشية منفصلة لمركز الدولة نفسها.

نوع جديد من الاقتصاد في بحر الغزال

في عام ١٩٣٠، وقبل ان تُخرق بلدة كفيا قنجي بواسطة مساعد مفوض المنطقة البريطاني كان لها سوق صغير به ٢٤ تاجرا من شمال السودان (CS/16-B.1/4، ص. ٢٠)؛ كان هناك درب يربطها بالردوم جنوب دارفور، وهو الطريق التجاري الرئيسي شمالاً والذي تُحمل عليه صادرات متواضعة (شمع العسل والشطة وزيت السمسم) إلى الاسواق الشمالية. وقد عنى إغلاق بلدة كفيا قنجي وسوقها التخلي عن خطط لطريق يربط راجا بدارفور وهو بمثابة فقد اقتصادي لحكومة تبرر جزئيا الاغلاق على أساس الاعتبارات المالية (B.G.P. 16.B.2). وكان أكثر من مجرد فقد لعائدات الضرائب: كان لكفيا قنجي سكان ينشرون أنظمة الاسواق وطلبها في منطقة قليلا ما تستخدم فيها النقود ويتحكم في اسعارها الزعماء والمفوضون. ودُفع الناس نحو سوق العمل لأنهم يحتاجون للنقود لدفع ضرائب المقاطعة، والتي كانت من بين أعلى الضرائب في السودان في ذلك الوقت (SAD/710/65). في عام ١٩٣٩ كانت الضرائب السنوية في راجا ٢٠ قرشا بينما كانت في الردوم ٥ قروش: أدخل الكثير من سكان راجا السجن حيث يستطيعون العمل بمبلغ قرش واحد في اليوم لدفع ضرائبهم (العامل غير الماهر خارج السجن كان يحصل على قرش ونصف في

اليــوم (No. 66 A 20/21). وعــزا احد حكام دارفور رفض افــراد قبيلتي كارا وبينقة مغــادرة دارفور لنظام العمل في الجنوب، والذي له خصائص أكثر قربا بنظام العمل الفرنسي البلجيكي القسري أكثر مما له علاقة بضرائب الرأس في دارفور.

> كان [شعب بينقة] قبل اعادة تنظيم [كفيا قنجي] متوحشين وصعبة ادارتهم وشديدي الكراهية للاستقرار على الطرق. واعتقد ان رفضهم للعودة يعود لكراهيتهم لنظام العمل الضرائبي الحالي ببحر الغزال وليس في دارفور، أكثر مما يعود للسياسة الجنوبية، والزواج المختلط مع التعايشة وارتباطهم بديارهم التقليدية (B.G.P./SCR/8-A-3).

كانت السياسة الجنوبية في المقاطعة الغربية (ولاية غرب بحر الغزال الحالية) قد نفذت من خلال توطين كل سكان المقاطعة على امتداد طريق يمتد من واو إلى بورو مدينة، وهي بلدة قرب الحدود مع افريقيا الفرنسية الاستوائية. وكانت الطرق قد وُجدت حول راجا قبل وصول البريطانيين، وقد استخدم الزبير باشا إحداها في غزوه لدارفور. لكن حتى ثلاثينيات القرن العشرين كانت هناك دروب: قدّم الحمّالون خدمات المواصلات للعديد من مشاريع الدولة. وفي عام ١٩٣٩ خطّط البريطانيون لتصفية المستعمرة من الحمّالين القادمين من خارج واو الذين كانوا يقدمون هذه الخدمات (SAD/710/22).

كان هدف الطريق من واو إلى بورو مدينة ادارياً وثقافياً أكثر منه اقتصادياً. ولم يُحسّن طرق الوصول إلى الاسواق مع ان النهج البريطاني الجديد كان يحتاج لأن ينجح استخدام النقود. وقد انتهى البريطانيون إلى استدرار هذه النقود من خلال عمل الطرق القسري في القرية وهدفوا إلى قمع حالات الهجرة للعمل (كان المهاجرون يسمون "هاربين") وذلك لأجل المحافظة على "وحدات عرقية مكتفية ذاتياً" (بشير، ١٩٦٨، ص١١٥). كفلت هذه التناقضات ألا تعيش هذه السياسة طويلاً، مع انها خلقت طلبا جديدا للعمل في عدد قليل من المتاجر خلال عقدين من السلم الاستبدادي. وتمت صيانة الطرق بواسطة المواطنين المحليين وتحت توجيهات الزعيم؛ وكانت معظم الطرق تقريبا مأهولة بالسكان: الأمر الذي يمثل قدرا من الانجاز في منطقة عانت الكثير من عمليات التفريغ السكاني المتعمدة.

بحلول عام ١٩٤٦ رُفعت القيود عن السفر شمالاً وزادت التجارة. وبعد الاستقلال بدأ الاقتصاد النقدي في الانطلاق. وتزوّجت احدى بنات زعيم أجا بمهر يبلغ ٣ قروش فقط عام ١٩٥٩؛ وكانت العناصر الأخرى للمهر، مثل الادوات الزراعية والتبرع بالعمل،

ما تزال أكثر اهمية حينذاك.[١٤] لكن في ستينيات القرن العشرين بدأت راجا في تصدير الذرة الرفيعة والسمسم والكسافا عبر الطريق الذي يتجه شرقا إلى أويل، وهي المدينة التي تسكنها أغلبيّة من الدينكا والواقعة في السهول الفيضانية. (في اربعينيات القرن العشرين كانت الحكومة والهيئات التبشيرية في راجا تحصل على الحبوب المصدرة من أويل).[١٥] وقد صارت النقود أكثر استخداما في الزواج – بحلول ستينيات القرن العشرين، فقد دفع احد تجّار راجا مبلغ ١٠٠ جنيه سوداني قديم كمهر.[١٦] وغيّر توسع الطرق والقرى والمدن الصغيرة ملامح المجتمع.

الاستقلال والحروب الجديدة في الجنوب

حتى عام ١٩٦٠ كان الطريق الرئيسي من شمال السودان إلى واو هو الطريق الذي يعود تاريخه إلى ايام تجّارة الخرطوم في الرق: وهو (الطريق) يتكون من باخرة إلى ميناء مارشا الريك على النيل الابيض، ثم السير براً حتى مدينة واو. وفي عام ١٩٦٠ انشأت جمهورية السودان حديثة الاستقلال خطي سكة حديد إلى مدينة واو ونيالا فربطت جنوب دارفور وبحر الغزال بالبنية التحتية للخرطوم. وقد يكون طريق راجا المرتبط بنهاية خط السكة الحديدية في واو قد صار أكثر اهمية اقتصاديا.[١٧] لكن لم تمض سوى سنوات قليلة حتى بدأت حربٌ أهلية في الجنوب ذات صلة بمشاكل دمج معظم مناطق السودان الطرفيّة الهامشية ضعيفة التنمية في دولة مركزية. وبلغت الحرب راجا نحو عام ١٩٦٣، وسيتم التطرق لنقاشها بشكل أكثر في الفصل التالي.

خلال حروب القرن التاسع عشر والنزوح تحت وطأة العنف في ثلاثينيات القرن العشرين اختار الناس في بعض الاوقات ان يتراجعوا إلى الغابة أو يعبروا خط تقسيم المياه من أو إلى حوض النيل. لكن يبدو ان الطريق ادى إلى تغيير الاوضاع: في حروب ستينيات القرن العشرين فرّ عدد قليل من الناس إلى الغابة أو عبروا خط تقسيم المياه إلى جمهورية افريقيا الوسطى، والتي حصلت على استقلالها عام ١٩٦٠. وقد استخدم معظم الناس الطرق للفرار إلى المدن – أو اجبرهم الجيش على التحرك

.....

[١٤] مقابلة مع النور فضل، زعيم اجا، راجا، مارس ٢٠١٠.

[١٥] مقابلة مع اركاجلو موسى البينو، رئيس حزب المؤتمر الوطني والمفوض السابق لمقاطعة راجا ٢٠٠٠ – ٢٠٠٥، مارس ٢٠١٠؛ SAD/529/1/5.

[١٦] مقابلة مع طاهر جمعه نائب رئيس حزب المؤتمر الوطني، غرب بحر الغزال، مارس ٢٠١٠.

[١٧] مقابلة مع علي تميم فرتاك، مستشار رئاسي ووزير فيدرالي سابق، وحاكم سابق لبحر الغزال، الخرطوم، ابريل ٢٠١٠؛ مقابلة مع كاميلو كامين شرف الدين، قائد سابق في حركة الانيانيا، راجا، مارس ٢٠١٠.

إلى المدن، لأجل حرمان المتمردين من كسب التأييد الشعبي.[١٨] وكانت الحرب الأهلية، مثلها مثل السياسة الجنوبية، فعّالة بشكل كبير في مساعدة الدولة السودانية على بلوغ أهدافها بالنسبة لمقاطعة راجا. كانت السياسة الجنوبية قد دفعت الجميع إلى الطرق: واجه الجيش السوداني التمرد عن طريق دفع الناس نحو المدن. وقد وصف اشخاص، اجريت معهم مقابلات، العملية بانها ليست عملية نزوح وانما عملية تهجير (وقد استخدمت الكلمة نفسها في وصف السياسة المهدية بدفع قبائل كاملة إلى العاصمة القومية). وفي بلد لها أكثر من كلمة لوصف النزوح الناتج عن الحرب فان اختيار الكلمة يشدد على ان دور الدولة يُعتبر هاماً.

ان التحول المؤلم للإقامة في المدن قد تسببت فيه الحرب التي بدأت في مطلع ستينيات القرن العشرين، وكان له تأثيرات ثقافية واسعة النطاق. وفي المقابلات التي اجريت عام ٢٠١٠ كانت التأثيرات الثقافية واحدة من أكثر عمليات التغيير الاجتماعي التي يتذكرها سكان راجا. وصار استخدام اللغة العربية كلغة محلية مشتركة أكثر انتشارا بينما بدأت بعض اللغات تموت.

ان الطريق الذي كان قد أقام الناس على جانبيه على طول المسافة تقريبا بين بورور مدينة وواو صار فارغا، ولم يعد معظم السكان حين عاد السلام عام ١٩٧٢. وقد ترك افراد مجموعة يولو، من قرية ديم جلاب الواقعة غرب راجا، قريتهم عام ١٩٦٥؛ وعاد نحو ٨٠٠ منهم بعد عام ٢٠٠٢ بطلب من زعيم قبيلتهم حسن نجيري سيبان. وكانت المحافظة على لغة يولو دافعاً لعودتهم؛ وما زالت مجموعات الغناء الخاصة بمجموعة يولو تغني في الاحتفالات اغانٍ عن عودتهم. وفرّ أفراد مجموعة آجا إلى راجا من كبارا كبارا على بعد ٢٠ ميل غرب المدينة ولم يعودوا ابدا.[١٩]

بعد اتفاقية السلام لعام ١٩٧٢: طريق جديد شمال راجا

منحت اتفاقية اديس ابابا للسلام عام ١٩٧٢ جنوب السودان نحو عشر سنوات تقريبا من السلام. وفي راجا حاول بعض الناس عكس اتجاه عمليات النزوح التي شهدتها في ثلاثينيات القرن العشرين مما ادى إلى إقامة بعض الطرق الجديدة إلى الشمال. وفي القرن التاسع عشر كان العديد من مجموعات الفروقي ورزيقات بحر

[١٨] مقابلة مع اركاجلو موسى البينو، رئيس حزب المؤتمر الوطني والمفوض السابق لمقاطعة راجا، ٢٠٠٠ – ٢٠٠٥، راجا، ٢٠١٠.

[١٩] مقابلة مع حسن نجيري سيبيان، زعيم يولو، راجا، ٤ مارس ٢٠٢٠؛ ترجمة لاغنية يولو قامت بادائها مجموعة غائبة من يولو بمناسبة زيارة رئيس الجمهورية الى راجا، ١٥ مارس ٢٠١٠؛ مقابلة مع النور فضل، زعيم يولو، راجا، ٧ مارس ٢٠١٠.

الغزال يعيشون جنوب الحدود مع دارفور؛ بما في ذلك المناطق الواقعة حول مستوطنة تمساح بجانب جبلين هما جبل إيري وجبل تمبيلي. وبعد المهدية تحركوا تدريجيا في اتجاه الجنوب إلى راجا، لكن في أواخر ستينيات القرن العشرين قرر بعضهم الرجوع إلى منطقتهم القديمة حيث الزراعة جيّدة (سانتاندريا، ١٩٦٥، ص١٤٥). وتعتبر تمساح اقرب إلى مدن جنوب دارفور مثل الضعين منها إلى واو؛ كما ساعدت الصلات التي أقامها الفروقي ورزيقات بحر الغزال العائدين في توجيه مقاطعة راجا نحو الاسواق الشمالية والشماليين.

ان الطريق من راجا إلى تمساح هو نفس الطريق الذي استخدمه الزبير باشا لغزو دارفور عام ١٨٧٤. وقد صار غير مستخدم في القرن العشرين؛ وفي الحرب الأهلية الأولى كان المرجح ان يستخدم جيش حكومة الخرطوم طريق كفيا قنجي القديم والذي كان هو الطريق الطويل للشاحنات حتى ثمانينيات القرن العشرين.[٧٠] وقد جاءت قوة الدفع لبناء طريق جديدة من حرب جديدة هي تمرد الحركة الشعبية لتحرير السودان، والذي بدأ عام ١٩٨٣. وفي عام ١٩٨٤ فجّر الجيش الشعبي لتحرير السودان جسرا للسكة الحديد على نهر لول على الخط الذي يربط واو بالشمال. ومع انه تم اصلاح الجسر واستمر خط السكة الحديد (مع استخدام اساليب شديدة الوحشية ضد التمرد) فان الهجوم قد اظهر ضعف مدينة واو امام الثوار الجنوبيين.[٧١] وقد ساند على تميم فرتاك، حاكم بحر الغزال آنذاك وعضو إحدى العائلات القائدة من الفروقي (الى جانب الحكومة)، جهود تحسين الطريق من راجا إلى تمساح. ووفقا لبعض من اجريت معهم مقابلات فان بعض الشخصيات في الحكومة المركزية عارضت تطوير طريق الزبير والذي كان قد احدث في السابق تغييرا دراماتيكيا في التاريخ السوداني.[٧٢]

لكن مجموعات راجا، وبمساندة من وجهاء الفروقي ومسئولي الحكومة مثل علي تميم، استطاعوا ان يشيدوا الطريق بأنفسهم. وكان التوم النور، وهو مقاول خاص ومسئول في الاتحاد الاشتراكي السوداني مشاركاً أيضاً في الموضوع. وكان والده من ندوقو وهي مجموعة صغيرة من الفرتيت تعيش غرب مدينة راجا، وقد رحل إلى كردفان وتزوج أمه من المسيرية الذين يعيشون هناك. وفي عام ١٩٨٤ كان التوم، الذي يعتبر الآن من السياسيين المقيمين في الخرطوم والمعارضين للجيش الشعبي لتحرير

.....

[٧٠] مقابلة مع اشخاص على طريق راجا – بورو مدينة الذي كان يؤدي الى كفيا قنجي، مارس ٢٠١٠.

[٧١] مقابلة مع مارك نيبوك، جنرال في الجيش الشعبي لتحرير السودان وحاكم لولاية غرب بحر الغزال خلال الفترة ٢٠٠٦ – ٢٠٠٩، مارس ٢٠١٠؛ مقابلة مع علي تميم فرتاك، مستشار رئاسي ووزير فيدرالي سابق، وحاكم سابق لبحر الغزال، الخرطوم، ابريل ٢٠١٠.

[٧٢] مقابلة، حجب الاسم والمكان، مارس ٢٠١٠.

السودان واللواء في القوات المسلحة السودانية، قد كوّن قوات السلام، وهي مليشيا مساندة للحكومة ساعدت في الاستيلاء على مقاطعة راجا وطرقها للحكومة خلال كل الفترة اللاحقة من الحرب تقريبا. واستطاع التوم النور، بمساندة على تميم ان يُقنع زعماء انديري والفروقي وشات لتزويده بمن يؤدون عملا مجانيا. وشارك عمال من هذه القبائل في مشروع قد يُذكِّر كبار السن بالتعبئة البريطانية للعمل. لم تستخدم أدوات تنفيذ ميكانيكية وبقي الطريق غير معبّد – تحتاج فيه الشاحنة لأكثر من يوم للوصول من راجا إلى تمساح، في مسافة تبلغ ٩٠ ميلا.

الطرق خلال الحرب الأهلية ١٩٨٣ – ٢٠٠٥ وبعد اتفاقية السلام الشامل

تم تمديد طريق تمساح لاحقا حتى الضعين، وهي بلدة في جنوب دارفور مرتبطة بالعائلة القائدة لقبيلة الرزيقات، وصار الطريق الرئيسي للامدادات بالنسبة للحكومة في المناطق الغربية من الجنوب المزَّق بالحرب. كانت مليشيا قوات السلام التي يقودها التوم النور تُموَّل بواسطة رسوم حماية على قوافل الشاحنات التي يقودها رجال دارفوريون وكردفانيون تُنظَّم في راجا لتسافر إلى واو – ٥٠ بل وحتى ١٠٠ شاحنة في المرة الواحدة. وتم توسيع الطريق فيما تزايدت الحركة كما تم ترفيع السوق في راجا.[٧٣] وكانت اللواري تزوّد الحاميات والبلدات وفي بعض الاحيان كانت تنقل شحنات الكسافا والبامبي والسمسم والفول السوداني وأخشاب التيك والمهوقني إلى الشمال.[٧٤] كان الطريق يسمى "شريان الحياة" لأهميته الاستراتيجية لحرب الحكومة في بحر الغزال ولفرص الوصول للسوق التي يتيحها؛ وسيطرت قوات السلام على الطريق خلال كل فترة الحرب تقريبا. ويتذكر التوم النور وجود معارضة معينة للطريق حينما عبر الحدود الثقافية والأيكولوجية في مقاطعة راجا، لكنه يتذكر أيضاً الامكانيات التي جلبها الطريق:

> كان لورانس وول وول حاكما لمدينة واو. كتب لورانس خطابا غاضبا يقول فيه أنني اجلب الإسلام إلى واو. لكن بعد ستة اشهر كانت هناك مجاعة في واو، ووصلت ٨٠ شاحنة.[٧٥]

.....

[٧٣] مقابلة مع عبد الحميد حسن جيلي، رئيس غرفة راجا التجارية ٢٠٠٧ – ٢٠١٠، مارس ٢٠١٠

[٧٤] مقابلة مع التوم النور لواء بالقوات المسلحة السودانية وقائد مليشيا قوات السلام، ١٩٨٤ – ٢٠٠٦، مايو ٢٠١٠.

حينما جمعت الحروب المصالح المحلية بمصالح الحكومة المركزية صارت مجموعات في الأطراف قادرة على اخذ مبادرات ذاتية الموارد مثل إقامة طريق راجا تمساح. وقد جلبت الحرب الثروة مع الطريق: صار فرض ضريبة التنمية على البضائع وفرض رسوم على شحنات اللواري هو المصدر الأساسي لعائدات الحكومة المحلية.[٧٦] وخلال الحرب تمتعت راجا بطفرة: كبلدة صغيرة على طريق امداد حيوي، ويمكن ان يكون لها في سوقها في كل وقت نحو ٥٠ شاحنة متوقّفة. ولكن السلام أنهى هذا النمو الاقتصادي واليوم قد يعتبر وقوف ١٠ شاحنات في ميدان السوق عددا كبيرا[٧٧] ان الطريق الحسّاس إلى الشمال، والذي كان ذات مرة شريان حياة للقوات المسلحة السودانية يعتبر الآن منطقة عسكرية مغلقة بالنسبة للاجانب وتتخلّله نقاط تفتيش ومعسكرات. وعادة ما تكون الشاحنات المتجهة شمالا فارغة لأن تجّارة بحر الغزال مع الشمال الآن تسير عبر طرق وخطوط سكة حديد كردفان.

يظهر طريق راجا تمساح الطريقة التي تتشابك بها التنمية بالنزاع في السودان. وقد شهدت الحرب الأهلية ١٩٨٣ – ٢٠٠٥ توسيع عدد من الدروب والطرق الأخرى مع تنقل السكان. وفي أواخر ثمانينيات القرن العشرين بدأ بعض سكان دارفور يهاجرون إلى المناطق الاقل كثافة سكانية شرق جيب كفيا قنجي. ان فرقه وسيري وملقه والتي كانت مستوطنات صغيرة لليولو في هذه المنطقة قد عاد الفرتيت للاستقرار فيها. [٧٨] وانتقل مزارعون بقارة من قبائل الهبانية والرزيقات إلى حيث توجد الأرض والماء حول تمساح لزراعة الذرة الرفيعة للتصدير إلى دارفور (مع ان بعضهم يمكثوا فقط لنثر البذور والحصاد ثم يقضون بقية الوقت في دارفور).[٧٩] وقدّمت سلطات ولاية جنوب دارفور في الردوم قدراً صغيراً من الاستثمار في هذه المنطقة، ربما كجزء من خطة للتوسع في السيطرة الدارفورية على المنطقة، كما موّلت جمعية الهلال الاحمر السودانية تعبيد طريق من تمساح إلى فرقه نحو عام ٢٠٠٠. وكان ذلك مثالا آخر للعلاقة الوثيقة بين الحرب والتنمية – موارد تعبيد الطريق جاءت من ميزانيات العون الانساني التي أتت للمنطقة بسبب النزاع.

أُنتُخِب رزق زكريا حاكما لبحر الغزال عام ٢٠١٠. وحين كان زكريا ضابطاً من ضباط الجيش الشعبي لتحرير السودان قاد الهجوم الناجح على راجا عام ٢٠٠١، مما أدى إلى

.....

[٧٦] مقابلة مع جوزيف فلنتينو، مدير ضرائب، مقاطعة راجا، مارس ٢٠١٠.

[٧٧] مقابلة مع تجار في سوق راجا، راجا، مارس ٢٠١٠.

[٧٨] مقابلات مع مسكين موسى عبد المكرم، المدير التنفيذي، تمساح، مقاطعة راجا، ٢٠ مارس ٢٠١٠؛ مقابلة مع سليمان حسين عبدالله، زعيم سارا، فرقه، ٢١ مارس ٢٠١٠.

[٧٩] مقابلة، حجب الاسم والمكان، ابريل ٢٠١٠.

نزوح العديد من اهل راجا إلى دارفور. وحينما اعادت قوات الحكومة احتلال البلدة بعد بضعة شهور حذّر زكريا السكان من ان القوات المسلحة السودانية ستفرض ضرائب باهظة مما تسبب في آخر موجة نزوح كبيرة من راجا. وفرّ العديد من الناس إلى طمبره في غرب الاستوائية الواقعة تحت سيطرة الجيش الشعبي لتحرير السودان أو إلى جمهورية افريقيا الوسطى وفرّت حفنة صغيرة من الهاربين المرعوبين من المعارك إلى الغابة لكن قلة منهم بقيت هناك لمواصلة طريقة حياة جدودهم في الغابة. وذهب معظم الفارين خلال القرن الواحد وعشرين إلى معسكرات لجوء – وهو مثال آخر على تفشي الحياة الحضرية التي جلبتها الطرق.

في عام ٢٠٠٤ امر زكريا قوات الجيش الشعبي لتحرير السودان ان تشق طريقا من طمبره إلى ديم زبير كي يستطيع الفرتيت الذين جاءوا مشرّدين إلى طمبره ان يعودوا مباشرة إلى ديارهم. ووفقاً لضابط بالجيش الشعبي لتحرير السودان كان في طمبره حينذاك فان زكريا أراد إيجاد طريق مباشر إلى مقاطعة راجا بهدف عدم تشجيع الناس على العودة عبر واو حيث قد يشعرون باغراء الاستقرار في حياة مدينية. وأكد بعض من أُجريت معهم مقابلات بأنهم على خلاف غيرهم من النازحين فان عودتهم إلى راجا لم تُدعَّم برحلات جو كمساعدة إنسانية والتي قد كانت ستمر عبر مراكز حضرية.[٨٠] وكان يُنظر إلى نازحي طمبره بوصفهم جمهور من انصار الحركة الشعبية في منطقة حدود حسّاسة كثقل مضاد للمجموعات التي شقت طريقها بدلا عن ذلك إلى دارفور، وقد تصير من انصار حزب المؤتمر الحاكم نتيجة لذلك. وكانت الطرق تساعد في تعزيز الاختلافات السياسية بين مجموعات الفرتيت: بين من ذهبوا إلى دارفور ومن ذهبوا إلى الاستوائية. وبالنسبة لبعض النازحين عام ٢٠١٠ فان اثنيّتهم كانت عاملا في اختيارهم للجهة التي ساروا نحوها.

تطوير الأطراف: الطرق والسكك الحديدية في جنوب دارفور

تظهر قصة طُرُق راجا الطريقة التي ظلت تتطور بها الأطراف. لقد ظل النمو الاقتصادي ونمو البنيّة التحتية متشابكين بشكل حتمي مع الحرب. وهي تظهر أيضاً الطريقة التي تكونت بها الأطراف: كيف تصير أرض بعيدة عن المدن معرّفة بعلاقتها بمركز جديد. وتقدم طرق جنوب دارفور توضيحا آخر للتطور الطرفي.

.....

٨٠ مقابلات، حجبت الاسماء والاماكن، مارس ٢٠١٠.

في مطلع ستينيات القرن العشرين ربط خط سكة حديد جديد يمتد الى نيالا في غرب دارفور هذه الأراضي النائية بالمركز. وقاد هذا إلى إحداث طفرة في المحاصيل النقدية في منطقة كانت الزراعة فيها في السابق في درجة دنيا والعيش يبلغ حد الكفاف. وكانت الزراعة تاريخيا مقترنة بالعبودية – وهي صلة توثّط فيها، دون جلبة، مسئولو الحكومة الإنجليزية – المصرية في دارفور بإسم النظام الاجتماعي. وكان الأرقاء في الغالب من بحر الغزال، وقد دُمجوا بشكل بطيء في مجتمع البقارة (بعض أوامر العتق يعود تاريخها إلى خمسينيات القرن العشرين) (هارقي، ١٩٩٩، ص ٢٥٤ – ٢٦١).[٨١] وفي المقابل فان الزراعة، منذ ستينيات القرن العشرين، اخذت معنىً جديداً بعد ان فتحت مزارع أكثر انتاجية مدخلا إلى الاقتصاد النقدي وإلى شبكات هامة اجتماعيا (آدمز، ١٩٨٢، ص٢٦٣ وما بعدها). "وهذا حينما صار الرقيق اسيادا"، حسب ما قال يوسف تاكانا، وهو أكاديمي ووزير حكومة سابق يعتبر عضواً في العائلة القائدة في برام.[٨٢]

وبينما غيّرت الزراعة كمحصول نقدي التراتبية المهنية فان هناك ثمة تطورات اخرى ساهمت هي أيضاً في تحويل المنطقة. لقد عجّلت سلسلة من مواسم الجفاف منذ أواخر ستينيات القرن العشرين بالهجرة من شمال دارفور إلى جنوبها، خصوصا وسط مجموعة الزغاوة والذين كانت معيشتهم تتمركز حول رعي الابل والزراعة. وفي عام ١٩٧٣ اصدر الرئيس نميري امراً يؤيّد فيه انتقال مجموعة من الزغاوة من المناطق المتأثرة بالجفاف في شمال دارفور إلى جنوب دارفور. وقد نالت الخطوة تأييد بعض قيادات الزغاوة (دوفال، ١٩٨٩، ص٩١ والصفحات التالية).[٨٣] وتحرك العديد منهم إلى تربة القوز بجنوب دارفور والتي صارت مناسبة أكثر للزراعة النقدية مع ادخال الآبار (ادخلت بشكل واسع في المشاريع الحديثة من سبعينيات القرن العشرين) (دوفال، ١٩٨٩، ص١٠٢). وحصلت الأراضي الفارغة شمال جيب كفيا قنجي على قيمة جديدة كما حصل سكانها على تنوع عرقي جديد.[٨٤]

ان زيادة قيمة الأرض والتنوع الاجتماعي عملتا بشكل جيد لصالح الجميع في البداية، لكنهما في النهاية ساهمتا في نزاعات الأرض المتصلة بالحرب الأهلية الحالية

.....

[٨١] مقابلة مع عضو في عائلة الهبانية القائدة.

[٨٢] مقابلة مع يوسف تاكانا، وزير فيدرالي سابق للتعاون الدولي ومفوض سابق لدارفور، الخرطوم، مايو ٢٠١٠.

[٨٣] مقابلة مع محمد علي، مواطن من نيالا.

[٨٤] مقابلة مع يوسف تاكانا، وزير فيدرالي سابق للتعاون الدولي ومفوض سابق بدارفور، الخرطوم، مايو ٢٠١٠.

في دارفور التي بدأت عام ٢٠٠٣. وهناك عامل آخر يكمن خلف هذه الحرب الأهلية سيتم تناوله أكثر في الفصل ١٠، هو الافتقار للتنمية في المنطقة مما قاد إلى ظهور حركات دارفورية اقليمية، مثل حركة نهضة دارفور التي يعود تاريخها إلى ستينيات القرن العشرين. وفي سبعينيات القرن العشرين حاولت خطط تحديث زراعية مجابهة تخلف التنمية الاقتصادية في دارفور، لكن عمليات الجفاف الافريقية والازمات الاقتصادية العالمية في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين حالت دون تحوّل هذه الخطط إلى واقع واجرف السودان في فترة حرب أهلية وأزمة اقتصادية ممتدة.

تقوّضت وعود التنمية في أراضي القوز في جنوب دارفور بانفجار الحرب وخفض الاستثمارات. وسعت بعض المجموعات في المنطقة إلى الاستفادة من فرص اقتصادية جديدة، اتاحتها الحرب وليس التوسع الزراعي. وساهمت أزمة سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين في انفجار الحرب الأهلية الثانية، حينما التحقت بعض المجموعات الدارفورية، بما في ذلك عناصر من الرزيقات، باقتصاد الحرب المفترس بشكل شرس في سهول الفيضانات بالجنوب. وهذه المليشيات التي نُشرت لحماية خط السكة حديد حتى واو أنشأت ستة أميال من الأرض المحروقة على كلا الجانبين محطمة بشكل استراتيجي اقتصاد الدينكا القائم على الأبقار وقاعدته الاجتماعية.[٨٥] ان الدينكا، خصوصاً النساء والاطفال، قد تعرضوا للاختطاف واستُخدِموا في العمل القسري، في ممارسة تُذكِّر بتجارة الرقيق في القرن التاسع عشر (جوك، ٢٠٠١، ص٢١ والصفحات التالية). ونجت راجا بشكل كبير من اقتصاد النهب هذا لكن الدارفوريين هناك استطاعوا ان يشاركوا في اقتصاد حرب مختلف من شاحنات وعمليات اكتناز. لكن لا الشاحنات ولا النهب في الجنوب يستطيع ان يعالج تخلف دارفور المزمن في التنمية. وقد أضعف التعافي البطيء للسودان من الأزمة المالية العالمية في سبعينيات القرن العشرين من فرص الاستثمار في الأطراف لثلاثة عقود من السنوات (البنك الدولي، ٢٠٠٣، ص٤٦).

منع ضعف شبكة المواصلات في دارفور التنمية الاقتصادية. وفي عام ٢٠٠٩ كانت تكلفة ترحيل خروف من مدينة نيالا بدارفور وحتى السفينة في بورتسودان تساوي نصف قيمة الخروف في السوق (البنك الدولي، ٢٠٠٩، ص٧٩)؛ ووافقت حكومة الانقاذ التي أتت إلى السلطة في انقلاب عام ١٩٨٩ على إقامة طريق الانقاذ الغربي الذي يربط دارفور بالبنية التحتية لوادي النيل. وموّلت حكومات ولايات دارفور وكردفان الطريق ببيع نصيب الولاية من السكر، لكن خلال الاعوام الـ١٣ الماضية لم يتقدم

.....

٨٥ مقابلة مع مارك نيبيوس، لواء في الجيش الشعبي لتحرير السودان وحاكم لولاية غرب بحر الغزال في الفترة من ٢٠٠٦ – ٢٠٠٩، مارس ٢٠١٠.

الطريق إلى غرب النهود في كردفان.[٨١] وقد ألهم السكر بعض مرارات الشعر غير المستغربة. التي تقول إحدى رواياتها:-

نحن في الغرب طالبين الزلط
وقلنا نبادل السكر بالزلط
والسكر ما احلى من الزلط
لكنا لا لقينا سكر ولا زلط
لا تكذبوا علينا.. الكذب يشبه الزلط
وعدتونا بعد سنتين يجينا الزلط
وفاتت عشرة سنوات وما جانا الزلط
(توبيانا، ٢٠٠٩، ص١٩٥ – ٢١٨)

ان المجتمعات التي أُعيد تشكيلها في القرن العشرين استجابة للقوى الاقتصادية العالمية تطلّبت استثمارا موازيا في الطرق لأجل توسيع اقتصاديات السوق المحلي وربطها بالنظام العالمي. وحيثما كان هناك ضعف في مثل هذه التنمية المتعلقة بالبنية التحتية فان الناس يُجبرون على السعي لوسائل بديلة لجلب دخل. ويعتبر النهب والهجرة الاستراتيجيتين المشتركتين في تسعينيات القرن الماضي مع ان الاستراتيجية الأولى كثيرا ما كانت تعتبر مربحة أكثر – وكما يشير التعبير في اللغة العربية فإن "نهب يومين ولا اغتراب سنتين" (ابراهيم، ٢٠٠٨، ص١٨٣).

يعتبر النهب والهجرة طريقتين للتعامل مع الأزمة الاقتصادية في الأطراف. كما تعتبر المخدرات طريقاً آخر: فهي بخلقها تجارة ذات حجم صغير من سلع مرتفعة القيمة تسمح للناس بالالتفاف حول العقبات التي تحول دون الوصول إلى الأسواق التي تقيّد معظم سبل العيش الأخرى في هذه المنطقة. وفي جيب كفيا قنجي البعيد والمقطوع عن حركة الشاحنات لنصف العام فان زراعة المخدّرات تعتبر استراتيجية هامة. وقد وجدت دراسة اجريت عام ١٩٩٤ في جنوب دارفور وبحر الغزال ان زراعة الحشيش بدأت في المنطقة في اربعينيات القرن العشرين وسط مزارعين من قبائل رونقة وبرنو وتنجر. وكانت المزرعة الأولى في قرية الموارايا شمال الردوم في منطقة تسكنها مجموعات اولاد عرب من كفيا قنجي. ووصل تجار من الضعين ونيالا والابيّض في خمسينيات القرن العشرين وبدأت زراعة الحشيش في الانتشار وتحسن مستوى

.....

[٨١] مقابلة مع مسئول حكومي سابق، الخرطوم، اكتوبر ٢٠٠٩.

التجهيز المحلي للمخدرات ومكاتبها وصارت بعض القرى مقترنة بهذا المحصول الواحد. وتفاوت حجم المزرعة ما بين ٠,٤ – ٦,٣ هكتار. وبينما تعتبر محاصيل الارز والكبكبي والسمسم عالية جدا فان الفرص المحدودة للاسواق بالنسبة لهذه المحاصيل التقليدية زادت من شهرة زراعة الحشيش. وقد وجدت دراسة عام ١٩٩٤ ان الحشيش يُزرع في ١٨٢ مزرعة تغطي نحو ١٠٠ هكتار تقريبا؛ وأنّه أنتج نحو ٦٤,٣٨٥ كيلو جرام ذلك العام بلغت قيمتها ٢٦,١ بليون جنيه سوداني أي ما يساوي ٤٧ مليون دولاراً امريكياً في ذلك الوقت (محمد وآخرون، ١٩٩٨، ص١١٤ – ١٢١).

وأُجريت دراسة أُخرى في أواخر تسعينيات القرن العشرين بعد توسيع المحميّة الطبيعية في جيب كفيا قنجي. وقدّم هذا القرار (قرار توسيع المحمية الطبيعية) قيوداً قانونيّة على الزراعة التقليدية ودفع الناس إلى جمع العسل والصيد وزراعة المخدرات. ووجدت الدراسة ان المستثمرين من الخارج (معظمهم من دارفور) قاموا بتمويل معظم زراعة المخدرات.[٨٧] ويتجه الانتاج عادة إلى الاسواق المحلية، وقد صار جزءاً هاماً من التجارة في بعض مدن جنوب دارفور. وقال احد الوعاظ الذين جرت مقابلتهم لأغراض هذا الكتاب: "تحدثت في مسجد ابو مطارق عن مخاطر المخدرات فقالوا "أأنت مجنون؟ الجميع هنا يعتمدون على تجارة المخدرات"".[٨٨]

طرق وأطراف المستقبل

توجد معظم طرق الاسفلت في السودان في شمال وادي النيل، الذي يعتبر القلب الاقتصادي النابض للدولة. وتطلّبت اتفاقية السلام الشامل إحداث تغيير في العلاقة بين هذا المركز والأطراف. وقد أسست (الاتفاقية) حكومة مستقلة في أفقر اقليم، الجنوب؛ كما أنشأت مفوضية لوزراء المالية على مستوى الولاية – لجنة المخصصات الضريبية والمالية والرصد – والتي ستضع إطاراً لاستثمار موارد الخرطوم في الأطراف (توماس، ٢٠٠٩، ص٣٠). ودُمجت تلك اللجنة في اتفاقيات السلام اللاحقة التي كان الهدف منها هو الوصول إلى نهاية للانتفاضات الأخرى في دارفور وشرق السودان (جمهورية السودان وجبهة الشرق، ٢٠٠٦، المادة ٦٣؛ جمهورية السودان وآخرون، ٢٠٦ المواد ١٢٠ – ١٢٦). وما زالت معدلات الاستثمار في مواصلات

.....

[٨٧] في مقتطفات من تقرير بالعربي عن تجارة المخدرات في محمية الردوم للمحيط الحيوي التي يبدو انه قد امرت باجرائه وزارة الزراعة والثروة الحيوانية في ولاية جنوب دارفور في نهايات تسعينيات القرن الماضي، قدّم بواسطة مسئول منظمة غير حكومية هو أيضا عضو حزب المؤتمر الوطني في الردوم.

[٨٨] مقابلة مع واعظ مسجد، الخرطوم، مايو ٢٠١٠.

دارفور حتى اليوم مُحبِطة بينما استثمرت الحكومة الجديدة لجنوب السودان موارد كبيرة متفوّقةً في أدائها على أداء الادارات السودانية الشمالية والبريطانية السابقة خلال خمس سنوات متعاقبة وقصيرة.[٨٩]

غيّرت طرق حكومة جنوب السودان الجديدة بحر الغزال وتم ترفيع الطريق من راجا إلى اويل عام ٢٠٠٨. وهناك طريق غير مسفلت يمتد من المجلد في كردفان إلى واو رابطاً جنوب السودان بشبكة الطرق المرصوفة المتمركزة في وسط السودان في شمال وادي النيل. وتشيّد الهيئة المتعاقدة على إنشاء طريق المجلد الآن طريقا تُقام عليه اربعة جسور من الحديد الصلب يمتد من واو إلى راجا.[٩٠] وهذا الطريق له امكانية تحويلية: من المرجح ان ينهي نظام التخزين حيث كان الطعام يتكدّس في نهاية الموسم الجاف وترتفع الاسعار في المدن التي تعزلها فيضانات الانهار، وهو نظام يحوّل النظر من فجوة الجوع التي تظهر خلال الفترة قبل الحصاد إلى تسليط الضوء على السنة المالية. وسيجذب هذا الطريق منطقة راجا إلى اقتصاد المناطق الجنوبية النائية وبعيدا عن مناطق دارفور ووادي النيل حيث كانت قد لعبت دور الوسيط.

كانت طرق بحر الغزال في الماضي قد بُنيت في ظل مشاريع تعسفية للدولة أو خلال حروب. اما الطرق التي بنيت في فترة اتفاقية السلام الشامل المعقدة والمتوترة فقد ما يزال لها منطق عسكري، لكنها هذه المرة بُنيت بواسطة شركات وليس عن طريق العمل القسري غير مدفوع الأجر الذي يؤديه السكان المحليين. وقد تعاقدت حكومة جنوب السودان مع شركة كفؤة بشكل استثنائي، هي شركة ايات اويل فيلد سريفزيس المحدودة لبناء الطرق وقد تأسست الشركة عام ٢٠٠٤ واتخذت من الخرطوم مقراً لها ونجحت في قطاع خدمات النفط السوداني الشائك؛ وتشتكي مصادر حكومة جنوب السودان من الصلات بين هذا القطاع وبين الحزب الحاكم في الخرطوم. ووضع بيان مهمة إيات في لغة متفائلة معترف بها دوليا:

> مهمتنا هي دفع عجلة التنمية في السودان إلى الامام بلا هوادة عن طريق إقامة البنية التحتية الرئيسية ومشروعات التنمية. تأسست إيات اويل فيلد سيرفزيس المحدودة عام ٢٠٠٤ بغرض تنمية وتطوير البلاد في مختلف الحقول، وهي شركة مملوكة بنسبة ١٠٠ ٪ للسودانيين بها ٢٠٠ موظف. أنا فخور بأن أقول إن إيات تقف الآن بوصفها أكبر شركة في السودان وثاني أكبر شركة في أفريقيا من حيث الأجهزة والمعدات.

.....

[٨٩] الاستثمار في المواصلات والطرق يمثل ١٢,٤ ٪ من ميزانية ٢٠٠٨ التكميلية في الجنوب، وزارة التخطيط المالي والاقتصادي (٢٠٠٨، ص٥)

[٩٠] انظر http://www.eyatoil.com/RB/Projects.html#

> ونحن نفتخر بالتجرؤ على الدفع في حدود ما هو ممكن؛ وبكلمات اخرى فان ما تم إنجازه من قبل إيات في جنوب السودان من حيث الطرق والجسور لا يقل عن ان يعتبر من "المعجزات". وسنواصل محاولتنا في تطوير بلادنا العظيمة بكل وسيلة ممكنة الآن ودائما... (البشير ٢٠١٠)

اختارت حكومة جنوب السودان إيات لمواصفاتها العالمية وعلاقاتها بالخرطوم لبناء طرق شديدة الحساسية شمالا: في ٢٠٠٨ بلغت تعاقدات حكومة جنوب السودان مع إيات نحو ٤٩٪ من مجمل التعاقدات المنشورة المتعلقة بالمواصلات والبنية التحتية (وزارة التخطيط المالي والاقتصادي، ٢٠٠٨، ص٢٢). وهذا مؤشر حي ومتفائل بشكل غير متوقع للعلاقات الاقتصادية المستقبلية بين حكومة جنوب السودان وشركات شمالية ذات علاقات وطيدة. وهو أيضاً مؤشر لمستقبل علاقات العمل: فبدلا من ارغام العمال المحليين فإن الحكومة تستأجر جهات خارجية لتأتي وتعمّر الجنوب.

ان هذا التفاؤل والاحساس بالتغيير يتناقض مع الأدلة المتاحة بشأن المستقبل الاقتصادي لدارفور. ويعتبر "تطوير البنية التحتية الملموسة التي ستحسن فرص وصول ولايات دارفور إلى اسواقها الرئيسية وإلى باقي أجزاء السودان والدول المجاورة" أحد الالتزامات الواردة في اتفاقية سلام دارفور لعام ٢٠٠٦ التي شكّلت نهاية العدائيات بين الحكومة وأحد أكبر فصائل المتمردين في دارفور، الذي هو جيش تحرير السودان بقيادة ميني أركو منّاوي، الذي تنحدر معظم قواته من مجموعة الزغاوة الاثنية. (حكومة السودان وآخرون، ٢٠٠٦، المادة ١٤٧ (٦)). وقد تحقق قدر قليل من التنمية خلال السنوات الأربع الماضية منذ توقيع الاتفاقية. ووفقاً لأحد الرزيقات من الذين أُجريت معهم مقابلات فان حكومة جنوب السودان طلبت من القيادة القبلية الموافقة على طريق من سفاهة، البلدة الحدودية الواقعة على بحر العرب / نهر كير، إلى الضعين وطن ناظر الرزيقات. ووافق قادة الرزيقات لكن حكومة الخرطوم قالت لا:

> "قال شباب الرزيقات – الآن يستطيع الجيش الشعبي لتحرير السودان ان يصل إلى النهر إذا وقعت أزمة لكنك (الحكومة) لا تستطيعي"
>
> "لماذا رفضت الحكومة طريق الضعين؟"
>
> "لأنهم لا يريدون ان يكون للحركة الشعبية لتحرير السودان وجود في المجتمع".[٩١]

.....

[٩١] مقاطعة مع شخص من الرزيقات، حجب الاسم والمكان، مايو ٢٠١٠.

٨ بحر الغزال ودارفور في حرب السودان الأهلية الأولى واتفاقية السلام

جرت الحرب الأهلية التي نشبت بين جنوب السودان والحكومة المركزية في خمسينيات وستينيات القرن العشرين في منطقة كان الانتماء العرقي فيها هو الأساس في النظام السياسي المفروض من الخارج على امتداد قرن من الزمان. وقد أيّد اغلب مواطني راجا الحرب ضد المركز وأجبر معظم السكان الذين كانوا يقيمون على الطريق ان ينزحوا للمدن. وساهمت الحرب في ان يجد اهل راجا انفسهم على صلة بسياسة جنوبية أوسع، لكن في نهاية الحرب ظهرت إلى السطح اشكال توترلم تسجل من قبل بين الفرتيت في راجا وسكان سهول الفيضانات النيليين.

كان ذلك بمثابة تحول نحو السياسة الاثنية في أطراف السودان. وكان البديل الوحيد للسياسة الاثنية في ذلك الحين هو رؤية تستند إلى تنمية وطنية حديثة. وقد وعدت مشاريع التنمية في الأراضي الحدودية لجنوب دارفور في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين بسودان مختلف. لكن المشاريع انهارت في أزمة اقتصادية عالمية وجّهت ضربة قوية للبلاد. وفي دارفور وجنوب السودان بدأت الحكومة المركزية في إعادة تشكيل الأطراف على أساس سياسات الهوية بدلا من الرؤية التنموية الوطنية، وبذلك هيأت المسرح لانفجار جديد للحرب. ويفحص هذا الفصل هذه التطورات من ١٩٥٥ إلى ١٩٨٣.

أنيانيا الأولى – اول حرب أهلية في السودان بعد الاستقلال

في عام ١٩٥٥ كان البريطانيون يستعدون لمغادرة السودان وكان الضباط البريطانيين والمبشرين في الجنوب قد أُستبدلوا بموظفين شماليين. وعبر الاستوائية ترافقت الاضطرابات وأعمال التمرد بمولد نظام جديد. وبعد قمع هذه الانتفاضات قصيرة الأجل شارك سياسيون جنوبيون في مؤسسات سياسية جديدة في الخرطوم مؤيدين اجراء اقتراع برلماني على استقلال فوري للسودان (والذي تحقق عام ١٩٥٦) ودافعين أيضاً من اجل قيام ترتيبات فيدرالية لجنوب السودان. وأدى قيام انقلاب عسكري عام ١٩٥٨ إلى انهاء هذا النقاش، وقاد إلى برنامج لدمج الجنوب في صيغة

الخرطوم التي تتصوّرها للأمة. وتأجّجت سياسات الارغام التي كانت لا تزال موجودة منذ العهد الاستعماري، مثل ضريبة الراس والعمل القسري وسلم الاجور المتدنية للجنوبيين من خلال برنامج يتسم في نهاية المطاف بالقسوة ويفتقر للحساسية في مجالات التعريب والأسلمة استهدف المتعلمين الجنوبيين بنقلهم إلى خارج الجنوب وبالسجن والتعذيب والاغتيال (قرنق، ١٩٧١، ص١؛ رينتج، ١٩٦٦، ص٣٤). وعلّق ابيل أليير الذي كان يعمل حينذاك قاضيا: "كان كل شيء أعمى، ومتسم بردود فعل غبية تجاه السياسة الجنوبية التي كانت قد ماتت منذ وقت طويل عام ١٩٤٧" (أليير، ٢٠٠٣، ص٤٠).

أيّد اهل راجا المتمردين. وفي عام ١٩٥٥ كان كاميللو كامين شرف الدين الذي كان يبلغ من العمر حينذاك ٢٣ عاما جنديا من دينكا زبير في القوات الاستوائية التي كانت جيش الحكومة الاستعمارية في الجنوب. وكان كاميللو أحد أربعة من الجنود الكريش الذين شكلوا مجموعة الفرتيت الصغيرة هناك. وبعد التمرد فرّ إلى كينيا ثم إلى أوغندا حيث قابل في ستينيات القرن العشرين سياسيين جنوبيين مثل ساترنينو لوهور ووليام دينج في كمبالا حيث كانا يسعيان لتجنيد جنود من قوات الاستوائية السابقين (فولا بوكي تومبي جيل، ٢٠٠٢، ص٢٣٣). وكانت الحركة الجنوبية الأساسية في ذلك الوقت تسمى الاتحاد الوطني الافريقي السوداني (سانو)؛ وقد شكلت الحركة جيشا اسمته انيانيا عام ١٩٦٠ (فولا بوكي تومبي جيل، ٢٠٠٢، ص٢٣٥ والصفحات التالية). وقرر كاميللو الانضمام لحركة المتمردين قائلا "لأجل بلادنا. ان هؤلاء العرب قتلوا شعبنا، وأخذوا الاطفال الصغار، وأخذوا شبابنا." وذهب كاميللو إلى السودان ليقاتل مع الجنود السابقين الآخرين مسلحا بعصاة، وهاجموا مراكز شرطة ليحصلوا على السلاح واتجه مختلف الجنود إلى المناطق التي توجد بها ديارهم. وهاجم هو ورفاقه من الأنيانيا في بحر الغزال – وكلهم جنود من الفرتيت أو الزاندي – هاجموا قوافل صغيرة من الشاحنات (نحو ٧ في الشهر) على الطريق من مدينة واو إلى بورو مدينة من معسكرات في الغابة. وكرد على ذلك اجبر الجيش السوداني العديد من الناس على ترك القرى الواقعة على الطريق بنفس الطريقة التي كانوا قد أُرغموا بها بواسطة الحملة البريطانية عام ١٩٣٠ على التحرك القسري. وبحلول منتصف ستينيات القرن العشرين صار معظم اهل المنطقة يعيشون في المدن وليس القرى، والعديد منهم لم يرجع في نهاية الحرب.

تقاعد محمد وداعة الله كنائب برلماني عام ٢٠١٠ في نهاية تدرج في العمل السياسي امتد لخمسين عاما. ولد محمد في كفيا قنجي عام ١٩٢٥، وأجبرت أسرته عام ١٩٣٠ على الانتقال إلى ليلي الواقعة إلى الشرق من بورو مدينة حيث كان قد اعيد توطين مجموعة كريش كوفرا. وارسله والده إلى مدرسة يديرها معلم دين

شمالي في جوسينجا وهي قرية تسكنها مجموعة نياقولقولي شرق راجا، ومنها انتقل إلى الردوم لنهل المزيد من دراسة القرآن وليقوم بزراعة الشطة. ثم ذهب من هناك إلى الخرطوم حيث حصل على منحة دراسية لتلقي العلم في الازهر، الذي كان حينذاك جامعة دينية ونصيرا لصيغ محافظة للاسلام السُنِّي حُظي برضا السلطة. وفي عام ١٩٥٨ عاد محمد إلى راجا وترشّح للانتخابات عن حزب شمالي هو حزب الاتحاديين الديمقراطيين. وفاز عليه ستانسلاوس بايساما (وهو دارفوري رشحه حزب جنوبي.) ولكنه في مطلع ستينيات القرن العشرين انخرط في التمرد.

> لا تريد الحكومة للجنوبيين ان يتعلموا؛ محجوب [رئيس الوزراء السابق محمد احمد محجوب] لا يريد لأي احد في الجنوب ان يتعلم الابجدية.[٩٢]

فرضت حركة انيانيا الأولى عملية تحوّل مؤلمة إلى المدن كجزء من الحرب السودانية على المواطن العادي وعلى مقاطعة راجا. وفي احدى أكثر التغييرات الاجتماعية عمقاً في المنطقة انتقل آلاف الناس من الإقامة على الطريق إلى الإقامة في المدن – وعلى امتداد الطريق من واو إلى راجا، ما زال نزوح ستينيات القرن العشرين لم يُصحّح. وقد ساعد النزوح إلى المدن الجنوبية مثل واو على تواصل الناس مع حركات تربطهم بالجنوب العريض. وكان لحزب سانو ممثلين من بحر الغزال في مؤتمره الوطني عام ١٩٦٤ كما كان لحركة انيانيا قيادة ببحر الغزال استطاع هجومها الجرئ عام ١٩٦٤ على واو (بقيادة بيرناردينو مو) تنبيه الخرطوم إلى قوة الحركة (فولا بوكي تومبي جيل، ٢٠٠٢، ص٢٤٤؛ أليير، ٢٠٠٣، ص٤٠).

كانت تسيطر على حركة انيانيا والحركات السياسية الجنوبية المتصلة بها عناصر من الاستوائية (إسم جيش الحركة يعود إلى كلمة تعني سم الافعى من لغة مادي الاستوائية) (فولا بوكي تومبي جيل، ٢٠٠٢، ص٣١). وسكان الاستوائية مثلهم مثل السكان قليلي العدد لغرب بحر الغزال هم مزارعون؛ وهم من بين أول المجموعات التي اخمدت قوات الامن البريطانية تمردها وبين اول من تلقوا تعليمهم في الإرساليات. وقد خرج الدينكا والنوير الذين يسكنون سهول الفيضانات من الحكم الاستعماري ضعيفي العدّة والاعداد للمشاركة السياسية وضعيفي الهياكل العسكرية المعاصرة بعد ان قاوموا الحكم الاستعماري والتعليم الاستعماري لفترة اطول من غيرهم (وذلك جزئيا بسبب ميولهم الرعوية ولأن التعليم الاستعماري كان يهدف إلى ادخال النزعة الطبقية إلى مجتمعاتهم التي كانت لها العديد من الاتجاهات

.....

[٩٢] مقابلة مع محمد وداعة الله، برلماني ومفوض ولاية بحر الغزال في مفوضية الحدود، ابريل ٢٠١٠.

التي ترمي للمساواة). وهكذا فان انظمة التعليم الاستعماري كان يهيمن عليها الاستوائيون واهل غرب بحر الغزال الذين واصلوا هيمنتهم على تمرد أنيانيا. ولكن كل المشاركين في الانيانيا، من الدينكا والاستوائيين واهل غرب بحر الغزال، احتاجوا للصلات المحلية لخوض تمرد لم تكن تتوفر له شبكات لوجستية واستخباراتية. وكان عليهم ان يقاتلوا من "وحداتهم القبلية والعرقية المكتفية ذاتيا" (بشير، ١٩٦٨، ص١١٥) التي تبلورت عن السياسة الجنوبية التي كانت لا تزال تفرض قيودها على الاتصالات والشئون اللوجستية عبر الجنوب.

المليشيات المحلية وتعزيز الحدود الاثنية في سبعينيات القرن العشرين

ساهم تنظيم حركات وطنية حول مليشيات محلية في اثارة توترات قبلية في الجنوب حرّكت بعض المؤسسات ذات الاسماء البرّاقة، لكن التي غمرها النسيان، مثل حكومة انييدي الثورية وجمهورية نهر سو والتي هدفت إلى تعزيز المصالح القبلية أو مصالح المجموعات اللغوية (بادال، ١٩٩٤، ص١٠٧) وقد ظهرت هذه التوترات بعد اتفاقية اديس ابابا للسلام عام ١٩٧٢ أيضاً. عادت عناصر ممن ينحدرون من المجتمعات النيلية الذين تلقوا تعليماً في المنفى للبحث عن وظائف في الحكومة الجديدة. وشعر الاستوائيُّون أهل بحر الغزال ان الكثير من هذه الوظائف ذهبت إلى النيليين من الدينكا والنوير رغم انتخاب المجلس الاقليمي في جوبا، ذي الاغلبية من الدينكا، استوائيّاً لقيادة المجلس التنفيذي الاعلى. وبعد نحو عامين من ١٩٧٣ فقدت راجا موقعها كمقر أساسي للمقاطعة لتحتله أويل المدينة التي تسكنها اغلبية من الدينكا؛ وقد دُمجت راجا في دائرة برلمانية يمثلها سياسي من الدينكا؛ وكان العديد من الاداريين المحليين من الدينكا والنوير.[٩٣] وقد أبلغ أُناس من أهل المنطقة لجنة زائرة في ذلك الوقت قائلين:

> هناك شعور مكثف بأن فرتيت واو وراجا يقفون ضد الدينكا وهناك طموح قوي من اجل الحصول على مديرية منفصلة لهم. وقالوا ان الفرتيت خائفون من ان يهيمن الدينكا عليهم واصروا أنهم يريدون ان يحافظوا على مصالحهم الاثنية. وعبّروا بشدة عن أنهم لا يريدون الالتحاق بمديرية واحدة مع الدينكا... وفي حالة الفشل في مديرية

[٩٣] مقابلة مع علي تميم فرتاك، مستشار رئاسي ووزير فيدرالي سابق وحاكم سابق لبحر الغزال، الخرطوم، ابريل ٢٠١٠.

منفصلة فانهم طلبوا ان تُضم هذه المجالس إلى مجالس جيرانهم في الجنوب – الزاندي (لجنة اعادة تقسيم المديريات الجنوبية، بدون تاريخ، قسم ٢، ص٥٧).

وفي غرب بحر الغزال كان لاستخدام الاثنية لخلق حدود ادارية سوابق عديدة. ففي ثمانينيات القرن العشرين روّج بعض قادة الفرتيت لهذه الفكرة. وهناك ورقة سرية يُزعم ان مصدرها هو الدينكا تم توزيعها في راجا في سبعينيات أو ثمانينيات القرن العشرين تحت عنوان "سياسة الدينكا ضد مجموعات الفرتيت". وذُكر انها اوردت ان الدينكا يخطّطون لزواج بنات الفرتيت (بالنسبة للرجال تعتبر عادات زواج الفرتيت أبسط وأقل تكلفة من عادات زواج الدينكا). وهدّدت الورقة بأن أبقار الدينكا ستُربط تحت اشجار ماجو الفرتيت (مقاطعة راجا مشهورة بأشجار الماجو).[٩٤]

يبدو أن التوترات الاثنية بين الفرتيت والدينكا قد ظهرت في الفترة التي أعقبت اتفاقية سلام اديس ابابا عام ١٩٧٢. ولم تجد مراجعة جزئية للسجلات التاريخية اي اشارة لمنافسات بين الدينكا والفرتيت قبل ذلك، بالرغم من حقيقة ان المجموعتين عاشتا عبر التقلبات العنيفة لمرحلة غارات الرق، حينما كان الناس من الجانبين في بعض الحالات يُحرّضون ضد بعضهم البعض كحلفاء أو كضحايا لاصحاب الرقيق. وبالطبع هناك بعض الأدلة التي تشير إلى الدعم المتبادل: مجموعة ندوقو فرّت إلى مناطق الدينكا من غارات الزاندي في آخر القرن التاسع عشر وفي نحو ١٩١٧ لجأت مجموعة شات من هجمات الرزيقات في مناطق الدينكا (SAD/٨١٥/٧/٣٤؛ سانتاندريا، ١٩٦٤، ص٥٤) وحتى سبعينيات القرن العشرين كان صيَّادو الاسماك من الدينكا يهاجرون موسميًّا إلى نهري سوبو وراجا لصيد وبيع الاسماك: قال احد مسئولي حزب المؤتمر الوطني في راجا "علاقاتنا جيدة".[٩٥]

يبدو ان التغييرات للحدود الإدارية قد كانت المحرّك لمخاوف الفرتيت من أن تبتلعها مجموعة لغة الدينكا الأكبر حجما إلى الجنوب – هذا بالإضافة إلى الاحساس بأن نجاح الجيش الشعبي لتحرير السودان قد حوَّل هذه المجموعة اللغوية إلى مجتمع محلي سياسي لا يُقهر. وعلى امتداد الجنوب حرضت سياسات الحدود المجموعات الاثنية ضد بعضها البعض مع ان تغيير الحدود في اقليم غني بالأراضي لا يحدث سوى القليل من التغيير للحياة اليومية (نيادا، ٢٠٠٠، ص٢٦).

.....

[٩٤] مقابلة مع مثقف من الفرتيت، حجب الاسم والمكان، مارس ٢٠١٠.

[٩٥] مقابلة مع اركاجلو موسى البينو، رئيس حزب المؤتمر الوطني والمفوض السابق لمقاطعة راجا ٢٠٠٠ – ٢٠٠٥، راجا، مارس ٢٠١٠.

بدائل السياسة الاثنية: تطوّرات في دارفور، ستينيات وسبعينيات القرن العشرين

في سبعينيات القرن العشرين كان الوعي الأثني يتزايد في بحر الغزال جاعلاً الناس أكثر وعياً بالحدود بين المجموعات المختلفة. وفي الوقت نفسه كانت حكومة نميري تخطّط لمستقبل مختلف لأطراف السودان وعلاقتها بالمركز. وكانت الحكومة تأمل في أن التناقضات التي ورثتها من العهد الاستعماري يمكن إبطالها واعادة صياغتها من خلال "التحديث"، والذي كان يعني في ذلك الوقت خطط تنمية تستطيع تحويل المجتمعات التقليدية إلى مجتمعات معاصرة، بمعنى ان تكون أكثر إرتباطاً بالنقود وأكثر علاقة بالمراكز الحضرية وأكثر تصنيعا. وكان ينوى من هذه العملية خلق هويّة وطنيّة موحدة من شتات الهويات الاستعماريّة.

انشئت مشاريع الزراعة على امتداد أراضي السودان النائية. وأقيم مشروع السافنا الغربية في جنوب دارفور (باحثون عن الحقيقة والعدالة، ٢٠٠٤، ص٢٣)، مغطيا منطقة قوز دنقو (يسمى أيضاً القوز الغربي)، والذي يمتد إلى شمال نهر امبلاشا. ووفقا لمسح تم عام ١٩٧٤ للمشروع فان سكان قوز دنقو كان عددهم في ذلك الوقت ٥٨,٠٩٤ (خدمات الصيد التقنية، ١٩٧٤، ص٧). وهذا يشمل مجموعتي كارا وبينقة اللتين فرتا من كفيا قنجي في عام ١٩٣٠ بالاضافة إلى آخرين كانوا من مهاجري الجفاف القادمين في وقت متأخر نسبيا؛ وهؤلاء الأخيرين كان معظمهم من الزغاوة رعاة الجمال من المناطق الشمالية شبه الجافة الذين واجهوا ضغوطاً شديدة خلال جفاف سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي وتجاوبوا ببراعة شديدة مبتدعين طرق إعاشة جديدة في الزراعة (في قوز دنقو والمناطق المجاورة في جنوب دارفور) والتجارة.

> كان ٧٠٪ من سكان القوز الغربي من الزغاوة الذين انتقلوا إلى هناك بين ١٩٧٣ و١٩٧٦ خلال حقبة الجفاف، وبعد قتال (في شمال دارفور) مع العرب رعاة الابل – اصدر نميري أمراً بنقلهم عام ١٩٧٣ وكان الهبانية يريدونهم ان يأتوا لأن المكان كان غابة ولا أحد يستخدم المنطقة. وكانت هناك أفيال وأسود والعديد من الذباب أيضاً. ولم يكن الهبانية يجيدون الزراعة فاستغلوا قدراتهم (الزغاوة) في العمل؛ وكان الهبانية يملكون الأرض والزغاوة يقومون بالعمل الزراعي. وفي ثمانينيات القرن العشرين، وبسبب المساحات الشاسعة للأراضي، اتجه الهبانية لبيعها فامتلك الزغاوة أراضي كثيرة. وكان الزغاوة يعملون بتفان شديد وقد جاءوا من الشمال وربّوا الأبقار وامتلكوا الشاحنات؛ وصاروا المزوِّدين الأساسيين

> للمنطقة بما تحتاج له. وفي عام ١٩٨٣ أدى جفاف آخر إلى نزوح المساليت وتامر وارينغا وقمر ومسالاتي ومسيرية الجبل – لم يأتوا بشكل رسمي وإنما كانوا عمالاً للزغاوة والهبانية. وكانت كل القبائل تخضع لسلطة ناظر الهبانية.[٩١]

ان براعة وانضباط مهاجري الجفاف كانت مكوّنا هاما لتأقلمهم الناجح. وساهمت غلالهم التي انتجوها في زيادة محصولات دارفور في السبعينيات مما ساعد المنطقة على تحمل فترة جفاف دون ان تصيبها المجاعة. (دوفال، ١٩٨٩، ص٧١). وقد قدمت استثمارات، مثل استثمارات مشروع غرب السافنا، مساهمة هامة لكن أزمة الاقتصاد العالمي انهت مشروع غرب السافنا وكل المشاريع الزراعية الأخرى خارج النواة الصلبة المتطوّرة للسودان في ثمانينيات القرن العشرين.

ثمانينيات القرن العشرين: نهاية التنمية وعودة النزاعات الريفية

تعتبر الأزمة الاقتصادية لسبعينيات القرن العشرين بمثابة نهاية لطفرة طويلة اعقبت الحرب العالمية الثانية. وكان العديد من تكاليف الأزمة قد تم تمريرها إلى اقتصاديات العالم الثالث فابتلعت السودان ضمن الدول التي ابتلعتها. وقد سعى السودان، كغيره من الدول، لكسب الوقت للتحديث بالدخول في ديون هائلة قصيرة الامد دون ان يدري ان عملية تحديث نفسه قد تغيرت نهائيا وأن ديونه ستعرّض، وبشكل عاجل، كل المجتمع السوداني للسوق المالية العالمية التي لا يمكنه ان يأمل بالتحكم فيها.

انتهى مشروع غرب السافنا في ثمانينيات القرن العشرين حينما حوّلت الحكومة المركزية المسئولية لسلطات دارفور وبذلك مررت تكاليف ازمتها لأطراف السودان (يونغ وآخرون، ٢٠٠٥، ص٢٠). وقد أشير إلى نهاية هذا المشروع وكل المشاريع الزراعية الأخرى في الكتاب الأسود كمثال للطريقة التي تم بها خلق الهامش السوداني. وكان الكتاب الأسود قد تم توزيعه سرا في الخرطوم عام ٢٠٠٠، وكثيرا ما ينسب الكتاب إلى قيادة حركة العدل والمساواة، وهي حركة تمرّد دارفورية تأسست عام ٢٠٠٣ بقيادة من الزغاوة. ووفقا لهذا النص:

> انشئت المشاريع في اطار هذا القطاع [الزراعي الذي يُسقى بالري المطري] بهدف تطوير المناطق المحرومة واعادة تأهيل حزام السافنا الذي اصابه

.....

[٩١] مقابلة مع محمد علي، مواطن بمدينة نيالا، الخرطوم، ابريل ٢٠١٠.

> الجفاف. وبدلا من زيادة مشاريع هذا القطاع فان الحكومة أمرت بالتخلص من عدد منها [من بينها مشروع غرب السافنا]... لم يكن أي من هذه المشاريع في الشمال [وادي النيل الشمالي. النواة الصلبة الاقتصادية للدولة] وقد صُفيت هذه المشاريع ولم تُبع أو تُخصخص. ونضيف ان هذه المشاريع كانت إنمائية ولم تكن مساهمتها تقتصر على الفوائد الاقتصادية. وبهذا الشكل فانه لا مفر لنا من أن نستنتج ان القضاء على هذه المشاريع يؤشّر إلى أن عمل التنمية هو حكر على شمال السودان [شمال وادي النيل] (باحثون عن الحقيقة والعدالة، ٢٠٠٤، ص٢٣).

ان نهاية هذه التجربة من التنمية الاقتصادية للأطراف تعيد التشديد على السيطرة الاقتصادية لوادي النيل الشمالي وتدل على عودة لسياسة النزاع الاثني في ريف السودان. وفي قوز دنقو وقع نزاع بين الزغاوة والهبانية بينما دُفعت مجموعتا كارا وبينقة نحو عنف منفصل لكن ذي صلة. ويدخل كُتاب الكتاب الاسود تغيير سياسة التنمية الزراعية هذا في الحرب في دارفور والتي بدأت بعد مرور عقدين من الزمان.

اعادة تشكيل الهامش: خلفية حرب أهلية طويلة

حافظ نميري على السلطة من خلال التأقلم المستمر مع تحالفات وهياكل دستورية. وكانت الأشكال المختلفة لتقسيم الأقاليم التي اتبعها تعتبر جزءاً رئيسيا في استراتيجيته. وكانت اتفاقية اديس ابابا عام ١٩٧٢ هي أكثر المحاولات نجاحا في اكسابه شعبية في الجنوب وإن لم تدم طويلا. وفي عام ١٩٨١، ونتيجة لتصاعد الضغط الاقتصادي على نظامه، سعى لإقامة تحالفات جديدة. إن قانون الحكومة الاقليمية لعام ١٩٨١ الذي كاد ان يؤدي إلى عودة جيب كفيا قنجي إلى بحر الغزال (انظر الفصل ٦) كان واحدا من محاولات نميري لتعديل هياكل السلطة في المناطق البعيدة لأجل معالجة أزمات في مركز السلطة. والقانون كان ينوى منه جزئيا تمكين نميري من التعامل مع أيّ تغيير في الولاءات الجنوبية بخلق خمس وحدات سياسية عريضة في الشمال يمكنها ان تعيد التوازن للحكومة الجنوبية الاقليمية الموحدة والتي سريعا ما تعرضت هي نفسها للتقسيم.

كان التوم النور، قائد الفرتيت الذي ذهب ليقود مليشيات تمولها الخرطوم في الحرب الأهلية الثانية في الجنوب، مسئول الاتحاد الاشتراكي السوداني في واو في مطلع ثمانينيات القرن العشرين. وقد أيّد قادة عديدون في راجا في ذلك الوقت فكرة تقسيم الجنوب. وكان التوم النور واحدا منهم:

[بعد اتفاقية سلام أديس ابابا لعام ١٩٧٢، في ايام نميري] كنت نائب امين الاتحاد الاشتراكي السوداني في واو. وكانت بحر الغزال اقليما [باغلبية من الدينكا]. ولقد عانينا كثيرا من امبريالية الدينكا وطلبنا من نميري ان يعطينا مديريتنا الخاصة بنا فاعطونا مديرية في واو وراجا عام ١٩٨٤ [في الحقيقة في ١٩٨٣] وصار علي تميم فرتاك اول حاكم. يمكننا ان نقوم بعمل سياسي في راجا، بعيداً عن الحركة الشعبية لتحرير السودان، لازاحة ابيل اير [كان حينذاك رئيسا للمجلس التنفيذي الأعلى، وهو من اصل دينكا] كانت فكرة ابيل اير هي ان يأخذ راجا ويجعلها جزءاً من أويل، ويضع التوتخ مع واو. وبعد ٥٠ عاما لن يكون هناك فرتيت. سيتزوجون كلهم من الدينكا. درسنا هذا الموضوع كاملا وقمنا باتصالات في الاستوائية لتقسيم المجلس التنفيذي الأعلى.[٩٧]

في ذلك الوقت عزّزت الدولة تنمية الوعي الاثني في جنوب السودان عن طريق تغيير الحدود. وفي عام ١٩٨٣ تحرك نميري لاستبدال المجلس التنفيذي الأعلى بثلاث مديريات جنوبية مبطلاً بذلك اتفاقية اديس ابابا وترتيباتها الفيدرالية. وتحول عدم الرضا والاضطراب الجنوبي حالاً إلى تمرّد مسلح. وهذه كانت بداية الحرب الأهلية الثانية والتي سيتم تناولها بتفاصيل أكثر في الفصل التالي.

دعم العديد من اهل راجا إعادة تقسيم الجنوب (وهي سياسة تلتقي مع سياسيي الاستوائية)، يحرّكهم الخوف من إبتلاعهم بواسطة مجموعات الدينكا والنوير والإحساس بان بعض سياسيي الدينكا قد اساءوا استخدام فرص السلام. وتحركت مجموعة صغيرة للاستفادة من الوظائف المحليّة التي تتضمنها اعادة التقسيم. كانت اعادة التقسيم عام ١٩٨٣ مختلفة عن السياسة الجنوبية لعام ١٩٣٠ لأنها هدفت إلى خلق اختلافات وضعف في اطار المجتمع السياسي الجنوبي بدلاً من فصل الجنوبيين عن الشماليين أو "العرب" عن "الافارقة". ولكن كان هناك أيضاً اشكال تشابه هامة مع سياسة ١٩٣٠. ففي وقت الأزمة الاقتصادية كانت الدولة تستخدم الخلافات بين الناس لأجل السيطرة على الأطراف واستخراج ثرواته بأقل الاستثمارات. وكان تغيير الحدود الإدارية يعتبر اقل الوسائل تكلفة بالنسبة للدولة كي تجني مكاسب صغيرة للدوائر المحلية ولتحريك دائرة ضد اخرى.

.....

٩٧ – مقابلة مع التوم النور، لواء في القوات المسلحة السودانية وقائد مليشيا قوات السلام، ١٩٨٤ – ٢٠٠٦، مايو ٢٠١٠.

وفي دارفور، وعلى العكس من ذلك، فان الحكومة ظلّت تسعى لسياسة غير ناجحة من القمع أكثر مما تحاول السعي للتفتيت: دارفور كبرى كثقل موازن للجنوب. وترافقت التغييرات للحدود الاقليمية بتغييرات في السياسات الخاصة بالسلطات القبلية أو الإدارة الاهلية – زعماء القبائل في الحقبة الاستعمارية وحقبة المهدية والذين اعيد لهم وضعهم كجامعي ضرائب واداريين قليلي التكلفة مزودين بسلطات قضائية وتنفيذية. بدأت الانظمة البرلمانية في مراجعة سلطاتهم (زعماء القبائل) في ستينيات القرن العشرين واستبدلهم نميري بهياكل الحزب الحاكم المحلية في بداية سبعينيات القرن العشرين في اوج تفاؤل عملية التحديث. وحدث هذا في فترة جيشان اجتماعي ضخم. وساهم جفاف سبعينيات القرن العشرين في حدوث هجرات هائلة جنوبا للمجموعات الشمالية التي تخلت عن صلاتها التاريخية برعي الابل والسعي لحياة حضرية أو زراعية – وجاء العديد من هؤلاء المهاجرين إلى أراضي القوز الواقعة شمال الردوم. وجاء الانهيار الاقتصادي في السودان بعد ذلك بعدة سنوات؛ وفي دارفور ترافق هذا مع حالات جفاف جديدة ليؤدي إلى مجاعة واسعة النطاق (دوفال، ١٩٨٩، ص ٧٠–٧١). وانتشرت حوادث النهب المسلح في المديرية واعتقد عديدون أن استبدال زعماء القبائل بمسئولي حزب الاخاد الاشتراكي التابع لنميري قد حدّ من قدرة السلطات على التعامل مع مثل هذه الحالات من انهيار الانضباط الاجتماعي (ابراهيم، ٢٠٠٨، ص ١٥٣ – ١٧٣). لكن حالات الجفاف والهجرة وخنق البدائل الاقتصادية مثل مشروع غرب السافنا، لعبت هي أيضاً دورها. ومع تزايد الضغوط المعيشيّة تنامت الشكوك والعداوات بين المجموعات العرقية المختلفة. فمثلا احترم الهبانية في جنوب دارفور قدرة التأقلم لدى مجموعات الزغاوة الذين تحوّلوا من الرعي إلى الزراعة في الأطراف ووجدوا طريقهم إلى اسواق المدن لكنهم ارتبطوا في ذهنهم أيضاً بالنهب المسلح:

> احدث الزغاوة عملية انتقال. لقد اجبرهم الجفاف. كان امامهم خيارين هما: الهجرة للمدن أو النهب المسلح. ذهبوا إلى نيالا والى سوق ليبيا وكانوا ناجحين. وساهم نظام النهب المسلح (دارفور عام ٢٠٠٣) في الحرب الأهلية.[٩٨]

.....

[٩٨] مقابلة مع شخص من الهبانية، حجب الاسم والمكان، مايو ٢٠١٠.

الأسلمة وتقسيم الأطراف

في عام ١٩٨٣، بعد شهور قليلة من تقسيم نميري للجنوب أعلن عن تطبيق الشريعة الإسلامية في شمال السودان – وبهذه الخطوة بزّ حلفائه ومنافسيه الاسلاميين وكسب تأييد السكان المستقرين في المدن السودانية الشمالية التي غمرتها افواج المهاجرين الفارين من الأزمة الاقتصادية التي اجتاحت الريف السوداني. وفي دارفور أدى الجفاف، وخُرُك الذين افقرهم الجفاف، إلى انفلاتات النهب المسلح: الهجمات على الاسواق الريفية وعلى الشاحنات يعتبرها الإسلام جريمة حرابة أو شن الحرب على الله ورسوله واشاعة الفساد والعنف. ولمثل هذه الجريمة فان القرآن الكريم يفرض عقوبة الاعدام أو الصلب أو القطع من خلاف (القدم واليد) – وهي عقوبات تضمنها قانون جنائي جديد (القرآن ٥: ٣٣).

ترافق ظهور الإسلاموية في المركز السوداني باعادة تركيز السلطة في الخرطوم. وتزايدت ادارة النظام للأقاليم في الأطراف بتغيير التحالفات الاثنية واستخدام تغييرات الحدود الإدارية كبديل لاستثمار موارد حقيقية. وسيصير على اهل الأطراف الساعين للاستفادة من موارد الدولة ان يمتثلوا وبشكل متزايد للآيدولوجية الإسلامية للدولة. وقد صار العديد من الزغاوة، مثلا، على ارتباط بالشبكات التجارية والسياسية الإسلاموية في العاصمة القومية.

وفي أرض الفرتيت، إحدى أكثر المناطق التي تأسلمت في جنوب السودان، كانت أسلمة المركز مرتبطة بتصاعد النزعة العرقيّة في الأطراف. واحتاج نميري لتقسيم الجنوب كي يستطيع التعامل مع التغييرات الهائلة في مركز النظام. وكانت اختلافات الفرتيت مفيدة له. وقد شعر البعض بالمنافسة من جراء ما تصوروه كهيمنة على الوظائف السياسية والعسكرية للمجموعات النيلية، خصوصا جيرانهم الدينكا. ودعا الفرتيت إلى اجراء تغييرات للحدود الإدارية ودعموا تقسيم الجنوب كوسيلة للحصول على وظائف حكومية. ويرجّح ان المعتقدات والثقافة الخاصة ببعض مجموعات الفرتيت ساعدتهم في الحصول على تنازلات.

وذُكر ان بعض قادة الفرتيت المسلمين في تلك الفترة اقترحوا على نميري ان تصير أرض الفرتيت جزءا من دارفور.

وذهب سياسيون اسلاميون من الفرتيت إلى الزعم بأن مقاطعة راجا ستكون هي الطريق الذي سيمر عبره الإسلام إلى جنوب السودان.[٩٩] وهذه ستكون قضية

.....

[٩٩] وكانت هذه ستصبح سببا رئيسيا للحرب الاهلية التي انطلقت بسبب اعادة تقسيم جنوب السودان، وهو موضوع الفصل التالي

رئيسية للحرب الأهلية التي انطلقت بتقسيم جنوب السودان والتي ستكون موضوع الفصل التالي.

٩ الحرب الأهلية في جنوب السودان، ١٩٨٣ – ٢٠٠٥

في ستينيات القرن العشرين انضم الفرتيت في مقاطعة راجا للتمرد الأول لما بعد الاستقلال في جنوب السودان؛ لكن حينما بدأ التمرد الثاني انضم العديد من الفرتيت للمليشيات الموالية للخرطوم. ويفحص هذا الفصل، العوامل التي جعلت هذه المليشيا شهيرة، ولماذا فشل الجيش الشعبي لتحرير السودان في تعبئة المنطقة خلال الـ١٨ عاما الأولى من الحرب. ويكمن السبب بشكل كبير في العلاقات بين الحكومة وواقع الحركة الشعبية لتحرير السودان في أرض الفرتيت وفي دارفور: قدرات الحكومة اللوجستية وحمايتها للبعد المحلي وإثبات الإسلاموية انها خليط أكثر نجاحا من خطوط الامدادات المهتزة التابعة للحركة الشعبية لتحرير السودان والرغبة في الانضواء والاستيعاب. لكن الجيش الشعبي لتحرير السودان استطاع عام ٢٠٠١، ولفترة وجيزة، الاستيلاء على راجا وإحداث استقطاب بين سكان المقاطعة مما احدث دورة نزوح على مستوى لم تشهده الحرب من قبل.

بداية الحرب ورد الفرتيت

في عام ١٩٨٣ مثلت تحركات حكومة الخرطوم لحل الحكومة الإقليمية في جوبا بداية حرب أهلية جديدة ولتشكيل الجيش الشعبي لتحرير السودان. وقد سعى قادة الجيش الشعبي لتأسيس قوات عسكرية متحّدة مبكراً لأجل تحاشي الانقسامات السياسية في الحرب الأهلية السابقة. لكن الجيش الشعبي واجه نفس المشكلة التي كانت قد واجهتها حركة الانيانيا من حيث التعبئة المحلية: تم تنظيم الشعب حول مجموعات قبلية ولغوية وبدا أن التمييز القبلي كان قد تعمّق خلال فترة محادثات سلام اديس ابابا. وقد رفض التوم النور، الذي أنشأ مليشيا تستند إلى الفرتيت صارت أحد الأعداء الأساسيين للجيش الشعبي لتحرير السودان في بحر الغزال، ما كان قد احس بأنها دعوة تهديدية:

> في عام ١٩٨٣ حينما بدأت الحركة الشعبية لتحرير السودان الحرب طلبت قبائل الدينكا من الفرتيت في غرب بحر الغزال ان يلتحقوا بها في التمرد. وكان الرائد المتقاعد نيونغ ديو في الاتحاد الاشتراكي السوداني، قد قال إذا اردتم الانضمام الينا في الحركة فسنعيدكم [من حيث اتيتم] إلى افريقيا الوسطى. فكّرتُ بأننا يجب ان ننشيء مليشيا [لمعارضتهم]. وفي عام ١٩٨٤ انشأتُ المليشيا للدفاع عن المواطنين. وصرت قائدا لقوات السلام.[١٠٠]

كانت قوات السلام احدى اول مليشيات الحرب. وفي رأي الجيش الشعبي لتحرير السودان فانها كانت قوات استراتيجية رئيسية لثلاثة اسباب:

- سيطروا على خط الامدادات من الشمال للحامية الرئيسية في واو؛
- عزّزوا آراء محلية وقبلية في جنوب السودان كانت، من وجهة نظر الجيش الشعبي لتحرير السودان، تقف حائلاً دون تحدّيهم للقوى المركزية في الخرطوم؛
- استندت قاعدتهم جزئيّاً إلى القبائل التي انتشر الإسلام بينها والتي كانت حكومة الخرطوم تعتبرها أدوات لنشر ايديولوجيتها الدينية في الجنوب.[١٠١]

بدأ الجيش الشعبي لتحرير السودان في شن الحرب في غرب بحر الغزال على من يُعتَبرون حلفاء للحكومة الشمالية في الجنوب. وخلال الفترة ١٩٨٥ – ١٩٨٧ قدم المتمردون على الطريق من أويل، في السهول الفيضانيّة، لمهاجمة أكثر المجموعات أسلمة في أرض الفرتيت وهما قبيلتي النياقولقولي والفروقي. وخلال الحرب الأهلية الأولى لم يتم نقل النياقولقولي والفروقي بشكل قسري من ديارهم.[١٠٢] لكن اليوم، وبعد مرور ٢٥ عاما من الهجمات التي بدأت بها الحرب الأهلية الثانية ما يزال العديد منهم نازحين في راجا.[١٠٣] وكانت هجمات الجيش الشعبي لتحرير السودان على مناطق الفرتيت جزءاً من استراتيجية أُتّخِذت في منتصف ثمانينيات القرن الماضي لمهاجمة

.....

[١٠٠] مقابلة مع التوم النور، لواء في القوات المسلحة السودانية وقائد مليشيا قوات السلام، ١٩٨٤ – ٢٠٠٦، مايو ٢٠١٠.

[١٠١] مقابلة مع ضباط كبار في الجيش الشعبي لتحرير السودان، حُجبت الاسماء والاماكن، يونيو ٢٠١٠.

[١٠٢] مقابلات مع اشخاص من اهل راجا، حجبت الاسماء، مارس ٢٠١٠.

[١٠٣] مقابلات مع افراد من قبائل في راجا، مارس ٢٠١٠؛ مقابلات مع التوم النور، لواء في القوات المسلحة السودانية وقائد مليشيا قوات السلام، ١٩٨٤ – ٢٠٠٦، مايو ٢٠١٠.

السكان المدنيين الذين يعتبرون معادين، الأمر الذي يعود جزئياً إلى عدم قدرة حرب العصابات على احتلال أراضي (جونسون، ٢٠٠٧، ص٨٣). وقد تسببت هجمات شُنّت على راجا خلال عيد الميلاد عام ١٩٨٧ وعلى قرى على الطريق بين واو وديم الزبير، في حدوث نزوح واسع النطاق (بيانات انتقال السودان والتعافي، ٢٠٠٣). لكن، وبشكل عام لم يكن قادة الجيش الشعبي لتحرير السودان يستطيعون شن عمليات على امتداد خط الامداد ذي الأهمية الاستراتيجية العالية بالنسبة لمدينة واو والذي يمر عبر راجا. وحتى احزابهم المتميزة اصطدمت بقوات السلام.[١٠٤]

سيطرت القوات الحكومية على الطريق من راجا إلى واو. وساعدت هجمات الجيش الشعبي لتحرير السودان ضد المدنيين الحكومة في خلق جاذبية لها بين جمهور المنطقة فانضم معظمهم لقوات السلام. وفي واو ساهمت السياسات الاثنية لثمانينيات القرن الماضي في تقسيم المدينة بين الفرتيت والدينكا وجور – ليو وكل من هؤلاء كان له قطاعه الخاص في المدينة وأسواقها، بل وحتى كان لكل مجموعة قواتها الامنية: كانت الغالبية العظمى لقوات التوم النور من الفرتيت وكانت الأغلبية في جيش الحكومة من الدينكا، وفي عام ١٩٨٧ قاد هذا الاستقطاب إلى حدوث مذابح في الشوارع. وحينما كانت حامية الجيش في واو تحت قيادة اللواء ابو قرون بلغ التوتر بين الفرتيت والدينكا ما اعتبره العديد من اجريت معهم المقابلات بأنه يمثل اسوأ مراحلهم.

> كان ابو قرون قد تسبب في القتال بين الدينكا والفرتيت. وكانت تلك حرب دامت ثلاثة ايام، بين الدينكا وغير الدينكا. كان الفرتيت يتبعون لقوات السلام وكان الدينكا يتبعون للجيش الشعبي لتحرير السودان. زوّد ابو قرون الفرتيت بالذخيرة والبنادق وزوّد الدينكا أيضاً بالذخائر والبنادق. لكي يرى أيّهما الأقوى. وقد انقسمت واو إلى قسمين. في القسم الشرقي كان الدينكا وجور [جور – ليو] أما في القسم الغربي فكان الفرتيت.[١٠٥]

جاء السلام فقط بعد ابعاد ابو قرون. ونظّم الحاكم الدينكاوي جورج كوجُور اروب اجتماعات مصالحة في واو. وبعد ١٠ سنوات من ذلك، في عام ١٩٩٨، دفع هجوم للجيش الشعبي لتحرير السودان على المدينة الحكومة لنشر قوات السلام مرة اخرى للهجوم على مواطنين غير مسلحين اعتبروا متمردين انطلاقا من اثنيتهم، مما أدى إلى مذابح واعدامات خارج نطاق القانون (هيومان رايتس واتش).

.....

[١٠٤] مقابلة مع ضباط كبار في الجيش الشعبي لتحرير السودان، جوبا، يونيو ٢٠١٠.

[١٠٥] مقابلة مع شخص مقيم في واو، حجب الاسم، فبراير ٢٠١٠.

تجنيد قوات السلام في ثمانينيات القرن العشرين

في مقاطعة راجا إلتحق الناس من كل مجموعات الفرتيت المختلفة بقوات السلام كمتطوعين في الحرب الأهلية الثانية. لكن التأييد لهذه القوى لم يكن شاملا: ذكر احد ضباط قوات السلام ان المليشيا كانت متورطة في عمليات قتل اشخاص مشتبهين بانهم من مؤيدي الجيش الشعبي لتحرير السودان. كما ان بعض الدينكا، الذين يُعتبرون حلفاء إثنيين للجيش الشعبي لتحرير السودان، لقوا مصرعهم أيضاً على أيدي مليشيا قوات السلام.[١٠٦] وفي مقاطعة راجا كانت قوات السلام وسيطاً محلياً لجيش الحكومة حاميةً للفرتيت من حرب شاملة على الجميع في السهول الفيضانية في بحر الغزال. وهناك كانت الحكومة قد جنّدت مليشيات من عناصر من البقارة الكردفانيين والدارفوريين لتأمين خطوط الاتصالات من خلال سياسة الأرض المحروقة التي تسببت في دمار واسع النطاق. وبالمحافظة على الجيش الشعبي لتحرير السودان بعيدا عن راجا منعت المليشيا تكرار عمليات النزوح الضخمة التي وقعت في الحرب الأهلية الأولى.

ان وجود قوات السلام، كمليشيا حكومية بمشاركة محلية واسعة، كفلت ألا تدخل راجا عناصر البقارة المعسكرة في أيّ نوع من العنف الذي مرت به السهول الفيضانية إلى الشرق. وكان القائد التوم النور ينوي لقواته ان تنشط كجهة تنتصر للنفوذ العربي والإسلامي في الجنوب. وقد جنّد النور مقاتلين من الفلاتا والهبانية والرزيقات في وقت مبكر معتقداً ان دعم المجموعات الأكثر تعريبا وأسلمة سيعزّز موقفه. وكان بعض المجنّدين شماليين يعيشون في غرب بحر الغزال بيد أن النور تقدم أيضاً بحملته هذه للتجنيد شمالاً:

> في عام ١٩٨٤... صرت قائدا لقوات السلام الوطنية السودانية. ولأننا في الفرتيت قليلي العدد فكّرتُ انه يجب ان تكون معنا بعض الجنسيات العربية، الرزيقات والهبانية، لكي نستطيع ان نكون اقوياء. ذهبت من واو إلى الضعين [في جنوب دارفور] والجلد [وطن أمّه في كردفان]، قلت لهم انتم أهل أمي، ساعدوني. وعلى امتداد الحرب لم تستطع الحركة الشعبية لتحرير السودان أبداً دخول المنطقة. كان لدينا ٦٦ معسكرا و٦ ألوية... كنت أنا القائد؛ انتخبت كقائد في انتخابات بطريقين. فزت لأن الناس رأوا ان لي مكونات عربيّة ولي جذور جنوبيّة. عرفت عمر البشير

[١٠٦] مقابلة مع ضابط سابق لقوات السلام، حجب الاسم والمكان، مارس ٢٠١٠.

> حينما كان عقيداً. انا مسلم واستطيع ان اجعل الشمال يشارك. وفي عام ١٩٨٤ التحق العرب بقوات السلام. كان التعايشة والرزيقات معنا لكن كان معنا اثنين فقط من الهبانية وكان هناك العديد من الفلاتا. وحصلت على معلومات كثيرة منهم، واعطيتهم الكثير من الاسلحة.[١٠٧]

ان المجندين العسكريين في أراضي البقارة المتضرّرة اقتصاديا، خصوصا اولئك المنضوين تحت ألوية مليشيات قبليّة لا تدفع مالاً، كثيرا ما ينحدرون من اسر فقيرة مستقرة بأمّهات أو أجداد أو جدّات ذوي جذور في بحر الغزال؛ ويُذكّر دمج هؤلاء الجنود في القوة التي يقودها الفرتيت بالتحالفات العسكرية العابرة للحدود لتجارة الرق والمهدية. لكن فكرة ان دارفوريين من نسب يصلهم بالجنوب يقاتلون إلى جانب حكومة الخرطوم كانت أمراً يسبّب للجيش الشعبي لتحرير السودان قدراً كبيراً من الضيق والتوتر. وعلّق احد كبار ضباط الجيش الشعبي لتحرير السودان قائلا:

> ان معظم المخبرين ومعظم أولئك الذين بلا رحمة في أوساط قوات الدفاع الشعبي (مليشيا) كانوا من الجنوبيين السودانيين الذين ذهبوا وهاجروا لشمال السودان واستقروا في مناطق الفلاتا أو الهبانية. وبعض هؤلاء كانوا معروفين حتى لعشائرهم في أويل. لم يستطيعوا المواكبة – الذهاب للمدرسة – ذهبوا للمدارس القرآنية. لقد أُستخدموا لقيادة عمليات قوات الدفاع الشعبي في الجنوب.[١٠٨]

نظام الانقاذ: المليشيات والاثنيّة في دارفور وبحر الغزال عام ١٩٨٩

سقطت دكتاتورية جعفر نميري عام ١٩٨٥. وفي عام ١٩٨٦ أُقيم نظام برلماني بعد انتخابات عامة حصلت فيها الجبهة القومية الإسلامية، الحزب الإسلاموي الرئيسي، على نحو سدس الاصوات. وقد حصلت الجبهة القومية الإسلامية على مقعدين في الجنوب: أحدهما في بحر الغزال وفاز به على تميم فرتاك احد افراد اسرة قيادية من الفروقي كان حاكما لمديرية غرب بحر الغزال التي انشئت عام ١٩٨٣ (تشينيانكاندات، ١٩٩١، ص٨٦). وحين جاء نظام الانقاذ إلى السلطة في انقلاب عام ١٩٨٩ لعب فرتاك دوراً قيادياً.

.....

[١٠٧] مقابلة مع النوم النور، الخرطوم، مايو ٢٠١٠.

[١٠٨] مقابلة مع احد كبار ضباط الجيش الشعبي لتحرير السودان، حجب الاسم والمكان، يونيو ٢٠١٠.

استخدم نظام الانقاذ الشعارات الإسلامية لتعزيز عملية تأجيج الحرب في الجنوب: إعتبرت بعض عناصر النظام الحرب جهاداً أو كفاحاً من أجل العقيدة (دوفال وعبد السلام، ٢٠٠٤، ص٧٢). وكان لتوجّه الحكومة الإسلامي أثره الكبير في التعبئة العسكرية: كان النظام البرلماني في الخرطوم قد بدأ في تعبئة مليشيات القبائل في جنوب السودان في منتصف ثمانينيات القرن الماضي مستخدما الدين لأجل تجنيد القوات العسكرية. وفي عام ١٩٨٩ كان اول القوانين التي شرّعها نظام الانقاذ هو الاعتراف بقوات الدفاع الشعبي كمظلة لمليشيات القبائل الشمالية. وتوسعت قوات الدفاع الشعبي لتشمل انشاء مليشيا مدينية بالاضافة إلى التجنيد في أرياف شمال السودان. وقد ذهب بعض الضباط التابعين للتوم النور إلى دارفور لانشاء قوات الدفاع الشعبي هناك، لكن قوات السلام، كمليشيا جنوبية، لم تكن ابداً جزءاً من قوات الدفاع الشعبي:

> حينما جئت إلى عمر البشير في اغسطس ١٩٨٩ قال لي يجب ان تنضم إلى قوات الدفاع الشعبي. فقلت نحن لدينا العديد من المسيحيين بينما قوات الدفاع الشعبي هي للمسلمين. انا لن اشترك معهم لكن يمكن ان نتعاون في العمليات. أخذوا ضُباط المسيرية والرزيقات من قوات السلام وكوّنوا قوات الدفاع الشعبي في المجلد والضعين. وعاملت الحكومة قوات الدفاع الشعبي بشكل أفضل من معاملتها لقوات السلام. كانت قوات الدفاع الشعبي مثل اطفال وُلدوا من رحمهم، وكانوا مزوَّدين بأسلحة ثقيلة. ولم تكن قوات السلام تتلقى مرتبات فقد كانت تعمل بالمجان. كانوا يحصلون على المال فقط من القوافل. أخذوا (الحكومة) جنود الرزيقات والمسيرية الذين كانوا معي وقالوا "أنتم عرب وتعملون مع الفرتيت؟"

كانت الانتماءات القبلية والدينية قد صارت مركزيّة في سياسة التجييش في الأطراف.

الرؤية البديلة للحركة الشعبية لتحرير السودان وانقسام الحركة عام ١٩٩١

قدمت الحركة الشعبية لتحرير السودان بديلا ايدولوجيا لتفكك وخضوع الأطراف المتضمن في سياسة المليشيات القبلية: سودان جديد يشمل شعوب أطراف السودان الشاسعة والمتنوعة والمفقرة ليحل مكان الهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية للنخب ودوائرها في شمال وادي النيل. ولخليط من الاسباب الواقعية

والايدولوجية فان الحركة الشعبية لتحرير السودان أرادت إقامة سودان موحد ومغاير للسودان القديم، وسعت لتعبئة اهل دارفور وغيرها من أجزاء شمال السودان. لكنها، في بعض النواحي، تعثّرت امام دعوات نظام الانقاذ للقبلية والإسلام والتي قد تكون وجدت استجابة من سكان المنطقة أكثر مما وجدته رؤية الحركة الشعبية لتحرير السودان للسودان الجديد والتي تم شرحها خلال ثمانينيات القرن الماضي عبر صيغة رديئة للمقرر الدراسي للماركسية الاثيوبية. ويعلّق أكثر مفكري الحركة الشعبية الماركسيين سلاسة على ذلك بالقول "ان تدريس الفلسفة الماركسية والديالكتيك الصعب للمزارعين والراسبين في الدراسة من المرحلة الثانوية هو أكثر الطرق قدرة على خلق معادين للثوار" (نيابا، ٢٠٠٠، ص٥٤).

أحد أمثلة عدم إمكانية تطبيق رؤية السودان الجديد على واقع الحياة اليومية صار شديد الوضوح في حادث وقع بمستوطنة مجموعة كارا في مينامبا. ففي عام ١٩٩١ قام داؤود بولاد، وهو اسلامي دارفوري سابق انشق عن الإسلاميين وانضم إلى الحركة الشعبية لتحرير السودان، بشق طريقه إلى كفيا قنجي لنقل الكفاح المسلح إلى دارفور. وكانت تلك أكثر محاولة جادة للحركة الشعبية لجذب دارفور إلى الحرب ضد الخرطوم؛ وهو تطوُّر كان سيشدّد الضغط على المركز من خلال ربط صراعات وسخط المنطقتين. وفي مينامبا قابل بولاد زعيم مجموعة كارا أبو راس كوراوا الذي كان يحمل معه سلاحا عتيقا.

> أصيب الزعيم ابو رأس خلال خَرُّك داؤود بولاد. بولاد قتله لأنه كان يحمل سلاحاً؛ لقد كان يحمل بندقية من طراز لي – انفيلد والتي كان لكل زعماء القبائل في الجنوب واحدة منها للحماية.[١٠٩]

ربما كانت عملية القتل قد نتجت عن سوء فهم، لكنها عزلت مجموعة كارا عن الحركة الشعبية لتحرير السودان. وواصل بولاد طريقه إلى دارفور لكن الجيش الشعبي لتحرير السودان لم يكن له خطوط إمداد تدعم حملته.[١١٠] وحرّكت الحكومة مجموعات البقارة للقبض عليه بما فيهم مليشيا من قبيلة بني هلبة والذين كانوا في بلدة تدعى عِدُ الغنم (وهي تعني مكان سُقيا الاغنام). وكمكافأة للدعم الذي قدمته قبيلة بني هلبة فان الحكومة اعادت تسمية البلدة بإسم عِدُ الفرسان، ويُقدِّم الحادث مثالاً قوياً للنزوع نحو النزاع الاثني في دارفور كما يوضّح أيضاً الضيق المالي

.....

[١٠٩] مقابلة مع اشخاص من مجموعة كارا، مينامبا، مارس ٢٠١٠.

[١١٠] مقابلة مع ضباط كبار من الجيش الشعبي لتحرير السودان، حجبت الاسماء والمكان، يونيو ٢٠١٠.

للحكومة بخفض مكافأة مؤيديها إلى مجرد ديكور لفظي لقتالهم جيرانهم.[١١١]

ربما كان مقتل الزعيم ابو رأس سيعتبر مجرد حادث في حرب، لكن من خلال نظرة أوسع فانه كان خطأً حاسماً ألا تستطيع الحركة الشعبية لتحرير السودان تحريك مجموعات قبليّة مثل مجموعة كارا، والتي تنتشر في اماكن كثيرة في السودان، كما انه كان أيضاً خطأً حاسماً أن تفشل في دارفور. وجدير بالذكر ان النموذج التاريخي الوحيد لاستراتيجية عسكرية ناجحة في اعادة تشكيل مركز السودان من أطرافه كانت الثورة المهدية – والتي تقدمت في طريقها إلى الخرطوم من الغرب بجيوش من جنوب دارفور وبحر الغزال (بما في ذلك جيش كبير لمجموعة كارا).

وبعد ١٩٩١ جعلت الانقسامات داخل الحركة الشعبية لتحرير السودان محاولات من نوع محاولة بولاد أمراً مستحيلاً. فبعض قادة الحركة الشعبية لتحرير السودان الذين ارادوا للحركة ان تناضل من اجل استقلال الجنوب، بدلا من النضال من اجل السودان الجديد الذي فشل بولاد في تحقيقه، أنشأوا فصائلهم المسلّحة الخاصة بهم. وقد تشكلت هذه الفصائل حول مفهوم الاثنية: ان معظم وليس كل قادة الحركة الشعبية لتحرير السودان المنشقين كانوا من النوير، وعدا بعض الاستثناءات الهامة، فانهم جنّدوا مليشيات من النوير.

تخلّت الحركة الشعبية عن المنطقة غرب واو لحكومة الخرطوم. وقد أفاد تأجّج السياسة الاثنية في الجنوب أحياناً القادة السياسيين للمجموعات الصغيرة مثل قادة الفرتيت. لكن قادة الفرتيت يمكن ان يخسروا حينما يجري تحول في التحالفات الاثنية. وفي عام ١٩٩٧ أقدمت ٦ احزاب وفصائل جنوبية مختلفة، كانت قد انفصلت من الحركة الشعبية لتحرير السودان، على توقيع اتفاقية مع الحكومة صارت تُعرف باتفاقية الخرطوم للسلام. وكانت معظم هذه الأحزاب والفصائل متصلة بمليشيات من مجموعات قبلية من النوير والدينكا – لم يشارك الفرتيت في ذلك. وتضمنت اتفاقية الخرطوم للسلام إعادة تعيين حكام في ولايات جنوبية. وهكذا أستُبدل علي تميم فرتاك من الأسرة القائدة لمجموعة الفروقي كحاكم للولاية بتشارلس جولو وهو سياسي من مجموعة نيلية (هيومان رايتس واتش، ١٩٩٩) وكان هناك عضو واحد من الفرتيت في مجلس الجنوب والذي هو الحكومة الجنوبية التي انشئت بموجب اتفاقية الخرطوم للسلام.[١١٢]

.....

[١١١] مقابلة مع احمد دريج، حاكم دارفور في الفترة ١٩٨٠–١٩٨٣، اكتوبر ٢٠٠٩.

[١١٢] مقابلة مع أركاجلو موسى البينو، رئيس حزب المؤتمر الوطني والمفوض السابق لمقاطعة راجا ٢٠٠٠–٢٠٠٥، راجا، مارس ٢٠١٠.

وضعت حكومة الخرطوم استراتيجية سلام تسمى "السلام من الداخل"، قصدت منها ان تنشيء حكومات محلية في كل مناطق الجنوب. وهذه الحكومات المحلية تهدف إلى اخماد التمردات المحلية العديدة التي حرّكتها سياسة النظام طويلة الأمد التي تتبنى الانقسامات الاثنية. وفي مقاطعة راجا أُخذ بعض زعماء الفرتيت إلى الخرطوم لتشجيعهم على إجراء محادثات سلام محلية. ووفقا للعديد من هؤلاء الزعماء فانهم قاموا بعد ذلك بالاتصال بالجيش الشعبي لتحرير السودان في شمال بحر الغزال ثم تمت دعوتهم إلى مؤتمر سلام. لكن العديد من قادة الفرتيت تعرضوا للاعتقال وأُخذوا إلى مناطق الحركة الشعبية في غرب الاستوائية وانضم زعيم بينقة، عبدالرحمن ضحية من بلدة مينامبا، للمحادثات، وسُجن في مريدي في غرب الاستوائية حيث قيل انه مات نتيجة ما تعرض له من ضغوط وجوع.[١١٣]

هجوم الجيش الشعبي لتحرير السودان على راجا عام ٢٠٠١ وحدوث نزوح واسع النطاق

شن الجيش الشعبي لتحرير السودان هجوماً آخر على بلدة راجا عام ٢٠٠١. وكان الهجوم يهدف إلى الاستيلاء على مقاطعة راجا مما سيسمح للجيش الشعبي لتحرير السودان بتهديد دارفور واحداث استقطاب في مجتمع الفرتيت. وشاركت معظم مجموعات الفرتيت في قوات السلام؛ وكان الجيش الشعبي لتحرير السودان ينوي اجبار الناس على اختيار مع اي جانب يقفون مما ساعد الحركة الشعبية لتحرير السودان من التعرف على دائرة مؤيدين لها من الفرتيت. وتحت قيادة رزق زكريا (احد اعضاء نوقبونقبو أو مجموعة كريش حفرة النحاس والذي صار فيما بعد مفوّضاً لراجا وهو الآن حاكم غرب بحر الغزال) استولى الجيش الشعبي لتحرير السودان على راجا واحتفظ بها وبالطرق المؤدّية إلى تمساح وبورو مدينة طوال موسم امطار عام ٢٠٠١.

ونزح كل سكان المقاطعة تقريبا خلال الاحداث التي اعقبت ذلك. وحينما وصل الجيش الشعبي لتحرير السودان فرّ ١٨,٥٠٠ شخص إلى الردوم ومدن جنوب دارفور (بيانات الانتقال والتعافي السوداني، ٢٠٠٣). وجاء رد فعل الحكومة غاضبا بشكل هائل ونَشَرت قوات دفاع شعبي أختيرت من قبائل البقارة في جنوب دارفور من الذين كانوا جزءاً من حرب اقتصادية ضارية استهدفت دينكا ونوير الأراضي الحدودية في بحر الغزال واعالي النيل. وقد قاد هذا إلى حرب حرق ونهب صارت تميّز مناطق النوير

.....

[١١٣] مقابلات مع زعماء ذوي علاقة بجماعات السلام من الداخل، حُجبت الاسماء والاماكن، مارس ٢٠١٠.

والدينكا التابعة لمقاطعة راجا. وحذّر تراجع الجيش الشعبي لتحرير السودان السكان من هذا، وحينما تراجع الجيش الشعبي فرّ الناس الذين لم ينزحوا لدارفور إلى الغابات والى مناطق الجيش الشعبي لتحرير السودان في الاستوائية والى جمهورية افريقيا الوسطى.

حينما عاد إلى المنطقة عام ٢٠٠٢ من كانوا قد ذهبوا إلى دارفور نجح الاستقطاب في المنطقة. وقد عنى هجوم ٢٠٠١ ان كل شخص تقريبا في راجا له تجربة شخصية في النزوح. وغيّر جنود قوات السلام الذين بقوا في راجا مواقفهم والتحقوا بالجيش الشعبي لتحرير السودان وذهبوا للقتال في جبهات اخرى في جنوب السودان، وكان على بعض الناس ان يهربوا من الجيشين: سكان قرية مينامبا التابعة لمجموعة كارا مثلا فرّوا من الجيش الشعبي ومن الهجوم المضاد لقوات الدفاع الشعبي.[١١٤]

قبل عام ٢٠٠١ كان سكان مقاطعة راجا قد صاروا نازحين بسبب هجمات الجيش الشعبي لتحرير السودان على مناطق الفروقي ونياقولقولي في ثمانينيات القرن الماضي. ومنذ نهاية تلك الهجمات كانت دوافع التحركات السكانية تستند إلى ضغوط اقتصادية وعدم مساواة ناجّة عن اقتصاد حرب يعتمد على دفع رسوم لقوافل الشاحنات والتي تذهب إلى قادة قوات السلام. وصارت الجيوش العديدة في المنطقة تجبر السكان المحليين على توفير الطعام لها.[١١٥] ودفعت النساء والفتيات اللاتي يعشن في راجا إلى الدعارة أو إلى العلاقات خارج الزواج حول المعسكرات كمؤشر للانفصال عن الأسرة والتفكك الاجتماعي: قدّرت دراسة للامم المتحدة انه وفي عام ٢٠٠٣ كان نحو ١٥ – ٢٠٪ من الأسر تتولى مسئوليتها نساء ومعظمهن من أفقر المجموعات.[١١٦] وكانت دراسات اخرى للامم المتحدة تتناول الفترة قبل عمليات نزوح ٢٠٠١ قد وجدت فوارق رهيبة في الثروة بين المجموعات الفقيرة والغنية، وزيادة في الاعتماد على أطعمة النباتات البريّة؛ وهو مؤشر إلى ان الزراعة لم تستطع تلبية حاجات السكان (بيانات انتقال وتعافي السودان، ٢٠٠٣). وتعاني كل المجموعات من فقر شديد نتيجة النزوح.

١١٤ مقابلة مع اشخاص من راجا ومينامبا، مارس ٢٠١٠.

١١٥ مقابلة مع زعيم، حجب الاسم والمكان، مارس ٢٠١٠.

١١٦ مقابلات مع اشخاص من راجا، حجبت الاسماء، مارس ٢٠١٠؛ بيانات انتقال وتعافي السودان، ٢٠٠٣.

الشكل رقم (٦): مجموعات الثروة في راجا قبل ٢٠٠١

مجموعات الثروة	تقدير نسبي لسكان (٪)	تقدير الدخل السنوي من الغذاء قبل ٢٠٠١	تقدير الدخل السنوي النقدي قبل ٢٠٠١ بالعملة السودانية	تقدير الدخل السنوي النقدي قبل ٢٠٠١ بالدولار
جيد	١٥	تنتج من ٣٠-٤٥ جوّال من الحبوب وتمتلك من ٢٠-٣٠ من الاغنام و٥-٦ من الابقار	٧٠,٠٠٠ دينار سوداني	٢٧٣ دولار امريكي
متوسط	٣٠	تنتج من ٢٠-٢٥ جوّال من الحبوب وتمتلك من ١٠-١٥ من الاغنام	١٧,٥٠٠ دينار سوداني	٦٨ دولار امريكي
ضعيف	٥٥	تنتج من ١٢-١٥ جوّال من الحبوب وتمتلك من ٥-١٠ من الاغنام	١٣,٢٠٠ دينار سوداني	٥١ دولار امريكي

المصدر: بيانات انتقال وتعافي للسودان (٢٠٠٣)

كانت تجربة الفرتيت في النزوح بعد عام ٢٠٠١، في بعض الجوانب أقصر زمناً من تجارب نزوح سكان محاور الأراضي المحروقة في السهول الفيضانية للقبائل النيلية. وفي جوانب اخرى كانت تجربة الفرتيت أبعد أثراً. فمعظم السكان الذين عاشوا قرنين من التعرض للاستهداف والنزوح المستمرين تقريبا دُفعوا إلى ذلك مرة اخرى. وكان الدفع هذه المرة مختلفا عما سبقه لأن الكثيرين من الفرتيت صارت لهم الآن صلات بالمراكز الحضرية في الشمال والجنوب. كانت هناك بداية طفرة نفطية في الخرطوم وقد تكون مجموعة الفرتيت التي ذهبت إلى هناك قرّرت ان تبقى. وقد تأسست روابط الفرتيت التي تشمل الفرتيت المقيمين كما تشمل القادمين الجدد منهم لتوفير الدعم المالي وبرامج الاحتفالات والمناسبات. وقد استفاد العديد من القادمين الجدد من الفرص المُتاحة كما أوضح احد قدامى سكان الخرطوم من مجموعة الكريش قائلا:

> من ناحية اكاديمية حقّق اولئك الذين قَدمُوا من الجنوب انجازا كبيراً. يمكنك ان تحصل على مهارات، لن تجد الفرصة مرة اخرى. والذين عاشوا هنا معظمهم من العمال والحدادين. اما الذين جاءوا من الجنوب فانهم يهتمون أكثر بالتعليم.[١١٧]

[١١٧] مقابلة مع لطفي محمد وداعة الله، مثقف من اسرة من حفرة النحاس، الخرطوم، ابريل ٢٠١٠.

معظم الذين فروا إلى مناطق الجيش الشعبي لتحرير السودان لم يعودوا إلى راجا حتى عام ٢٠٠٦، بعد عام من توقيع اتفاقية السلام الشامل. وكما لوحظ في الفصل ٧ فان قائد الجيش الشعبي لتحرير السودان في غرب الاستوائية اصلح الطريق من طمبره إلى ديم زبير لأجل منع أهل راجا من العودة عبر مدينة واو عاصمة بحر الغزال والاستقرار فيها. وربما كان ذلك مؤشرا لاحساس الحركة الشعبية لتحرير السودان بانّها تحتاج لأن يكون لها دائرة ووجود في راجا التي كان اهلها جميعا عام ٢٠٠٥ نازحين سابقين من دارفور. لكنه يعتبر أيضاً مؤشراً بأن قادة الفرتيت رأوا ان العيش في المراكز الحضرية يمثل ميلاً لا يمكن وقف تقدمه الجامح في مجتمع الفرتيت الذي كان ذات يوم مرتبطا باسلوب الحياة المتنقلة في الغابة.

وقف إطلاق النار في بحر الغزال

أتت اتفاقية السلام الشامل بوقف اطلاق النار بين الجيش الشعبي لتحرير السودان وجيش الحكومة عام ٢٠٠٥. وفي اول عامين من اتفاقية السلام تم تكوين ادارة للشئون الأمنية في المنطقة عن طريق الوحدات المشتركة المدمجة التي هي هيكل عسكري انشأته اتفاقية السلام الشامل جمع قوات من الجيشين تحت قيادة موحدة. وكانت الوحدات المشتركة المدمجة في مناطق الحدود الأخرى قد تورطت احيانا في عمليات خرق لوقف اطلاق النار، لكن لم تقع عمليات خرق كهذه في مقاطعة راجا – كانت تهيمن على الوحدات عناصر قوات السلام وربما يكون طابعها المحلي قد ساعد في تحسين الأمن. لم تنتشر قوات الجيش الشعبي لتحرير السودان في راجا حتى العامين التاليين اذ ان ذلك كان يمثل تحديا لوجستيا أكبر مما يمكن القيام به بشكل اسرع. وقد اسموهم السكان بإسم "الجيش الشعبي لتحرير السودان الحقيقي" حينما اتوا وذلك لتمييزهم عن مجموعات الجيش الشعبي الصغيرة في الوحدات المشتركة المدمجة. وتسلم الجيش الشعبي المسئولية من الوحدات المشتركة المدمجة وكان تسلما سلسا مع ما يبدو من عدم وجود تخطيط مشترك بين الجيشين. لكن قدوم الجيش الشعبي سجّل نقلة من نظام أمني يستند لمليشيات محلية إلى جيش متعدد الاثنيات ذي اجندة وطنية.

ان اتفاقية وقف اطلاق النار الثانية والتي اثبتت انها أكثر مناعة (تعرضت اتفاقية السلام الشامل لاربعة خروقات خطيرة) جاءت مع اعلان جوبا في يناير ٢٠٠٦، وهي اتفاقية دمجت في الجيش الشعبي لتحرير السودان معظم المليشيات الاثنية التي كانت في الماضي متحالفة مع الخرطوم. وقد رفض التوم النور الاندماج لكن ٥٠٠٠ من قواته قبلت الاندماج مع ٢٠٢٥ من قوات الرزيقات والبقارة الآخرين من قوات

السلام. ويمثل اعلان جوبا دليلاً على تغيّر في تفكير الحركة الشعبية لتحرير السودان. فالخصوم السابقون يعملون الآن في وحدات مختلطة للجيش الشعبي؛ ونُشرت المليشيات خارج مناطقها المحلية (ألوية الجيش الشعبي في راجا تضم العديد من قوات النوير). كانت تكلفة الاعلان باهظة – نحو نصف ميزانية حكومة جنوب السودان أنفقت على الأمن، وربما أكثر – لكنها ربما تكون قد قدمت لجنوب السودان طريقاً نحو الوحدة الوطنية بالطريقة التي منحت بها قوات السلام بعض الوحدة لسكان مقاطعة راجا. وقد لاحظ احد كبار ضباط الجيش الشعبي لتحرير السودان في مقابلة:

> [الجيش الشعبي] يعتبر مثالا لكيف يتم ربط شعوب جنوب السودان ببعضها البعض – لدينا ممثلون للجميع داخل الجيش الشعبي. وقد صرنا منفتحين. وأيّ خطأ كنت قد احدثته في حق الجيش الشعبي مغفور. وحينما تأتي إليه (الجيش الشعبي) فانك تتحول.[١١٨]

قد تكون قوات السلام قد ساعدت في اعادة تشكيل هويات الفرتيت؛ والآن يعتقد البعض في الجيش الشعبي لتحرير السودان ان الجيش يمكن ان يولِّد هوية تعدديّة – اثنية جنوبيّة. إن لإستخدام الهياكل العسكرية لأداء مهام سياسية وثقافية العديد من المخاطر؛ وقد تم الاعتراف بهذه المخاطر من جانب كبار قادة الجيش الشعبي لتحرير السودان خلال مقابلات، مع انهم يعرفون ان هذا النوع من العسكرة يعتبر حتميّاً.

> إذا كان القطاع القائد هو الجيش فان لذلك تبعات كثيرة على المجتمع: نحن مدركون لذلك. وقد أجبرنا الشمال على ذلك. قرر الشمال تشكيل مليشيات. وقد أنضبوا مواردنا من خلال تلك المليشيات سواء عن طريق قتالهم أو عن طريق دمجهم.[١١٩]

.....

[١١٨] مقابلة مع ضباط كبار من الجيش الشعبي، حجبت الاسماء والامكنة، يونيو ٢٠١٠.

[١١٩] مقابلة مع ضباط كبار من الجيش الشعبي، حجبت الاسماء والامكنة، يونيو ٢٠١٠.

١٠ الحرب الأهلية في أراضي حدود جنوب دارفور

في عام ١٩٣٠ دُفع سكان كفيا قنجي أو فرّو إلى ضفتي نهر امبلاشا، الطرف الجنوبي لقوز دنقو، بينما أقام البريطانيون حاجزا ثقافيا على امتداد بحر العرب/نهر كير هدف إلى عزل الجنوب عن النفوذ الشمالي والإسلامي. وبعد ٤٠ عاما من ذلك، في السبعينيات، بدأ مهاجرو الجفاف من شمال دارفور في الوصول إلى قوز دنقو، فقط عندما تحولت الامكانات الزراعية في تربته الرملية بواسطة تكنولوجيا الآبار. لكن خلال عشر سنوات ساهمت أزمات متداخلة تشكلّت من أيكولوجيا دارفور وانتاجها الزراعي والاقتصاد العالمي، في تفكيك الوضع السياسي للاقليم مما قاد إلى عقدين من سنوات عدم الاستقرار كما قاد في نهاية الأمر إلى حرب انفجرت عام ٢٠٠٣. وينظر هذا الفصل لكيف أن الحرب في دارفور وضعت مجموعات مختلفة في قوز دانغو في مواجهة بعضها البعض في أعمال عنف أفرزت لاجئين يفرون من دارفور إلى داخل بحر الغزال.

السلام على امتداد نهر امبلاشا في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين

وجدت مجموعتا كارا وبينقة انفسهما متورطتين في السياسات الاثنية لبحر الغزال في تسعينيات القرن الماضي حينما قتل زعيما المجموعتين على ايدي الجيش الشعبي لتحرير السودان مع أن إحدى عمليات القتل هذه ربما كانت حادث حرب. وقبل مائة عام من ذلك كانت المجموعتان قد شاركتا في المهدية؛ ولكلا المجموعتين صلات بجبل مرة في دارفور وبأواندا جاليه فيما يسمى الآن جمهورية افريقيا الوسطى؛ والمجموعتان جاءتا في الاصل إلى جيب كفيا قنجي نحو نهاية سلطنة الفور، عام ١٩١٣. وفي عام ١٩٣٠ قرّر البريطانيون نقلهم إلى مينامبا على الطريق من بورو مدينه إلى راجا، كجزء من سياستهم الجنوبية. لكن العديد من هؤلاء (كارا وبينقة) فروا عبر نهر امبلاشا إلى دارفور حيث عاشوا في قرى شاطئ النهر الواقعة في نهاية قوز دنقو في اقصى غرب دارفور.

كان قوز دنقو حتى نهاية سبعينيات القرن الماضي مكانا خاليا؛ وقد حسّنت تكنولوجيا الآبار في ستينيات القرن الماضي بشكل كبير من الامكانات الزراعية في تربة أراضي المنطقة ذات القابلية السهلة للعمل فيها. وجلبت حالات جفاف السبعينيات والثمانينيات بشراً عديدين من شمال دارفور ومن الحدود مع تشاد للعمل في الأراضي هناك. وكان العديد من هؤلاء المهاجرين من مجموعات رعوية مثل الزغاوة فتبنوا أساليب معيشة جديدة إستجابة لما يبدو أنه سيكون تغيّرا طويل الأمد في المناخ. وكان هناك وعد بالاستثمار الزراعي في المنطقة؛ تم تسهيل تحرك الزغاوة بواسطة الحكومة. وكان مانحون دوليون يدرسون القوز كمكان لتطوير زراعة ملكيات صغيرة تعتمد على الري المطري "لأجل مصالح العدالة" (NA/OD/20/524). اما العلاقات بين الزغاوة القادمين والسكان القدامى من جيب كفيا قنجي والمُلاّك التقليديين للأراضي والسلطات التقليدية للهبانية كلها كانت تبدو جيدة للغاية. لكن بعد ثلاثين عاما، أيُ في عام ٢٠٠٣، بدأت حرب أهلية في دارفور؛ وفي عام ٢٠٠٦ تم تحريض الزغاوة ضد الهبانية وتحريض كارا ضد بينقة في بعض أكثر اعمال العنف التي شهدها نزاع دارفور فظاعة.

ادوات تفتيت دارفور ١٩٨١ – ٢٠٠٣

برزت الخلافات بين الدارفوريين على مدى فترة من الزمن. وفي عام ١٩٨١ جمعت حكومة نميري مديريات شمال وجنوب دارفور في اقليم واحد وهذا يبدو انه كان بمثابة محاولة لخلق ثقل اقليمي موازٍ للجنوب ذي الحكم الذاتي، كمدخل لتقسيم الجنوب عام ١٩٨٣، وهو الأمر الذي عجّل بالحرب الأهلية الثانية. وكان اغلبية سكان الاقليم الواحد الجديد لدارفور هم الفور الذين يكوّنون اقلية في كل من المديريتين. وبدأ الدارفوريون المعتبرون عرباً في مقاومة الهيمنة المتصوّرة لمجموعات الفور.

ان الجفاف والهجرة واسعة النطاق والحرب الليبية في تشاد، التي أدت إلى خلق استقطاب بين الهويات العربية وغير العربية ودفعت بملايين اللاجئين إلى دارفور، كلها زادت من نفوذ الاثنيّة في سياسة المنطقة. وفي ثمانينيات القرن العشرين ساهمت هذه العوامل في انفجار القتال بين الفور والمجموعات العربية – كخلفية لانشقاق داؤود بولاد (من الفور) وانضمامه إلى الجيش الشعبي لتحرير السودان. وساهمت هذه العوامل أيضاً في المجاعة المدمرة في الثمانينيات والتي ترافقت مع ضغط اقتصادي واسع على السودان (دوفال، ١٩٨٩) وألغت حكومة نميري السلطات التقليدية مثل نظارة الهبانية في سبعينيات القرن الماضي، وهي سياسة هدفت جزئيّاً لتعزيز عملية تطوير الهويات فوق القبلية لكنها في الواقع كثيراً ما عقّدت العلاقات بين المجموعات

المختلفة، خصوصا في مناطق التوتر التي كان النهب، وليس الزراعة، هو إستراتيجية التاقلم التي تبنّاها المهاجرون (ابراهيم، ٢٠٠٨، ص١٦٣ والصفحا التالية). وحينما سقطت حكومة نميري أدخل النظام البرلماني قصير الأمد الذي خلّفه، سلطات جديدة للزعماء في مناطق "متخلّفة" أو مناطق الحدود، معزّزاً التمييز بين السودان الحضري والسودان الريفي (ابراهيم، ٢٠٠٨، ص٢٣٩ والصفحات التالية).

وذهبت حكومة الانقاذ الحالية في السودان، التي اطاحت بالنظام البرلماني، أبعد من ذلك. فعقب وصولها الى السلطة عام ١٩٨٩ قلّصت بشكل كبير الاستثمار في دارفور وغيرها من مناطق الأطراف، كجزء من برنامج استقرار يهدف لخدمة الدَيْن العالمي ومكافحة التضخم، والذي كان قد تجاوز الـ ١٠٠٪ في مطلع تسعينيات القرن الماضي.[١٢٠] وقد قسّمت دارفور إلى ثلاث ولايات عام ١٩٩٤، ومنحت حكومات الولايات عديمة القوّة نسبيا، مسئولية تقديم الخدمات. وخلق النظام مركزاً تجارياً مهيمناً كان مسئولاً أمام الانظمة المالية الدولية والاسواق الخارجية للعمالة السودانية والاقتصاد التجاري العالمي. وفي نفس الوقت خفضت الحكومة الانفاق الاداري على الأطراف؛ ولكي تقوم بذلك احتاجت إلى تفكيك المجتمعات السياسية الأوسع والتي ربما كانت ستقدّم بديلاً. وحلّت الولايات مكان الأقاليم وألغيت الاحزاب السياسية والطوائف الدينية أو قُسمت واعيد خلق الهياكل القبلية. وثوَّرت المليشيات القبائل داخليا وعزَّزت العنف وثوّرت الشباب من اصحاب المشاريع ضد كبارهم وتأججت اشكال التوتر بين القبائل عن طريق مواءمة الحدود الإدارية الحالية مع حدود المناطق القبلية. وقد إدى إنتشار وحدات ادارية قائمة على أساس قبلي إلى خلق أزمة، وفقا لخبير حكومات محلية من برام:

> إن الديناميات القبلية التي نشأت نتيجة للتقسيمات الإدارية التي ذُكرت أعلاه ستساعد في تفسير النزاعات المدمرة بين كل قبائل جنوب دارفور حول الحدود [الإدارية] الجديدة لهذه الوحدات... لم تنح قبيلة واحدة في جنوب دارفور من الدخول في نزاع مع جيرانها في موضوع الحدود (تاكانا، ٢٠٠٨، ص١٠).

في ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦ قدمت الحكومة في نيالا قائمة بمؤتمرات الصلح القبلية التي موَّلتها. كان الوقت وقت حرب وهذه المؤتمرات نظمتها فقط مجموعات ذات صلة بحلفاء الحكومة – الواضح ان المؤتمرات لم تتعامل مع انقسامات الثوار. وفي محلية

.....

[١٢٠] احصائيات الاستثمار في الاطراف في سبعينيات القرن العشرين (في الشبلي، ١٩٩٠، ص٣٨)؛ احصائيات التسعينيات لبنك التنمية الافريقي (١٩٩٨، ص٢٥)؛ البنك الدولي (٢٠٠٣، ص ٤٦، ٥٢).

بـرام أظهرت القائمـة فوضى في العلاقات بين حلفاء الحكومة (انظر الشـكل ٧). وهذه النزاعات لم تُنظّم بواسـطة الحكومة: فبدلا من ذلك فان محلية برام كانت تعيـش عبر كل التناقضات الخاصة بالأطراف المهملة حيث كان يتم التلاعب أحياناً بالاثنية لتحقيق سيطرة الحكومة.

انفجار الحرب في دارفور، من ٢٠٠٣

ان إدارة حـزب المؤتمـر الوطنـي للمناطق الطرفيـة في البلاد شـملت أيضاً انظمة محسـوبية على مسـتوى التعليم والتوظيف فـي الدولة. وكثيرًا مـا كان الدعم السياسـي يعتبر شـرطا في دخول الجامعة أو الحصول على قرض. ولكن انقسـاماً وقع في الحركة الإسـلامية في أواخر تسـعينيات القرن العشرين قوّض نظام حزب المؤتمر الوطني – والعديد من الدارفوريين الذين كانوا قد التحقوا بجهاز الدولة كانوا مرتبطين بالجانب الخاسـر في الانقسام. وفقدت الإسلاموية المبادرة السياسية في دارفور لكن البديل الأساسي – تحالف بين دارفور والجنوب – لم يظهر. وأحد الأسباب في ذلك هو انه بحلول عام ٢٠٠٢ كانت الحركة الشـعبية لتحرير السـودان قد بدأت مفاوضات سلام حاسمة: كانت دارفور مُستبعَدة من الأجندة. وكانت صادرات النفط من حقول النفط الجنوبية قد بدأت. وكان اسـتبعاد دارفور من هذه التطورات عاملاً رئيسياً قاد إلى عقدين من سنوات عدم الاستقرار ثم التحوُّل إلى تمرد مكشوف.

الشكل رقم (٧):
مؤتمرات المصالحة التي تبنتها الحكومة في محلية برام في ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦

التاريخ	المجموعات المتنازعة
مارس ٢٠٠٥	الهبانية، الرزيقات
مايو ٢٠٠٥	الهبانية، مسالات
يناير ٢٠٠٦	الفلاتا، الهبانية، مسالات، مهادي، الرزيقات
ابريل ٢٠٠٦	الهبانية، الفلاتا
يونيو ٢٠٠٦	الهبانية، الفلاتا
اغسطس ٢٠٠٦	الهبانية، الرزيقات
ديسمبر ٢٠٠٦	بينقة، كارا

ملاحظات: حتى ٢٠٠٩، كانت كفيا قنجي جزءاً من محلية بُرام.
المصدر تاكانا (٢٠٠٨، ص٣)

كانت مجموعات المتمردين في دارفور في الغالب من الفور والمساليت والزغاوة الذين يتكلمون لغات نيلية - صحراوية بالاضافة للغة العربية. وبالمقابل فان الحكومة حشدت مليشيات من معظم المجموعات المحاصرة ايكولوجيا من الذين يتحدثون العربية لتنفيذ سياسة أرض محروقة ضد الدوائر الإثنية التابعة للثوار. وهؤلاء يشملون رعاة الابل الذين لا أرض لهم من سكان الشمال البعيد والذين يطلق عليهم أحياناً، وبشكل جماعي، إسم رزيقات لأنهم يتشاركون في الإسم مع الرزيقات من رعاة الأبقار في الجنوب. وساعدت مليشيات من هذه المجموعات التي تتحكم فيها الحكومة في اجبار ملايين الدارفوريين على النزوح إلى معسكرات النازحين.

أظهر كل من الحكومة والثوار في دارفور الحرب بلغة إثنية. وقد ساعدهما في ذلك مراقبون ومناصرون من الخارج صار العديد منهم معتادين على النظر لثنائية الضحايا والجناة الاثنيّين، كوسيلة لتبسيط وشرح عدم الاستقرار المتزايد في أطراف العالم. وحوّلت كل المجموعات الثلاث إلى دارفور الانقسامات الاثنية للحرب الأهلية بين الجنوب والشمال مظهرين النزاع في دارفور كنزاع بين العرب والأفارقة.

وفي جنوب دارفور، أكثر مناطق الولاية سكاناً، كان الواقع مختلفاً. فحتى عام ٢٠٠٣ كانت عناصر من القطاع الواسع للبقارة، خصوصا الرزيقات، تقاتل في مليشيات قوات الدفاع الشعبي التابعة للحكومة مهاجمين مجتمعات المناطق التي تسيطر عليها الحركة الشعبية لتحرير السودان في الجنوب. لكن هؤلاء كانوا قادرين على مقاومة ضغوط الحكومة عليهم بالانخراط في الحرب في دارفور؛ وبالطبع حينما انتهت الحرب الأهلية مع وقف اطلاق النار بموجب اتفاقية السلام الشامل عام ٢٠٠٥ التحقت بعض عناصر البقارة المدرّبة عسكريّاً بالجيش الشعبي لتحرير السودان.

لكن هذا لم يعن ان منطقة جنوب دارفور كانت مكاناً آمنا أو انها خاشت الاندفاع نحو أشكال عرقية أو قبلية في تعريف نفسها كبقية الإقليم. فمثلا شهد قوز دنقو قتالا حول الأرض على امتداد تسعينيات القرن الماضي. وهذا كان مرتبطاً بسياسات تعزّز وضع مجموعات تعرّف نفسها كعرب (مجموعات الهبانية بشكل أساسي) على وضع غيرهم من المجموعات الصغيرة. وهذا أثّر في علاقات الحياة اليومية في مناطق الهبانية، بما في ذلك محلية بُرام وجيب كفيا قنجي في الركن الجنوبي الغربي من جنوب دارفور. ووصف قائد قبيلة صغيرة في منطقة محلية بُرام نبرة الخضوع الخادع التي تبنّاها عند حديثه مع افراد القبائل العربية: "نحن نسميهم دول الإستكبار فيفرحوا حين نقول لهم ذلك وأحياناً يقولون إذا نسيت أن تناديهم بذلك "أنت لم تعطني لقبي كاملا"".[١٢١]

[١٢١] مقابلة مع زعيم قبلي، حجب الاسم والمكان، ابريل ٢٠١٠.

وفي الردوم، المركز الإداري المجاور لجيب كفيا قنجي، ظهرت أشكال توتُّر بين مجموعات أولاد العرب الذين كان البريطانيون يعتبرونهم شماليين وبين مجموعات كارا وبينقة ودنقو، الذين يصنفون أحياناً مع الجنوب.

> حتى السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي كان الناس يعيشون في سلام ولا أحد يسألك عن قبيلتك. وكان أفضل اصدقاء ابي من الجنوب وكانوا مثل اخوة... ثم جاءت المشاكل. لم تكن المشاكل شيئا تستطيع ان تراه – أرادت بعض قبائل الجنوب ان يكون لها عمدة خاص، دنقو وكارا وبينقة – شعروا ببعض الاستفزاز من اولاد العرب ونقص في الاعتراف بالآخرين. لم يكونوا مسلمين وكان لهم كجور. وبدأ الناس يقولون اشياء مثل كلمة "عبد".[١٢٢]

في عام ٢٠٠٣ أدخلت التوترات الإثنية المتزايدة محلية برام في أتون نزاع. كان مهاجرو الجفاف الذين أتوا إلى جنوب غرب دارفور في سبعينيات القرن الماضي يضمُّون العديد من قبيلة الزغاوة التي هي واحدة من أكبر المجموعات غير العربية في دارفور. وفي البداية رحبت سلطات الهبانية بهم في قوز دنقو البعيد التابع لبرام والذي صار يخضع لسيطرتهم. وفي ثمانينيات القرن العشرين جاء المزيد من المهاجرين للعمل في المزارع الناجحة التي انشأها مهاجرو السبعينيات: جاء مساليت وتاما واراينغا وقمر ومسالاتي ومسيرية الجبل – وكلهم يندرجون تحت مسمى "افارقة" في صيغة العرقية الشعبية الجديدة لدارفور. بعد تمرد ٢٠٠٣ حاولت مجموعات من الثوار مثل حركة العدل والمساواة ان تكسب التأييد، خصوصا الدعم المالي، من هؤلاء المزارعين ذوي الاوضاع الجيّدة نسبيا.

> انشأت حركة العدل والمساواة مكتبا لها في بلدة قريضة وبدأت في تجنيد عناصر من تاما وأرينغا وغيرها من المجموعات الأخرى في قوز دنقو: كان ميني مناوي [كان حينذاك قائداً لحركة تحرير السودان] في اقصى الشمال لكنه بدأ يتحرك في المنطقة. كان عندهم المال – في الشمال: الأسرة يمكن ان تدفع نصف مليون جنيه سوداني (٢٠٠ دولارا امريكيا) لكن في الجنوب ولد صغير يمكن ان يدفع ذلك وكانت الفكرة هي استخدام الهياكل القبلية لجمع الأموال.[١٢٣]

.....

[١٢٢] مقابلة مع مواطن من الردوم، حجب الاسم والمكان، مايو ٢٠١٠.

[١٢٣] مقابلة مع ناشط حقوق انسان، حجب الاسم والمكان، ابريل ٢٠١٠.

صارت قريضة، وهي بلدة تقع شرق محليّة بُرام بها العديد من مهاجري الجفاف، مكان تمركز للنزاع بين مجموعات الثوار المنقسمة على الخطوط الإثنية. صارعت مجموعات الزغاوة ومجموعات المسالية لأجل السيطرة على البلدة مما انذر قادة الهبانيّة بوجود اضطرابات في منطقتهم، وبدأوا في تعبئة جيوشهم الخاصة – وهذه لم تكن قواتاً تسيطر عليها الحكومة، مع ان الحكومة كانت تزودهم أحياناً بالاسلحة؛ وقامت مليشيا ذات صلة بمجموعات الزغاوة بقتل اخ ناظر الهبانية في كمين.

حدثت هذه الأزمة في ٢٠٠٦، من خلال شرارة تطايرت من لهب غير متوقع. وفي يوليو وقعّت الحكومة اتفاقية سلام دارفور مع فصيل منّاوي في حركة تحرير السودان، وهي مجموعة من الزغاوة نشطت وسط مهاجري الجفاف من الزغاوة في المنطقة. وطالب جنود حركة تحرير السودان من الزغاوة والذين صاروا الآن حلفاء للحكومة، بنزع سلاح مليشيات الهبانية الخاصة زاعمين أنهم هم المسئولين عن الأمن. وتحالفت مليشيات الهبانية الخاصة مع مليشيات الفلاتا الخاصة وهاجموا مناطق الزغاوة في قوز دنقو وقريضة بعيدا إلى الشرق. وكانت الهجمات وحشية بشكل غير معهود – هناك تقارير ذكرت ان أطفالاً صغار قُذف بهم في اكواخ محترقة – وقد أدت هذه الهجمات إلى نزوح كل مزارعي القوز تقريبا إلى أطراف مدينة نيالا حيث يعيش العديدون منهم الآن.[١٢٤] وأنهت سياسة العلاقات المبنيّة على العرقية في جنوب دارفور التجربة الزراعية الناجحة للقوز نهائيا.

فرّ بعض مزارعي قوز دنقو جنوبا. وذهب نحو ٤ الف إلى بورو مدينه وذهب آخرون إلى تمساح ويعيش العديد من هؤلاء الناس الآن كنازحين شماليين في جنوب السودان؛ وقد حدّد احد ممثلي هذه المجموعات أصولهم الاثنية في مقابلة عام ٢٠١٠ بأنهم: "برنو وهوتيا وكارا وزغاوة ومعاليا ومسيرية جبل ومساليت وبرقد". ومعظم هؤلاء الناس كانوا مهاجرين بسبب الجفاف. وقد تحرّكوا في طرق شبيهة بتلك الطرق التي كانت قد سارت عليها مجموعات الفرتيت بعد سقوط سلطنة دارفور عام ١٩١٦. ولكنهم لم يكونوا متجهين نحو فضاء لا تسيطر عليه حكومة وانما نحو معسكر لاجئين نُظِّم تحت سلطة حكومة جنوب السودان في منطقة حدودية عالية العسكرة في السودان.

.....

[١٢٤] مكتب المفوض السامي لحقوق الانسان وبعثة الامم المتحدة (٢٠٠٦)؛ تقارير داخلية للامم المتحدة لتلك المرحلة.

القتال بين مجموعات كارا وبينقة عام ٢٠٠٦

أثّرت اثننة السياسة في جنوب دارفور على العلاقات بين بعض المجموعات التي انتقلت إلى قوز دنقو، بما في ذلك الزغاوة الرعاة الذين كانوا يستخدمون الأراضي الغنية في المنطقة كوسيلة للانتقال إلى حياة زراعيّة. وقد عاش معظم هؤلاء الرعاة في مستوطنات غرب وادي ابرة، وهو مجرى مياه موسمي يمثّل الحدود الشرقية للقوز. اما الحدود الجنوبية للقوز فهي نهر امبلاشا، حيث يعيش العديد من الذين كانوا قد فرّوا من حريق كفيا قنجي عام ١٩٣٠؛ بعضهم ما زال هناك بعد مرور ٧٠ عاما. وفي ثلاثينيات القرن الماضي كان كل هؤلاء اللاجئين من كفيا قنجي يخضعون لعمدة واحد وكان العُمد المتعاقبون يُختارون من قبائل مختلفة. لكن آراء الناس الاثنية صارت أكثر تشدّداً في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين وتم التعبير عن هذه الآراء من خلال مطالب بخلق عموديّات جديدة لمجموعات محددة؛ وبرزت الصراعات بين مجموعتي كارا وبينقة في تسعينيات القرن الماضي بأن صارت كل مجموعة تريد عمدتها الخاص. ووافق عمدة ناظر الهبانية، المسئول عن التعيينات القبلية، على انشاء عموديتين جديدتين.

ما زال من ينظرون إلى المنطقة من خارجها في كثير من الأحيان يصنّفون بينقة وكارا كمجموعة واحدة. لكن التوترات بينهما تواصلت؛ وتعزّزت لدي مجموعة بينقة فكرة أن مجموعة كارا جاءت من جمهورية افريقيا الوسطى وزعموا ان كفيا قنجي كانت حاكورتهم، مستخدمين مصطلح الدار القبلية التي يمنحها سلاطين الفور.[١٢٥] وبعد بداية الحرب الأهلية في دارفور اكتسبت هذه الروايات المختلفة عن الأصل التاريخي طابعاً ملحاً جديداً وبدأت تتغلغل عميقا في السياسة الوطنية. وفي ذلك الوقت تولى افراد من كارا ومن بينقة مناصب في حزب المؤتمر الوطني الحاكم. لكن بعض حركات الثوار حاولت عام ٢٠٠٤ ان تتنظم في قرى على امتداد نهر امبلاشا حيث تعيش مجموعتي كارا وبينقة.

التحق شباب من كارا من ديم بشارة بحركة تحرير السودان وطلبت مجموعة بينقة السلاح من الحاكم لقتالهم. واستمر القتال من أغسطس إلى ديسمبر وانتهى بعد مؤتمر صلح موّلته الحكومة (انظر الشكل ٧ أعلاه). وقاد القتال إلى نزوح عدد ضخم من الناس وفرّ العديد منهم إلى بورو مدينة جنوب جيب كفيا قنجي. وفي عام ٢٠٠٨ انتقل ٦٠٠ من هؤلاء اللاجئين إلى مينامبا، قرية كارا وبينقة التي أنشأها البريطانيون عام ١٩٣٠ (في ٢٠٠٦ كان هناك فقط ١٨٧ من كارا يعيشون

[١٢٥] مقابلة مع احد سكان الردوم، حجب الاسم، مايو ٢٠١٠.

في مينامبا ولذلك فقد غيّر وصول اللاجئين الدارفوريين المكان). درس اطفال كارا وبينقة في نفس المدرسة في مينامبا وتعليقا على التوترات الإثنية قال أفراد من كارا في مينامبا:

> ان مشكلة دارفور بين كارا وبينقة لا تؤثر على علاقات كارا في جنوب السودان. ان سياسة النزاع قد دخلت دارفور. ونحن ما زلنا نتزاوج [مع بينقة].[١٢٦]

أراضي الحدود بعد اتفاقية السلام الشامل

ان التوقيع على اتفاقية السلام الشامل لم يجلب السلام للأراضي الحدوديّة بين جنوب السودان ودارفور. وبدلا من ذلك فان الحرب في دارفور خلقت حدوداً ثقافية بين مجموعات ينظر اليها كعرب أو غير عرب. ان الناس الذين تعرضوا للنزوح نتيجة السياسة الجنوبية البريطانية عام ١٩٣٠ وجدوا انفسهم يتفاوضون عن طريق العنف على تشكيل علاقاتهم الاثنية في المنطقة؛ وكان آلاف منهم جاءوا نازحين إلى دارفور أو صاروا نازحين في داخلها. وقد اثار القتال في دارفور أيضاً اول عملية نزوح رئيسية من دارفور إلى جنوب السودان منذ سقوط سلطنة الفور عام ١٩١٦. ويتقاسم الناس في قوز دنقو ومقاطعة راجا تجربة الأزمة والاهمال التي تعتبر ملمحا من ملامح مجتمعات الأطراف، لكن أزماتهما تكشّفت بطرق مختلفة وفي جولات مختلفة.

ان العنف في دارفور متشابك مع عملية تحديثها: فالعديد من مزارعي قوز دنقو كانوا أبناء رعاة؛ والآن هم سكان أحياء فقيرة في المراكز الحضرية يحاولون ان يحصلوا على مصدر رزق في معسكرات النازحين في نيالا. وقد انشئت معسكرات لاجئين أيضاً في بورو مدينه. ولكن في مينامبا استطاعت مجموعة كارا التي نزحت من نهر امبلاشا ان تقدم على عودة غير متوقعة لدار كانت قد اختارها لها المستعمرون البريطانيون قبل عقود عديدة من السنوات. والآن، وبعد التعامل مع حربين، فان افراد مجموعة كارا وغيرهم من سكان الأراضي الحدودية يواجهون تحديا جديدا: آثار ما يُرجّح بأنها ستكون حدوداً دولية بين دارفور وجنوب السودان.

.....

[١٢٦] مقابلة مع اشخاص من كارا في مينامبا، مارس ٢٠١٠.

١١ خلاصة: جيب كفيا قنجي عشية الاستفتاء

عرض هذا التقرير تاريخ مجتمعات متصلة ببعضها البعض تعيش في كفيا قنجي وفي المناطق المجاورة للشمال والجنوب. الهدف من هذا العرض هو تحليل مصادر هويّة سكان هذه الأراضي الحدوديّة السودانية البعيدة وعلاقتهم بالدولة وبتجارتهم ووسائل العيش وبأنظمة العمل وبالبيئة الطبيعية وبالحروب التي شكّلت تواريخهم.

الفرتيت كسودانيين

"الفرتيت" هو المصطلح الجمعي الذي يُطلق على سكان هذه المنطقة من غرب السودان؛ وهو مصطلح ازدرائي في السابق لكنه مرّ بتطور هائل ومذهل في السودان المعاصر كما توضحه أمثلة متنوعة راهنة لمعناه:

> حينما كنت صغيرا اعتبرت نفسي بيلاندا؛ وقد صار من المهم الآن التمييز بين من هم من غير الدينكا. وحتى في جوبا الآن فان غير الدينكا يسمُّون الفرتيت (زعيم من بيلاندا).

> انه ازدرائي؛ في الاصل استخدمه الدينكا بطريقة ازدرائية. والآن يستخدمه الفرتيت لحرمان المضطهِد من أدواته اللغويّة (أكاديمي سوداني جنوبي).

> إن جزءاً كبيراً من حدود الشمال والجنوب تمر عبر حاج يوسف [حي في الخرطوم به تنوّع سكاني شديد]. وفي الجامعات السودانية يسمى الناس انفسهم الفرتيت وهو مصطلح لإعادة التأهيل. الدينكا الذين يتزوّجُون من اليونانيين والفور والعرب يستخدمون هذا المصطلح (صحفي من الخرطوم).

ان تواريخ الهجنة والتبعية والهجرة التي يجري الاستشهاد بها هنا ليست تواريخ غير عادية في السودان. وفي الحقيقة فإن الاختلافات الواسعة في مثل هذه التجارب يمكن النظر اليها كجزء أساسي في حياة العديد من السودانيين. ويمثل الاستخدام الحالي لمصطلح "الفرتيت" كوصف للذات من جانب العديد من سكان الخرطوم، ممن لهم صلات بغرب بحر الغزال، توسعاً هاماً لمعناه كي يشمل قطاعاً كبيراً من السودانيين المعاصرين. وتجدر الاشارة إلى انه، في بدايات القرن العشرين، كان مصطلح سوداني مصطلحاً تحقيريّا، وكان يستخدم أيضاً بالطريقة نفسها لوصف اولئك الناس الذين خرجوا في شكل جديد من الوعي الوطني من تجربة الحرب والاسترقاق والحياة الحضرية والحياة العسكرية.

شتّتت هجرات واضطرابات القرنين الاخيرين الفرتيت في مختلف انحاء السودان، وحوّلت العديد منهم إلى سكان مدن، أيضاً، وذلك في تجربة مشتركة مع العديد من الناس في السودان اليوم – ممن فيهم مهاجرو دارفور في جنوب السودان. والآن يعيش الفرتيت في جميع أنحاء البلاد في أرخبيلات تتكون من اندية مدينية وسلطات ريفية تقليدية وزيجات من اماكن بعيدة؛ ويعتبر معدل الإنتقال للسكن في المدن احد اسرع المعدلات في افريقيا، وهذه نتيجة لتاريخ ظلت تتعرض له العديد من المجتمعات داخل حدودها لضغوط من اسواق بعيدة ونظام سياسي خلق بشكل خاص اختلافات هائلة بين المركز والأطراف. ان المجموعات الاجتماعية والثقافية الموصوفة في هذا التقرير – مثل نادي كارا بام درمان أو رابطة بينقة – تعتبر أمثلة للوسائل التي يتعامل بها السودانيون من هذه المجموعات الاثنية، ومن مجموعات اخرى عديدة، مع الارتباط بالحياة في المدن والتشتيت الذي يحدثه نظام اقتصادي قاسي. وهناك منظمات شبيهة للدارفوريين توجد في مدن شمال وجنوب السودان.

ساعدت حكومات متعاقبة في المركز في خلق هذه الارخبيلات من خلال سياسات تجعل الهجرة امراً لا مفر منه. وفي بعض الأوقات حاولت حكومات المركز أن تمنع المهاجرين من تنظيم انفسهم على أساس إثني لكن حزب المؤتمر الوطني والحركة الشعبية يجدان في الروابط الاثنية شركاء طيّعين يستطيعون ان يدخلوا في صفقات سياسية نيابة عن دوائرهم الاثنية. وقد اظهرت انتخابات ٢٠١٠ ان لكل من الحزبين الحاكمين في السودان سيطرة كاملة تقريبا على منطقتيهما: الجميع تقريبا في الجنوب صوتوا للحركة الشعبية لتحرير السودان؛ والجميع تقريبا في الشمال صوّتوا لحزب المؤتمر الوطني. وفي اطار هذا الهيكل الحزبي الجديد فان الروابط التي تربط المهاجرين بارياف السودان، والتي تستند إلى الاثنية، ستستمر في لعب جزءٍ من أجزاء تشكيل الهويّات والصلات بين الدولة والمجتمعات السياسية المستندة إلى الهوية.

العمل وسبل العيش

دُفعت اقتصاديات جيب كفيا قنجي وراجا نحو الاسواق السودانية والعالمية خلال القرن العشرين. وكان تطوير هذه المناطق الطرفيّة وغيرها في السودان بمثابة عملية شديدة العنف. وتشابكت حروب العقود القليلة الماضية من السنوات مع سياسات الحكومة التي أوقفت الاستثمار في الأطراف وأجبرت الناس هناك على اقتحام وسائل جديدة وصعبة في بعض الاحيان لكسب العيش؛ وبُنيت الكثير من البنى التحتية الاقتصادية لهذه المناطق خلال فترة الحرب وبُني بعضها بواسطة الحرب نفسها أو بأشكال أخرى من الإرغام.

ان بناء الطرق الذي ينظر اليه كشرط لا غنى عنه لبناء التنمية ليس دائماً للمنفعة. وفي حالة راجا وكفيا قنجي، مع ان بناء الطرق عابرة الحدود يمكن ان يساهم في التجارة السلمية وفي حركة البشر، إلا أنه لا يجب افتراض ان تكون التنمية الاقتصادية للمنطقة هي النتيجة التلقائية لذلك؛ ويمكن ان تكون الطرق وسائل لسيطرة الدولة ولزيادة العسكرة؛ وقد ساهمت طرق راجا أيضاً في نزوح البشر. وقد انتقل الآن إلى المدن العديد من احفاد سكان الغابات في القرن التاسع عشر ببحر الغزال. وهذه محصلة لعمليات تاريخية طويلة تدفع الناس من المناطق الطرفيّة إلى المراكز الحضرية.

وفي جنوب دارفور كان الطريق إلى التمدّن أكثر سرعة (فلنت، ٢٠١٠، ص٤٥) وحتى عام ٢٠٠٦ كان قوز دنقو على الأراضي الحدودية لجنوب دارفور موقعاً لتجربة اجتماعية من جانب بعض الدارفوريين الساعين لتكييف سبل عيشهم مع التغير المناخي. وقد بنى رعاة تحركوا من الشمال الأجرد بنجاح اقتصاد زراعي هناك. لكن هذه التجربة تدمّرت في واحدة من العديد من النزاعات الفرعية القاسية التي فجرتها الحرب في دارفور؛ وقد انتقل العديد من هؤلاء المهاجرين الآن إلى المدن للعيش في معسكرات نازحين أو في مدن الصفيح والكرتون على أطراف نيالا. وانتقل آخرون إلى بلدات في غرب بحر الغزال.

يبدو ان الرعاة من جنوب دارفور – ومعظمهم من البقارة – أيضاً قد اتجهوا نحو الزراعة متحركين في بعض الاحيان إلى أراضي حول تمساح على الشرق من جيب كفيا قنجي حيث ينخرطون في زراعة موسمية. وتحدث هذه التطورات في وقت يشهد نمواً متسارعاً للغاية في أعداد الحيوانات لدي الرعاة على امتداد الحدود بين شمال وجنوب السودان، وتدهور في نوعية الأراضي الزراعية. (برنامج الامم المتحدة للبيئة، ٢٠٠٧، ص١٨٦ وما يليها؛ البنك الدولي، ٢٠٠٩، ص٨٠). وفي السنوات التي أعقبت عام ٢٠٠٦ ارتبطت النزاعات الخاصة بالوصول إلى المراعي بالعديد من النزاعات المحليّة في دارفور. وهذا يعود جزئياً إلى حقيقة ان العديد من المزارعين قد نزحوا إلى المدن بحلول عام ٢٠٠٦؛ وجرت

الصراعات اللاحقة في الغالب بين مجموعات الرعاة المُعسْكَرين الجُدد الذين كانوا في السابق حلفاء للحكومة. ويبدو انهم أيضاً وراء انفجار عنف لم يكن متوقعا في بالبالا شمال تمساح، في ابريل ٢٠١٠، حينما قتل أكثر من ١٠٠ رزيقي من البقارة في قتال مع الجيش الشعبي لتحرير السودان.

البيئة الطبيعية للأراضي الحدودية

هناك سمة مشتركة لسكان الأراضي الحدودية حول جيب كفيا قنجي – سواء كانوا مزارعين راسخين أو مهاجري جفاف من شمال دارفور – وهي انهم منخرطون جميعاً في عملية التكيّف مع التغير المناخي. ويعتبر جيب كفيا قنجي نفسه محمية طبيعية، معترف بها كمحمية للمحيط الحيوي تابعة لليونسكو، وهي محمية دولية تُلزم الحكومة الوطنية بالتنمية المستدامة للسكان المحليين. لكن هذه ليست سياسة تمارس بشكل فعّال من جانب السلطات الحكومية؛ بدلا عن ذلك صار الناس في القرى في اقصى الغرب من جيب كفيا قنجي نازحين نتيجة قرار بتوسيع منطقة الحمية في تسعينيات القرن الماضي. ولا يبدو ان الحمية ستحمي العديد من انواع الثدييات، الأمر الذي يمثل تدهوراً دراماتياً يتصل باستراتيجيات يائسة لكسب العيش من جانب السكان المحليين على مدى العقود القليلة الماضية من السنوات. ان خدمات الحياة الوحشية الشمالية والجنوبية في بحر الغزال منفصلة إدارياً ولا يوجد تواصل بينها ولم يتم سوى القليل لوقف هذا التدهور.

ان منجم النحاس في حفرة النحاس وغيره من أشكال الثروة المعدنية للمنطقة تقع في قلب الحسابات السياسية المتعلقة بمستقبل المنطقة – مع انه لم يتم الحصول إلا على أرباح قليلة من معادن المنطقة خلال التسعين عاماً الماضية. ان المستقبل الاقتصادي البديل للمنطقة لم يبدأ نقاشه بعد إلا بالكاد.

حروب الحدود

منذ ستينيات القرن الماضي سعت القوى السياسية من خارج مركز السلطة في السودان، بشكل متقطع إلى إيجاد هيكل قادر على تحريك احتجاجات دارفور والجنوب لكن هذا المحرّك ظل مراوغا وكان الوطنيون الجنوبيون يأملون في دعم دارفور في مطلع ستينيات القرن الماضي. وقد احتفظت إحدى أوائل المجموعات الوطنية الجنوبية، اتحاد المناطق المقفولة بجنوب السودان، بمقاعد في لجنته التنفيذية فارغة على أمل ان يملؤها الفور وغيرهم من الشعوب الشمالية المهمّشة (مالوك، ٢٠٠٥،

ص٤٤). ولـم يقدم احد على ذلك. وشـهدت هذه المنطقة ظهور مشـاعر إقليمية فـي دارفور من خـلال تنظيمات مثل جبهة نهضة دارفور وجناحها العسـكري، غير الناجح، سـوني، في جلب البقارة والفور والمجموعات الدارفورية الأخرى.[١٢٧] وقد توسـل بيان لسوني يعود تاريخه إلى ١٩٦٦ بالنضال الجنوبي:

> يا شعب كردفان وجبال النوبة ودارفور ان منظمة سوني تناشدكم ان تتحدوا ضد الامبريالية الشمالية مصاصة الدماء التي امتصت دمائكم بإسم الدين... الامبرياليون الشماليون الذين قتلوا اخوتكم في الجنوب... قتلوا نحو مليونين (NA/FO371/190419).

تم تطويق أعضاء سوني حتى قبل ان يطلقوا رصاصة، واندمجت جبهة نهضة دارفور في سياسة الخرطوم. وبعد سنوات قليلة توصلت حركة الانيانيا في جنوب السودان إلى اتفاقية سلام اديس ابابا التي أسست هياكل سياسية للحكم الذاتي للجنوب واضعة من يبحثون عن التغيير في دارفور ومن يبحثون عنه في جنوب السودان على طرق مختلفة.

ما زالت هناك امكانية لنزاعات متميّزة، لكن مرتبطة في دارفور وجنوب السودان، أن تلتحم ببعضها البعض. وقد حدث هذا في سبعينيات القرن التاسع عشر حينما أطاح جيش من بحر الغزال بالسلطنة في دارفور، كما حدث مرّة اخرى عام ١٩٩١ حينما التحق داؤود بولاد، الإسلامي من دارفور بالجيش الشعبي لتحرير السودان وحاول القيام بغزو عبر كفيا قنجي. وتوجد امكانية ليس فقط لقطاع كفيا قنجي وحده وانما أيضاً لأراضي الرزيقات شرقاً والتي شهدت نزاعات مع الجيش الشعبي لتحرير السودان وانشقاقات للتحول نحوه خلال الستة اعوام الماضية. وفي هذا الاثناء قد يكون تردّد اشاعات بنشاط لجيش الرب في المنطقة فقط مجرد اشاعات لكنها مؤشر لمدى تعقيد الوضع وهي تترك الباب مفتوحا لاحتمال تورط أوغندا في المنطقة.

إن تفجر صراع مستقبلي في المنطقة يمثل بالتالي إحتمالا وارداً ولكن الحرب ليست حتمية. هناك دروس هيكلية للمجموعتين الأكثر تسليحا في السودان – وهما القوات المسلحة السودانية والجيش الشعبي لتحرير السودان– للمحافظة على وقف اطلاق النار الحالي والذي يستند إلى الاعتماد الاقتصادي المتبادل بين الحكومتين في جوبا والخرطوم. ان اعادة صياغة الهويّات والاقتصاديات والايكولوجيا لهذه الأطراف البعيدة تمثل طرقا للمساعدة في تعزيز السلام الراهن.

.....

[١٢٧] مقابلة مع يوسف تاكانا، وزير فيدرالي سابق للتعاون الدولي ومفوض سابق لدارفور، الخرطوم، مايو ٢٠١٠.

١٢ التوصيات

ان مصير سكان جيب كفيا قنجي والمنطقة الأوسع التي تشمل راجا والردوم كانت قد حجبته تاريخيا الصراعات السياسية والاجتماعية الأوسع نطاقاً التي جرت في السودان. واليوم، وعلى ضوء المفاوضات حول المستقبل السياسي للبلاد، وترسيم حدود الشمال والجنوب، فان المنطقة وسكانها قد حصلوا على أهمية دبلوماسية جديدة. إن المستوى الحالي من الاهتمام الدولي وحجم الحضور الدولي في السودان يجعل من الممكن لمصالح هذا القطاع المهمل من السكان أن تنعكس في إطار بحث عن حلول على مستوى البلاد. وسيكون مستقبل جيب كفيا قنجي على وجه الخصوص عنصرًا حاسماً في مفاوضات ما بعد الاستفتاء بين طرفي اتفاقية السلام الشامل.

يجب ان يوضع في المفاوضات حول ترتيبات ما بعد الاستفتاء في السودان بين طرفي اتفاقية السلام الشامل اعتبار واضح للادارة المستقبلية لجيب كفيا قنجي كما يجب وضع اعتبار للتأثيرات على المنطقة الأوسع التي تشمل راجا والردوم.

وبالرغم من اهمية المنطقة في المفاوضات حول حدود الشمال والجنوب بموجب بنود اتفاقية السلام الشامل فان المنطقة نفسها ظلت غير ممكنة الوصول لبعثتي الامم المتحدة في السودان إذ لم يسمح ليوناميد ولا ليونيميس بالتحرك إلى كفيا قنجي أو ضواحيها؛ لذلك هناك معلومات قليلة حول الوضع الراهن فيها. ويعتبر الوصول إلى هذه المنطقة شديدة العسكرة حاسماً إذا كانت هناك رغبة في تحقيق انتقال سلمي بنهاية المرحلة الانتقالية الواردة في اتفاقية السلام الشامل.

وتعتبر الرقابة الخارجية خلال الفترة المتبقية لاتفاقية السلام الشامل حاسمة بالنسبة لمستقبل المناطق الحدودية بين الشمال والجنوب. ويجب ان تضغط الامم المتحدة على طرفي اتفاقية السلام الشامل كي يسمحا بالوصول الفوري إلى جيب كفيا قنجي وضواحيها تحسّباً لمفاوضات ما بعد

الاستفتاء على الترتيبات الإدارية المستقبلي.

ان الإدارة المستقبلية لكفيا قنجي والتي ستنشأ بعد اكمال مفاوضات ما بعد الاستفتاء ستتاح لها فرصة تأسيس أو إقامة ادارة نموذجية، تحترم حقوق سكان الجيب وتوفر أساساً لتنمية اقتصادية مستقبلية للمنطقة. وتتطلب الترتيبات الإدارية لجيب كفيا قنجي احترام وضعها الغريب مقابل الإنقسام بين شمال وجنوب السودان. وستساعد حرية التنقل ووجود حدود مرنة واتاحة الوصول للأراضي وحرية التجارة، كلها، في حماية سبل العيش في المنطقة. ويمكن ان تساعد الاجتماعات بين حكومات الولايات وبين المجتمعات المجاورة في الأراضي الحدودية في تدعيم السلام كما فعلت في الماضي.

يجب ان يقدم الدعم الدولي لتطوير خطة ادارية لمستقبل جيب كفيا قنجي، بما في ذلك استشارة وتمثيل المجتمعات التي تعيش فيها وحولها واعتبارات العلاقات المستقبلية بين حكومات ولايتي غرب بحر الغزال وجنوب دارفور.

ظلت الثروة المعدنيّة لكفيا قنجي في مركز الحسابات السياسية المتعلقة بمستقبل المنطقة، ومع ذلك، وبالرغم من قرن كامل من الاستغلال، فان الناتج من التعدين ظل في الحدود الدنيا. وتستحق موارد المنطقة من الاخشاب والحياة البرية نفس القدر من الاهتمام الذي تناله الموارد المعدنية. ويمكن للتنمية الاقتصادية في المستقبل ان تشمل العناية المستدامة بالغابات والسياحة والسوق الدولية لانبعاثات الكربون (نوقش بشكل غير مكتمل بواسطة وزارة الزراعة الفيدرالية عام ٢٠٠٩)

وينبغي ان يتضمن الدعم للتنمية الاقتصادية في كفيا قنجي، من السلطات الحكومية ومن مقدمي المساعدات، التخطيط لاستغلال مستدام لمواردها الطبيعية وللادارة البيئية لبرامج التنمية؛ ويجب ان تكون الإدارة البيئية لمشاريع التنمية موضوعاً لنظام صيانة الموارد الطبيعيّة يغطي الموارد المعدنية ومصادر المياه والغابات والحياة البرية.

ان تاريخ كفيا قنجي والمنطقة الواسعة حولها، بما في ذلك راجا والردوم، يعني ان سكانها يستعصون على التصنيف السهل كشماليين أو جنوبين أو غربيين (غرب السودان). وهذا التنوّع يشكل ثروة ثقافية ومساهمة في الهوية الوطنية السودانية. ويجب ان ينعكس في التعليم على المستويين المحلي والوطني.

ينبغي دعم الجامعات والمنظمات الثقافية والتاريخية في الولايات الحدوديّة لمتابعة الابحاث والتعليم في التراث الثقافي لأراضي الحدود الغربية بما في ذلك التبادل الاكاديمي بين المؤسسات في شمال دارفور وغرب بحر الغزال والتعاون مع المنظمات غير الحكومية الدولية ومنظمات البحوث.

المراجع

عبد العظيم، شوقي (٢٠١٠) كفيا قنجي وحفرة النحاس: شرارات الحرب الثالثة، ٢٢ أغسطس، الاخبار، الخرطوم.

Abdalla, Abdalla Ahmed (2006) »Environmental degradation and conflict in Darfur: experiences and development options.« In Bakri Saeed (ed.) Environmental Degradation as a Cause of Conflict in Darfur. University for Peace: Addis Ababa.

Abdel Rahim, Muddathir (1966) »The development of British policy in the Southern Sudan 1899-1947.« Middle Eastern Studies, Vol. 2, No. 3, pp. 227-49.

Adams, Martin (1982) »The Baggara problem: attempts at modern change in Southern Darfur and Southern Kordofan (Sudan).« Development and Change, Vol. 13, No. 2, pp. 259-89.

African Development Bank (1998) Sudan: Country Strategy Paper, 1998-2001. Abidjan.

الحسن، موسى المبارك (١٩٩٥)، تاريخ دارفور السياسي، دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع: الخرطوم.

Alier, Abel (2003) Southern Sudan: Too Many Agreements Dishonoured. Abel Alier: Khartoum.

عليو، محمد عيسى (٢٠٠٨)، العلاقات بين الرزيقات ودينكا ملوال، بحث من جامعة ام درمان الاسلامية ؛ أم درمان..

التونسي، محمد عمر، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، المؤسسة المصرية، للتأليف والنشر، القاهرة.

Badal, Raphael K. (1986) »Oil and regional sentiment in the South.« In Muddathir Abd Al-Rahim, et al. (eds.) Sudan Since Independence: Studies of the Political Development since 1956. Gower: Aldershot.

—— (1994) »Political cleavages within Southern Sudan: an empirical analysis of the re-division debate.« In Sharif Harir and Terje Tvedt (eds.) Short-Cut to Decay: the Case of the Sudan. Nordiska Afrikainstitutet: Uppsala.

Baer, Gabriel (1969) »Slavery and its abolition.« In Gabriel Baer (ed.) Studies in the Social History of Modern Egypt. University of Chicago Press: Chicago, IL.

Balamoun, G. Ayoub (1981) Peoples and Economics in the Sudan 1884-1956: The First Part of a History of Human Tragedies on the Nile (1884-1984). Harvard University Center for Population Studies: Cambridge, MA.

Beshir, Mohamed Omer (1968) The Southern Sudan: Background to Conflict. Hurst: London.

B.G.P. 16.B.2, »Administration of Districts: Western District, Bahr El Ghazal Province,« in folder marked Civil Sec A/1 vol. 1, Districts Reorganisation, Western District, Wau archives, unclassified.

B.G.P./SCR/8-A-3, »Letter from Ingleson, Governor Bahr el-Ghazal to Civil Secretary, Wau 10 Jan 35. The Western District.« Andrew Baring papers, unclassified.

B.G.P./SCR/I.C.6, »Administrative policy, Southern Provinces«, 22 March 1930, Bahr al-Ghazal province governor Brock to Civil Secretary, reproduced in the collection British Southern Policy in the Sudan (nd).

Billiton PLC (1999) Annual Report. Billiton PLC: London

Center for Disease Control (1995) »Implementation of health initiatives during a cease-fire—Sudan, 1995.« MMWR Weekly, Vol. 44, No. 23, pp. 433-36. <http://www.cdc.gov/mmwr/preview/mmwrhtml/00038071.htm>

Chinyankandath, James (1991) »The 1986 elections.« In Peter Woodward (ed.) Sudan After Nimeiri. London: Routledge.

Clarence-Smith, William G. (2008) »Islamic abolitionism in the Western Indian Ocean from c. 1800.« Paper given at a conference entitled Slavery

and the Slave Trades in the Indian Ocean and Arab Worlds: Global Connections and Disconnections at Yale University, USA.

Collins, Robert O. (1983) Shadows in the Grass: Britain in the Southern Sudan, 1918-1956. Yale University Press: New Haven, CT.

Committee for the Redivision of the Southern Provinces (nd, approximately 1975). Final Report.

Comyn, D.C.E. (1911) Service and Sport in the Sudan: A Record of Administration in the Anglo-Egyptian Sudan. With Some Intervals of Sport and Travel. John Lane, The Bodley Head: London.

Cordell, Dennis D. (1985) Dar al-Kuti and the Last Years of the Trans-Saharan Slave Trade. University of Wisconsin Press: Madison, WI.

CS/16-B.1/4, »Note,« R.K.W, Civil Secretary«s Office, 20 November 1930, Wau archives, unclassified.

de Waal, Alex (1989) Famine that Kills: Darfur 1984-1985. Clarendon Press: Oxford.

de Waal, Alex, and A.H. Abdel Salam (2004) »Islamism, state power and jihad in Sudan.« In Alex de Waal (ed.) Islamism and its Enemies in the Horn of Africa. Hurst: London.

Democratic Republic of the Sudan (1983) Population of the Sudan and its Regions, Project Documentation No 2, 1983 Census, Total Populations by Male, Female & Sex Ratio for Region, Province & District. Population Studies Centre, University of Gezira: Gezira.

DR.P/66-B-45, »The Munro-Wheatley Agreement. Rizeigat-Dinka (Malwal), Safaha,« 22 April 1924, Andrew Baring papers, unclassified.

DP.R SCR 66-B-44 vol. 1, »Notes on Kafia Kingi Area. (Starting 1924)« (nd), Andrew Baring papers, unclassified. The note reviews discussions about the area«s borders from 1924 to 1946, with file references.

Elbashier, Abdul Aziz Ahmed (2010) A Word from the Chairman. EYAT Oilfield Services website. <http://www.eyatoil.com/About.html>

El Shibly, Mekki Medani (1990) Fiscal Federalism in Sudan. Khartoum University Press: Khartoum

Evans-Pritchard, E.E. (1963) »The Zande State.« Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, Vol. 93, No. 1, pp. 134-54.

—— (1971) The Azande: History and Political Institutions. Clarendon: Oxford.

Ewald, Janet J. (1990) Soldiers, Traders and Slaves: State Formation and Economic Transformation in the Greater Nile Valley, 1700-1885. University of Wisconsin Press: Madison, WI.

Fadul, Abduljabbar Abdalla (2006) »Natural resources management for sustainable peace in Darfur.« In Bakri Saeed (ed.) Environmental Degradation as a Cause of Conflict in Darfur. University for Peace: Addis Ababa.

Fula Boki Tombe Gale, Severino (2002) Shaping a Free Southern Sudan: Memoirs of our Struggle 1934-1985. Loa Catholic Missions Council: Loa.

Garang, Joseph (1971) The Dilemma of the Southern Intellectual. Ministry of Southern Affairs: Khartoum.

Gessi, Romolo (1892) Seven Years in the Soudan. Sampson, Low, Marston: London.

Gide, André (1927) Voyage au Congo. Gallimard: Paris.

Gray, Richard (1961) A History of the Southern Sudan, 1839-1889. Oxford University Press: Oxford.

GoS (Government of Sudan) (2008) »Memorial of the Government of Sudan.« In Permanent Court of Arbitration [The Hague]. In the matter of an arbitration before a tribunal constituted in accordance with Article 5 of the Arbitration Agreement between the Government of Sudan and the Sudan People«s Liberation Movement/Army on delimiting Abyei Area. 18 December. GoS: Khartoum.

حكومة السودان وجبهة الشرق (٢٠٠٦). اتفاقية سلام شرق السودان.أسمرا.

حكومة السودان والحركة الشعبية (الحركة الشعبية لتحرير السودان) (٢٠٠٥) اتفاقية السلام الشامل. نيفاشا.

حكومة السودان وآخرون. (١٩٧٢) اتفاقية أديس أبابا. الخرطوم. وقعتها حكومة السودان وعدة مجموعات متمردة في الجنوب.

حكومة السودان وآخرون. (١٩٩٧) اتفاقية الخرطوم للسلام. الخرطوم. وقعتها حكومة السودان وعدة مجموعات متمردة في الجنوب.

حكومة السودان وآخرون. (٢٠٠٦) اتفاقية سلام دارفور. أبوجا. وقعتها حكومة السودان وعدة مجموعات متمردة في دارفور.

حكومة جنوب السودان (حكومة جنوب السودان) (٢٠٠٥) الدستور الانتقالي لجنوب السودان. جوبا.

Hargey, Taj (1999) »Festina lente: slavery policy and practice in the Anglo-Egyptian Sudan.« In Suzanne Miers and Martin A. Klien (eds.) Slavery and Colonial Rule in Africa. Cass: London.

Hassan, Tarig Tag Elsir, et al. (2005) Sustainable Utilization of Wildlife Resources in Radom Biosphere Reserve (Final Report). <http://www.unesco.org/mab/ doc/mys/2001/sudan.pdf>

Herbert, G.K.C. (1926) »The Bandala of the Bahr el Ghazal«. Sudan Notes and Records, Vol. 8, pp. 187-94.

Hill, Richard (1951) A Bibliographical Dictionary of the Anglo-Egyptian Sudan. Clarendon: Oxford.

Holt, P. (1970) The Mahdist State in the Sudan, 1881-1898: A Study of its Origins, Development and Overthrow. Clarendon: Oxford.

Human Rights Watch (1999) Famine in Sudan: The Human Rights Causes. Human Rights Watch: New York, NY.

Hunting Technical Services (1974) Southern Darfur Land-Use Planning Survey. Ministry of Agriculture, Food and Natural Resources: Khartoum, and Hunting Technical Services: Borehamwood.

ابراهيم، أحمد محمد احمد (٢٠٠٨). تصفية الإدارة الأهلية ونتائجها في دارفور. شركة مطابع السودان للعملة المحدودة: الخرطوم

International Criminal Court (2007) »Situation in Darfur, The Sudan (Public Redacted Version): Prosecutor«s application under Article 58(7).« ICC-02/05, 27 February. International Criminal Court: The Hague.

Jackson, H.C. (1913) Black Ivory and White, or The Story of El Zubeir Pasha Slaver and Sultan as Told by Himself. Blackwell: Oxford.

Johnson, Douglas H. (2007) The Root Causes of Sudan«s Civil Wars. James Currey: Oxford.

—— (2010) When Boundaries Become Borders: The Impact of Boundary Making on Southern Sudan«s Border Zones. Rift Valley Institute: London and Nairobi.

Jok, Jok Madut (2001) War and Slavery in Sudan. University of Pennsylvania Press: Philadelphia, PA.

Kalck, Pierre (2005) Historical Dictionary of the Central African Republic. Scarecrow: Lanham, MD.

Klugman, Jeni, and Asbjorn Wee (2007) Darfur: Dimensions of Challenge for Development: A Background Volume. World Bank: Washington, DC.

Lewis, M.P. (ed.) (2009) Ethnologue: Languages of the World. (Sixteenth edition.) SIL International: Dallas, TX.

MacMichael, H.A. (1922) A History of the Arabs in the Sudan, and Some Account of the People who Preceded them and of the Tribes Inhabiting Darfur. Cambridge University Press: Cambridge.

محمد، عادل عبد الرحمن (٢٠٠٦). قبائل البقارة في غرب السودان: بحث في أصولهم وانسابهم وثقافتهم: العالمية، السودان.

Ministry of Finance and Economic Planning (2008) Supplementary Budget. Government of Southern Sudan: Juba.

Mire, Lawrence (1986) »Al-Zubayr Pasha and the Zariba Based Slave Trade in the Bahr al-Ghazal 1855-1879.« In John Ralph Willis (ed.) Slaves and Slavery in Muslim Africa: The Servile Estate. Routledge: London.

Mohamed, Hamid Mannan, El-Fatih Idris A. Karim and Mohamed Ibrahim Mohamed (1998) »Hashish cultivation in the state of Southern Darfour, Sudan.« Eastern Mediterranean Health Journal, Vol. 4, No. 1, pp. 114-21.

Morton, James (2005) A Darfur Compendium: A Review of the Geographical, Historical and Economic Background to Development in the Region. HTSPE: Hemel Hempstead.

محمد، فرح عيسى (١٩٨٢). التراث الشعبي لقبيلة التعايشة، شعبة الفولكلور. معهد الدراسات الافريقية والآسيوية، مطبعة جامعة الخرطوم. الخرطوم.

NA/FO/10/776, Correspondence between the chairman of the Anglo-Belgian African Company Ltd and British Tropical Africa Company Ltd, and the Under-Secretary for Foreign Affairs (1902). NA (National Archive, London)

NA/FO371/190419, Text of SUNI communiqué in British embassy note on political parties, 6 April 1966.

NA/WO/106/14, »Letter from Wingate to Ali Dinar«.

NA/OD/20/524, »South Darfur rural development project paper,« April 1975

ND/SCR/1/C/1, Undated letter to Governor, Bahr al-Ghazal Province, reproduced in the collection British Southern Policy in the Sudan (nd).

No. 66 A 20/21, Letter from District Commissioner, Western District to Governor, Equatoria, 9 August 1939, in Wau archive file, unclassified, entitled Runaways Story with its Deplorable Ending.

Nyaba, Peter Adwok (2000) Politics of Liberation in South Sudan: An Insider«s View. Fountain: Kampala.

O«Fahey, R.S. (1980) State and Society in Dar Fur. Hurst: London.

—— (1982) »Fur and Fartit: the history of a frontier.« In John Mack and Peter Robertshaw (eds.) Culture History in the Southern Sudan: Archaeology, Linguistics, Ethnohistory. British Institute in Eastern Africa: Nairobi.

OHCHR (Office of the High Commissioner for Human Rights) and UNMIS (United Nations Mission in the Sudan) (2006) »Killings of civilians by militia in Buram Locality, South Darfur, 6 October 2006.« Fifth periodic

report of the United Nations High Commissioner for Human Rights on the situation of human rights in the Sudan. OHCHR: Geneva.

Parry, D.E., and G.E. Wickens (1981) »The Qozes of Southern Darfur Sudan Republic,« Geographical Journal, Vol. 147, No. 3, pp. 307-320.

Paysama, Stanislaus Abdullahi (nd) How a Slave Became a Minister: Autobiography of Sayyed Stanislaus Abdullahi Paysama. Photocopied book from the library of Yusuf Takana. No publishing details available.

رئاسة الجمهورية (٢٠٠٩) مشروع دراسات تنمية الرُحّل والمجتمعات المستقرة بحوض بحر العرب، ولاية جنوب دارفور. الخرطوم.

Reining, Conad C. (1966) The Zande Scheme: An Anthropological Case Study of Development in Africa. Northwestern University Press: Evanston, IL.

Republic of Sudan (1957) First Population Census of Sudan, 1955/6, Fourth Interim Report. Ministry of Social Affairs: Khartoum.

—— (1960) »Description of revised boundary between Bahr El Ghazal and Darfur Provinces.« Sudan Government Gazette 947, 15 June.

République centrafricaine (1978) Annuaire Statistique. République centrafricaine: Bangui.

—— (1989) Annuaire Statistique. Direction de la Statistique Générale et des Etudes Economiques: Bangui.

Roden, David (1974) »Regional inequality and rebellion in the Sudan.« Geographical Review. Vol. 64, No. 4, pp. 498-516.

SAD/529/1, »Raga Sub-District«, Robertson papers. SAD (Sudan Archive, Durham) (NB For in-text citations, extra numbers following the code indicate page numbers.)

SAD/542/18, E.S. Jackson (1910/11) Report on Southern District of Bahr el Ghazal.

SAD/710, Western District Annual Report, (1939).

SAD/735/4, G.D. Lampen, The Baqqara Tribes of Darfur, notebook.

SAD/815/7, Western District Bahr el-Ghazal Province Handbook (1954).

Santandrea, Stefano (1953) »A preliminary account of the Indri, Togoyo,

Feroge, Mangaya and Woro.« Sudan Notes and Records. Vol. 34, Part 2, pp. 230-64.

—— (1955) »The Belgians in Western Bahr el Ghazal.« Sudan Notes and Records. Vol. 36, Part 2, p. 188.

—— (1964) A Tribal History of the Western Bahr El Ghazal. Editrice Nigrizia: Bologna.

—— (1980) »Ndogo ethonological texts (Sudan): with translation and commentary.« Anthropos, Vol. 75, pp. 823-904.

—— (1981) Ethno-Geography of the Bahr El Ghazal (Sudan). Editrice Missionaria Italiana: Bologna.

—— (nd) The Banda of the Bahr El Ghazal (Sudan): short ethnological notes. Pro manuscripto.

Scott, James C. (2009) The Art of Not Being Governed: An Anarchist History of Upland South East Asia. Yale University Press: New Haven, CI.

SDD/SCR/66-D-3, Memo to Governor Darfur from District Commissioner South Darfur, 23 Apr 1933, »Note on the Settlement of Awlad Arab,« Andrew Baring papers, unclassified.

Seekers of Truth and Justice (2004) The Black Book: Imbalance of Power and Wealth in Sudan. English translation of a book attributed to the Justice and Equality Movement. No publishing details available.

Sikainga, Ahmad A. (1983) The Western Bahr al-Ghazal under British Rule. Ohio University Press: Athens, OH.

Southern Sudan Centre for Census, Statistics and Evaluation (2009) Statistical Yearbook for Southern Sudan, 2009. Southern Sudan Centre for Census, Statistics and Evaluation: Juba.

Southern Development Investigation Team (1955) Natural Resources and Development Potential in the Southern Provinces of the Sudan. Sudan Government: London.

Sudan Radio Service (2010) »South Darfur Governor dismisses claims of LRA presence in state.« Sudan Radio Service: Nairobi. 20 October. <http://www.sudanradio.org/south-darfur-governor-dismisses-claims-lra-presence-state>

Sudan Transition and Recovery Database (2003) Report on Raga Area. Office of the UN Resident and Humanitarian Coordinator for the Sudan: Nairobi.

Suret-Canale, Jean (1971) French Colonialism in Tropical Africa, 1900-1945. Pica: New York, NY.

Takana, Yusuf (2008) The Politics of Regional Boundaries and Conflict in Sudan: the South Darfur Case. Sudan Working Paper No. 2. Chr. Michelsen Institute: Bergen.

Theobald, A.B. (1965) Ali Dinar, Last Sultan of Darfur, 1898-1916. Longmans, Green: London.

Thomas, Edward (2010) Decisions and Deadlines: A Critical Year for Sudan, Chatham House: London.

—— (2009) Against the Gathering Storm: Securing Sudan«s Comprehensive Peace Agreement. Chatham House: London.

Tubiana, Jérôme (2009) »Learning from Darfur.« Dispatches: Out of Poverty, No. 4.

Tucker, A.N. (1931) »The tribal confusion around Wau.« Sudan Notes and Records, Vol. 14, pp. 49-60.

Tucker, A.N., and M.A. Bryan (1966) Linguistic Analyses: The Non-Bantu Languages of North-Eastern Africa. London/Oxford: International African Institute/Oxford University Press.

UNDP (United Nations Development Programme) (1973) Mineral Survey in Three Selected Areas, Sudan. Technical Report 4, Copper Exploration in the Hofrat En Nahas Area, Western Sudan, an Interim Report. United Nations: New York, NY.

UNESCO (United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization) (2007) Biosphere Reserve Information. The MAB Programme. <http://www.unesco.org/mabdb/br/brdir/directory/biores.asp?mode=all&code=SUD+02>

Vezzadini, Elena (2008) The 1924 Revolution: Hegemony, Resistance and Nationalism in the Colonial Sudan. University of Bergen: Bergen.

Walsh, R.P.D. (1991) »Climate, hydrology and water resources.« In G.M. Craig (ed.) The Agriculture of the Sudan. Oxford University Press: Oxford.

WD/66-A-20/24 (RAGA), response from Assistant District Commissioner

B.J. Cocks, 20 September 1951, in Wau archive file, unclassified, entitled The B + K Runaways Story with its Deplorable Ending.

World Bank (2003) Sudan Stabilization and Reconstruction: Country Economic Memorandum. World Bank: Washington, DC.

—— (2009) Sudan: The Road Towards Sustainable and Broad-Based Growth. World Bank: Washington, DC.

Young, Helen, et al. (2005) Darfur: Livelihoods Under Siege. Feinstein International Famine Center, Tufts University: Medford, MA.

زلفو، عصمت حسن (١٩٧٣). كرري. مكتبة التوحيد.

مسرد

Abbala	أبّالة: يطلق على الذين يهتمون بتربية الجمال
Aja	آجا: مجموعة اثنية صغيرة لهم رواية عن اصلهم تنسبهم إلى بورو مدينة: أُجبروا على الانتقال من كباراكبارا عام ١٩٣٠: والآن صاروا من سكان المدن. لغتهم شبيهة بلغة كريش وباندا.
Anglo-Egyptian Sudan	السودان الإنجليزي – المصري: نظام استعماري، ١٨٩٨ – ١٩٥٥. الفترة البريطانية: حكم ثنائي، حيث بريطانيا العظمى ومصر تحكمان نظريا في شراكة: لكن كانت البلاد في الواقع تحت حكم الإدارة البريطانية.
Anyanya	انيانيا: جيش لأول تمرد مسلح في جنوب السودان بعد الاستقلال، ١٩٦٣ – ١٩٧٢.
Awlad Arab	أولاد عرب: مجموعات من اجزاء مختلفة من غرب ووسط افريقيا والحزام الافريقي السوداني، عاشت في كفيا قنجي في ثلاثينيات القرن العشرين، وكان ينظر اليهم المسئولون البريطانيون بأنهم مجموعات صارت مسلمة ومعرّبة.
Baggara أو Baqqara	البقارة: مصطلح يعني من يربّون البقر في السودان: والمصطلح يشير إلى مجموعات تعمل على تربية الأبقار والزراعة وتعيش في مناطق السافنا غرب الحدود مع جنوب السودان. وتوجد مجموعات مشابهة تقوم بتربية الأبقار على الأطراف الجنوبية للصحراء في بلدان أخرى حيث يطلق عليهم عرب (مثلا، عرب تشاديين)
Banda	باندا: مجموعة قبائل، معظمها نزح بسبب الحرب من افريقيا الفرنسية الاستوائية إلى بحر الغزال بعد عام ١٩١١: واستقروا بعد عام ١٩٣٠ في سوبو، جنوب راجا، وأيضاً في جمهورية افريقيا الوسطى.

Bandala أو Mandala أو Ngbandala	بندالا أو ماندالا أو نجباندالا: مصطلح تحقيري لمجموعات تابعة تتحدث العربية كانت في السابق ترزح تحت أسر رق الرزيقات؛ وفي بعض الاوقات تحت أسر بقارة آخرين في جنوب دارفور وغرب بحر الغزال على جانبي الحدود بين الشمال والجنوب. ويصطلح على هذه المجموعات في هذا التقرير رزيقات بحر الغزال.
Bahr al-Ghazal	بحر الغزال: أحد روافد النيل الابيض؛ وهو أيضاً إسم مديرية تغطي منطقة غرب حوض النيل في جنوب السودان. (انظر، المنطقة قيد الدراسة)
Bahr al-Ghazal Rizeigat	رزيقات بحر الغزال: مصطلح استخدم في هذا التقرير لوصف مجموعات بانالا
Belanda	بيلاندا: مجموعتان كبيرتان، بيلاندا بورو أو بور؛ بيلاندا فيري أو بيفيري. وبيفيري يتحدثون بلغة ندوجو وروايات اصلهم تربطهم بمنابع نهري بوسيري وناموتينا قرب خط تقسيم مياه نهر الكونغو في اقصى جنوب مقاطعة راجا. ويتحدث بورو لغة ليو التي ليس لها صلة بهم، ولهم روايات اصل تربطهم بشمال شرق بحر الغزال والمرجّح ان الإسم المشترك يرجع إلى زمن انتصارات الزاندي.
Binga	بينقة: مجموعة صغيرة ذات رواية عن أصلها تربط أفرادها بجبل مرة في دارفور. انتقلت المجموعة إلى ما يسمى اليوم بجمهورية افريقيا الوسطى وجيب كفيا قنجي في نهاية سلطنة دارفور، وأبعدت عنها نتيجة التدمير الاستعماري لبلدة كفيا قنجي. وهرب البعض إلى دارفور لتحاشي التوطين القسري في مينامبا وعبر السودان؛ لغتها شبيهة بلغة كارا ويولو.
Bornu	برنو: دولة اسلامية قرب بحيرة تشاد تأسست في القرن الثامن وسقطت عام ١٨٩٤ على ايدي مقاول تجارة رقيق سوداني؛ وبرنو هو اليوم إسم لولاية نيجيرية. (المتحدثون بلغة كانوري من برنو مشتتون الآن في غرب ووسط افريقيا، وفي السودان يوجدون في دارفور وبحر الغزال.
CAR	جمهورية افريقيا الوسطى

Commissioner	مفوض: كان المفوضون البريطانيون مسئولين سياسيين عن مقاطعة، مساوية لمقاطعة جنوبية أو محليّة شمالية اليوم. وفي الفترة الأولى من الاستقلال وحتى السبعينيات والثمانينيات كان المفوّض مسئولا عن مديرية (ما يعادل حاكم الولاية اليوم). ومنذ تسعينيات القرن العشرين والى وقتنا الحاضر كان المفوض يعتبر ضابطا سياسيا مسئولا عن مقاطعة جنوبية أو محليّة شمالية.
CPA	اتفاقية السلام الشامل: هي اتفاقية تم التوصل اليها عام ٢٠٠٥ وأنهت الحرب الأهلية بين الحركة / الجيش الشعبي لتحرير السودان والحكومة المركزية.
DPA	اتفاقية سلام دارفور: وهي اتفاقية وقّعتها عام ٢٠٠٦ حكومة الخرطوم مع عدد من الفصائل العديدة المنخرطة في الحرب الأهلية في دارفور.
DRC	جمهورية الكونغو الديموقراطية: زائير سابقا.
Dar Abo Diima	دارابو ديمه: المديرية الجنوبية الغربية لسلطنة دارفور في أواخر القرن التاسع عشر.
Dar Fertit/Fartit	دار الفرتيت: "أرض الفرتيت". إسم لأراضي الحدود الجنوبية لدارفور: وهو مصطلح توسّع ليعني "مناطق غير الدينكا" وغير ليو في غرب بحر الغزال.
Dar al-Kuti	دار الكوتي: دولة تابعة لسلطنة ودّاي: تحولت في أواخر القرن التاسع عشر إلى دولة تشن غارات الاسترقاق التي اجتاحت وسط افريقيا. تم تدميرها باجتياح فرنسي أشدّ دماراً.
Diya وdiyya	الديّة: مصطلح من القوانين الإسلامية لدفع تعويض مالي عن اصابة جنائية: وبقبول الديّة يتخلى الضحايا عن حقوقهم بالمطالبة بعقوبة القصاص. وتدير السلطات التقليدية في العديد من القبائل السودانية أنظمة معقدة للتعويضات وهذه الانظمة تساعد في إعطاء الهياكل القبلية شكل قانوني.
Erenga	إرينغا: مجموعة أصغر تعيش على الحدود التشادية وتتحدث لغة نيلية صحراوية ترتبط بقبيلة تاما. وقد تحرك العديديون من أفرادها جنوبا خلال عمليات الجفاف في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي.

FEA	افريقيا الفرنسية الاستوائية: هي فيدرالية من اربعة مناطق فرنسية اقيمت عام ١٩١٠ واستمرت حتى عام ١٩٦٠. والدول التي خلفتها هي جمهورية افريقيا الوسطى وتشاد والجابون والكنغو برازافيل.
Fellata/Fallata	فلاتا: رعاة ومزارعون وسكان مدن يتحدثون فولبي، (فولاني)، لغة ذات اصل غرب افريقي تتحدثها أعداد كبيرة في السودان. ويستخدم المصطلح ليعيّن قطاع متنوع من السودانيين من اصل غرب افريقي.
Feroghe/Feroge	فروقي: مجموعة اثنية واسعة تتكون من متحدثي كاليجي، ولها روايات اصل تربطها بدارفور وبحدودها الجنوبية، وهي عائلة قائدة تنحدر من حاج مسلم من البرنو. انتقلت إلى خور شمام في القرنين التاسع عشر والعشرين ونزحت إلى راجا في ثمانينيات القرن الماضي.
Fertit/Fartit	فرتيت: كلمة شاملة لغير الدينكا وغير العرب وغير ليو وغير الفور في غرب بحر الغزال: كان المصطلح إزدرائيا والآن يتضمن مجموعة متنوّعة من المعاني. انظر الفصل ٤ للمزيد من النقاش حول المصطلح
FFAMC	مفوضية تخصيص ومراقبة الايرادات المالية: هي هيئة لكفالة مزيد من الاستثمار المركزي في الأطراف. انشأتها اتفاقية السلام الشامل ووردت في اتفاقيات السلام الأخرى.
Fur	فور: مجموعة لغوية وسكانية رئيسية في دارفور: هم تاريخيا سكان الأراضي الخصبة العليا في جبل مرة: وقد توسّعوا في اتجاه الجنوب ودمجوا مجموعات اخرى، وهي عملية تصاعدت بإقامة سلطنة الفور في القرن السابع عشر.
Gbaya	انظر الكريش

Gimir/Gimr/ Qimr	قمر: مجموعة ذات اصول في كولبس، غرب دارفور، على الحدود التشادية؛ وهي سلطنة صغيرة من القرن الثامن عشر قادها سلطان من شمال وادي النيل. تشير كتابات الرحّالة في الفترة السابقة للاستعمار انهم كانوا يتحدثون لغة نيلية – صحراوية شبيهة بتاما، لكنهم الآن يتحدثون العربية؛ ومنذ الاستقطاب في هويات افريقية وعربية في الحربِ الأهلية التي بدأت عام ٢٠٠٣ اعتبر بعضهم انهم عرباً. وهاجر كثيرون إلى جنوب دارفور خلال عمليات جفاف السبعينيات والثمانينيات وفي هجرات سابقة.
GoSS	حكومة جنوب السودان
Governor	الحاكم؛ وهو بموجب القانون البريطاني المسئول السياسي الرئيسي في كل من المديريات التسع؛ وفي السبعينيات والثمانينيات المسئول السياسي الرئيسي بكل الأقاليم التسعة؛ وبعد عام ١٩٩٤ المسئول السياسي الرئيسي في كل الولايات الـ٢٦ (٢٥ ولاية بعد عام ٢٠٠٥).
Goz	قوز: كثبان رملية مستقرة، تربة ونظام مياه يغطي معظم جنوب دارفور.
Gula	جولا؛ إسم بديل للغة كارا
Habbaniya	الهبانية؛ بقارة يتحدثون اللغة العربية وتغطي أراضيهم التقليدية معظم جنوب غرب دارفور (هناك مجموعة هبانية اخرى تعيش في كردفان). لهم روايات اصل تربطهم بالجزيرة العربية أو تونس؛ لهم صلات بمجموعات الفرتيت.
HEC	المجلس التنفيذي الأعلى؛ حكومة اقليم جنوب السودان ذات الحكم شبه الذاتي خلال الفترة ١٩٧٣ – ١٩٨٣.
Hofrat al-Nahas	حفرة النحاس؛ مستوطنة تعدين قديمة في الطرف الشمالي من جيب كفيا قنجي، تقع الآن تحت ادارة محليّة الردوم في ولاية جنوب دارفور، كانت في السابق جزءاً من بحر الغزال.
ICC	المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي.
IDP	النازحون

Indiri	انديري: مجموعة إثنية صغيرة ذات روايات تقول أن أصلها في راجا؛ حينما نقل الاستعمار البريطاني مجموعة فروقي إلى راجا صارت إنديري تحت سلطة زعيم الفروقي حتى نهاية الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب عام ٢٠٠٥.
Ingaz (inqadh)	الانقاذ: هو الانقاذ (الوطني)؛ إسم الحكومة التي تشكلّت بعد الانقلاب في السودان في ١٩٨٩.
Jallabiya	جلابية: رداء ابيض وطويل للرجال يُنظر اليه في السودان عادةً كزي عربي أو اسلامي.
JEM	حركة العدل والمساواة: هي حركة تمرد من دارفور بقيادة خليل ابراهيم؛ خليل ابراهيم عضو سابق في اجهزة أمن نظام الانقاذ. كثيرا ما تربط حركة العدل والمساواة بمجموعة الزغاوة الاثنية.
JIU	الوحدات المشتركة المدمجة: وحدات عسكرية أنشئت بموجب اتفاقية السلام الشامل، وتضم قوات من القوات المسلحة السودانية والجيش الشعبي لتحرير السودان.
Kafia Kingi enclave	جيب كفيا قنجي: منطقة تبلغ مساحتها نحو ١٢,٥٠٠ كلم مربع في الطرف الغربي الأقصى للحدود بين دارفور وجنوب السودان، يشار اليه أحياناً بإسم حفرة النحاس. والمنطقة كلها تعتبر الآن جزءاً من محميّة الردوم للمحيط الحيوي (انظر، المنطقة قيد الدراسة).
Kaligi	كاليجي: إسم لمجموعة اسلاف لقبيلة فروقي وإسم لغة يتحدث بها الفروقي.
Kara أو Gula	كارا: مجموعة لها روايات عن اصل لها في دارفور وجمهورية افريقيا الوسطى، انتشرت على امتداد السودان الشمالي خلال المهدية؛ وانتقلت إلى كفيا قنجي إبان فترة سقوط سلطنة دارفور في عام ١٩١٦. أجبرت على الاستقرار عام ١٩٣٠ بواسطة البريطانيين في مينامبا. البعض فرّ إلى دارفور لتحاشي التوطين القسري. اللغة تتصل ببينقة ويولو.
Khalifa	خليفة: لقب يُستخدم لخلفاء المهدي السوداني والنبي محمد (ص).

Khor	خور، مجرى مياه موسمي.
KPA	اتفاقية سلام الخرطوم؛ عام ١٩٩٧، بين حكومة السودان و٦ احزاب وحركات تمرد جنوبية.
Kresh/Kreish	الكريش: إسم لعدة مجموعات ذات روايات حول أصل في غرب بحر الغزال وما يسمى الان بجمهورية افريقيا الوسطى. بعض هذه المجموعات تسمى نفسها جابايا وهو إسم تزعمه أيضاً مجموعات اخرى مثل آجا. اما دنقو فانهم برواياتهم عن اصلهم في جبل دنقو قرب الردوم كثيرا ما تم تصنيفهم كمجموعة اثنية منفصلة، لكنهم يتحدثون نفس لغة كريش. وكريش حفرة النحاس أيضاً يسمون نقوبونقوبو، فيأخذون اسمهم من مناجم النحاس في جيب كفيا قنجي. ويعتبر ايوجوكو هو إسم كريش لبلدة ديم زبير؛ وكريش ندوقو(أيضاً يسمون نابايا ندوقو) عاشوا في المنطقة وفي اودية النهر المحيطة. وفي فترة الحكم البريطاني نُقلت هذه المجموعات المختلفة لتقيم على الطريق بين راجا وبورو مدينة. وبعض مستوطنات كريش على الطريق صارت مهجورة الآن؛ والعديد من كريش يعيشون في مدن على امتداد السودان.
Kujur	كجور: مصطلح بالعربية السودانية إزدرائي واسع الانتشار يستخدم للاشارة إلى الاخصائيين في الطقوس التقليدية الافريقية أو إلى معتقداتهم الدينية.
LRA	جيش الرب للمقاومة؛ مجموعة أوغندية متمرّدة، تنشط الآن في جمهورية الكنغو الديموقراطية وجمهورية افريقيا الوسطى.
Mahdiya	المهدية؛ الثورة المهدية (١٨٨١ – ١٨٨٥) والدولة المهدية (١٨٨٥ – ١٨٩٨)
Mangayat	منقايات؛ مجموعة إثنية صغيرة تربطها روايات أصلها بتلال منقايات جنوب راجا.
Masalit	المساليت؛ مجموعة كبيرة تعيش في غرب دارفور وتشاد يتحدث أفرادها لغتهم النيلية – الصحروية. في القرن التاسع عشر، بعد سقوط سلطنة الفور أنشأوا سلطنتهم الخاصة، وما زال لهم سلطانهم الخاص. والعديد من المساليت هاجروا شرقا خلال وبعد الحقبة الاستعمارية

Masalat/ Masalati	مسالات: مجموعة مساليت تعيش في منطقة قريضة بجنوب دارفور تحت زعامة زعيم تقليدي مختلف من زعيم مساليت الغرب.
Mbororo	امبررو: بدو رعاة يتحدثون لغة فولبي وينتشرون بشكل واسع في السودان وفي دول على الغرب منه. بعض الامبررو السودانيين لهم صلات بتُلّس في جنوب دارفور وفي الموسم الجاف يجتازون كل مقاطعة راجا في أطرافها الغربية. ويصلون جنوبا حتى الاستوائية.
Misseriya Jebel	مسيرية الجبل: مجموعة صغيرة ذات روايات تقول أن أصلها في جبل مون على الحدود الغربية من شمال دارفور. وهم يتحدثون لغة نيلية – صحراوية ذات صلة بتاما، ويقولون انهم يرتبطون بمجموعتي تاما والمسيرية – والمسيرية هي من أكبر قبائل البقارة المتحدثين بالعربية في السودان. وانتقل البعض من المسيرية إلى الجنوب بسبب الجفاف في السبعينيات والثمانينيات. ويعيش البعض شرق جبل مرة.
Nazir	ناظر: أعلى الزعماء مرتبة في الإدارة الأهلية الشمالية، وهو نظام حكم من خلال السلطات التقليدية تم تأسيسه تحت الحكم البريطاني.
NCP	حزب المؤتمر الوطني: انشأه نظام الانقاذ عام ١٩٩٧، وهو الحزب الحاكم في الخرطوم منذ ذلك الوقت.
Niger-Congo languages	(لغات النيجر – الكنغو): عائلة لغوية تشمل معظم اللغات جنوب الصحراء.
Nilotic	نايلوتيك: مجموعة لغات وثقافات من شرق افريقيا. والمجموعة تضم النوير والدينكا والشلك والأشولي، الذين يرجّح انهم يشكلون أغلبية سكان جنوب السودان لكنهم لا يشكلون مجتمعا سياسيّا متميزا.
Nilo-Saharan Languages	عائلة لغات يتم التخاطب بها بشكل أساسي في السودان ودول الساحل.

Njagulgule, Ngulinguli	نياقولقولي: مجموعة إثنية أصغر ذات روايات تربط اصلها بدارفور. لغتها هي نفس لغة بيقو بدارفور وتقودهم اسرة بيقو: ربما كانوا تابعين لبيقو وهم يعيشون في جبل ليري شرق جيب كفيا قنجي لكن انتقلوا جنوبا إلى منطقة راجا. وفي عام ١٩٨٧ نزح معظمهم إلى بلدة راجا.
PCA	محكمة التحكيم الدائمة – لاهاي.
PDF	قوات الدفاع الشعبي في ثمانينيات القرن الماضي: تم تشكيل هذه المليشيات المحلية من عناصر قبلية في شمال السودان لخوض الحرب في الجنوب. وفي ظل الحكومة الحالية صارت قواتاً معترفاً بها قانونيا تشمل تكوينات مليشيا مدينية ذات صلة بالنظام.
Raga	راجا، عاصمة مقاطعة راجا
Raga county	مقاطعة راجا: احدى اربع مقاطعات في ولاية غرب بحر الغزال، بما في ذلك جيب كفيا قنجي (انظر، المنطقة قيد الدراسة)
Rizeigat/ Rizayqat	الرزيقات: إحدى مجموعات البقارة في دارفور وتشاد: تغطي منطقة الرزيقات معظم جنوب شرق دارفور. السرديات عن الاصل تشير إلى الجزيرة العربية أو تونس: وصلوا إلى السودان في القرن السابع عشر أو الثامن عشر وشكلوا إحدى أكبر المجتمعات السياسية في جنوب دارفور. يشتركون في الإسم مع مجموعة من رعاة الابل في شمال دارفور.
SAF	القوات المسلحة السودانية: وهي الجيش المعترف به قانونيا لحكومة الخرطوم.
SANU	سانو: الاتحاد الوطني الافريقي السوداني، حزب سياسي جنوبي سوداني ذو اجندة انفصالية، تم تأسيسه في ستينيات القرن العشرين.
SDP	الجنيه السوداني القديم: عملة في شمال السودان حتى عام ١٩٩٢ وفي جنوب السودان حتى عام ٢٠٠٧؛ تم استبداله في الاقليمين في يناير ٢٠٠٧ بجنيه سوداني جديد (SDG) بموجب اتفاقية السلام الشامل

SLA جيش تحرير السودان: هو جماعة متمرّدة في دارفور انقسمت إلى العديد من الفصائل، وقّع بعض منها اتفاق سلام دارفور مع الحكومة عام ٢٠٠٦.

Shaykh شيخ: زعيم في المرتبة الثالثة في النظام الشمالي للادارة الأهلية. الكلمة في الدول العربية والإسلامية قد ترمز لزعيم كبير السن أو زعيم مرموق أو ديني.

SPLA الجيش الشعبي لتحرير السودان: الجناح العسكري للحركة الشعبية لتحرير السودان، والذي صار جيشا معترفاً به قانونيا بموجب نصوص اتفاقية السلام الشامل.

SPLM الحركة الشعبية لتحرير السودان: ثارت ضد حكومة السودان في جنوب السودان عام ١٩٨٣ وشاركت في الحكومة بعد التوقيع على اتفاقية السلام الشامل عام ٢٠٠٥.

SSU الاتحاد الاشتراكي السوداني: حزب تأسس عام ١٩٧٢ كأساس لنظام الحزب الواحد، واستمر حتى عام ١٩٨٥.

Sultan سلطان: لقب لزعيمٍ في الإدارة الأهلية في بعض المناطق من الجنوب؛ وهو أيضاً لقب لحكام دول الساحل في القرن السابع عشر والثامن عشر. وفي هذا التقرير تستخدم كلمة زعيم للاشارة إلى من هم سلاطين.

Taysha التعايشة: بقارة، يربُّون الأبقار ويتحدثون اللغة العربية ويعيشون في أقصى جنوب غرب دارفور؛ سرديات أصلهم تربطهم بتونس أو الجزيرة العربية، لعبوا دورا هاما في المهدية؛ لهم صلات بمجموعة كارا.

Takhzin التخزين: نظام يخزّن بموجبه التجار السلع خلال فصل الامطار حينما يكون نقل البضائع صعباً للغاية وبالتالي تكون الاسعار عالية.

Tama تاما: مجموعة أصغر تعيش في شمال غرب دارفور وغالبا في تشادٍ. يتحدث افرادها لغة نيلية – صحراوية، وهي مرتبطة لغويّاً بمجموعات ارينغا ومسيرية الجبل. البعض انتقلوا إلى جنوب دارفور تحت تأثير الجفاف في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي.

Turkiya التركية: تشير إلى النظام التركي – المصري، ١٨٢٠ – ١٨٨٢.

Umda	عمدة، زعيم من الدرجة الثانية في نظام الإدارة الأهلية الشمالي.
Umudiya	عمودية؛ زعامة من الدرجة الثانية
UNESCO	يونسكو؛ منظمة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة
Western Bahr al-Ghazal	غرب بحر الغزال؛ واحدة من عشر ولايات جنوبية. (انظر. المنطقة قيد للدراسة)
Western district	المقاطعة الغربية؛ المقاطعة الغربية لولاية بحر الغزال (انظر. المنطقة قيد للدراسة)
WSP	مشروع غرب السافنا؛ مشروع تنمية في جنوب دارفور في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين.
Wadai	وداي؛ سلطنة نشأت في القرن السادس عشر. فيما يطلق عليه الآن تشاد.
Yulu	يولو؛ قبيلة صغيرة ذات قصة عن اصلها تربطها بأماكن فيما يعرف اليوم بجمهورية افريقيا الوسطى؛ انتقلت من كفيا قنجي إلى ديم جلاب عام ١٩٣٠؛ نزحت في ستينيات القرن الماضي لكن استقرت مرة اخرى في كفيا قنجي في عام ٢٠٠٢. لغة ذات صلة قريبة ببينقة وكارا.
Zaghawa	الزغاوة؛ مجموعة اثنية كبيرة، تتحدث لغة نيلية – صحراوية. منذ القرن السادس عشر ظلت تعيش في مناطق شبه جرداء في شمال دارفور وتشاد؛ ذات علاقة برعي الجمال والاغنام. تسبب الجفاف في نزوح قطاعات منها إلى الطرف الشمالي من جيب كفيا قنجي في سبعينيات القرن الماضي حيث تعرض العديدون للنزوح عام ٢٠٠٦ خلال الحرب الأهلية في دارفور.
Zande	الزاندي؛ مجموعة اثنية لغوية كبيرة في جنوب غرب السودان، وشمال جمهورية الكنغو الديمقراطية وشرق جمهورية افريقيا الوسطى. وكانت دول الزاندي قد تأسست في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بقيادة نخبة ذات أصول من الشرق قامت بدمج المجموعات الإثنية الأصلية.
Zariba	زريبة؛ حظيرة مسيّجة بالاشواك؛ قلعة استرقاق خلال عهد التركية.

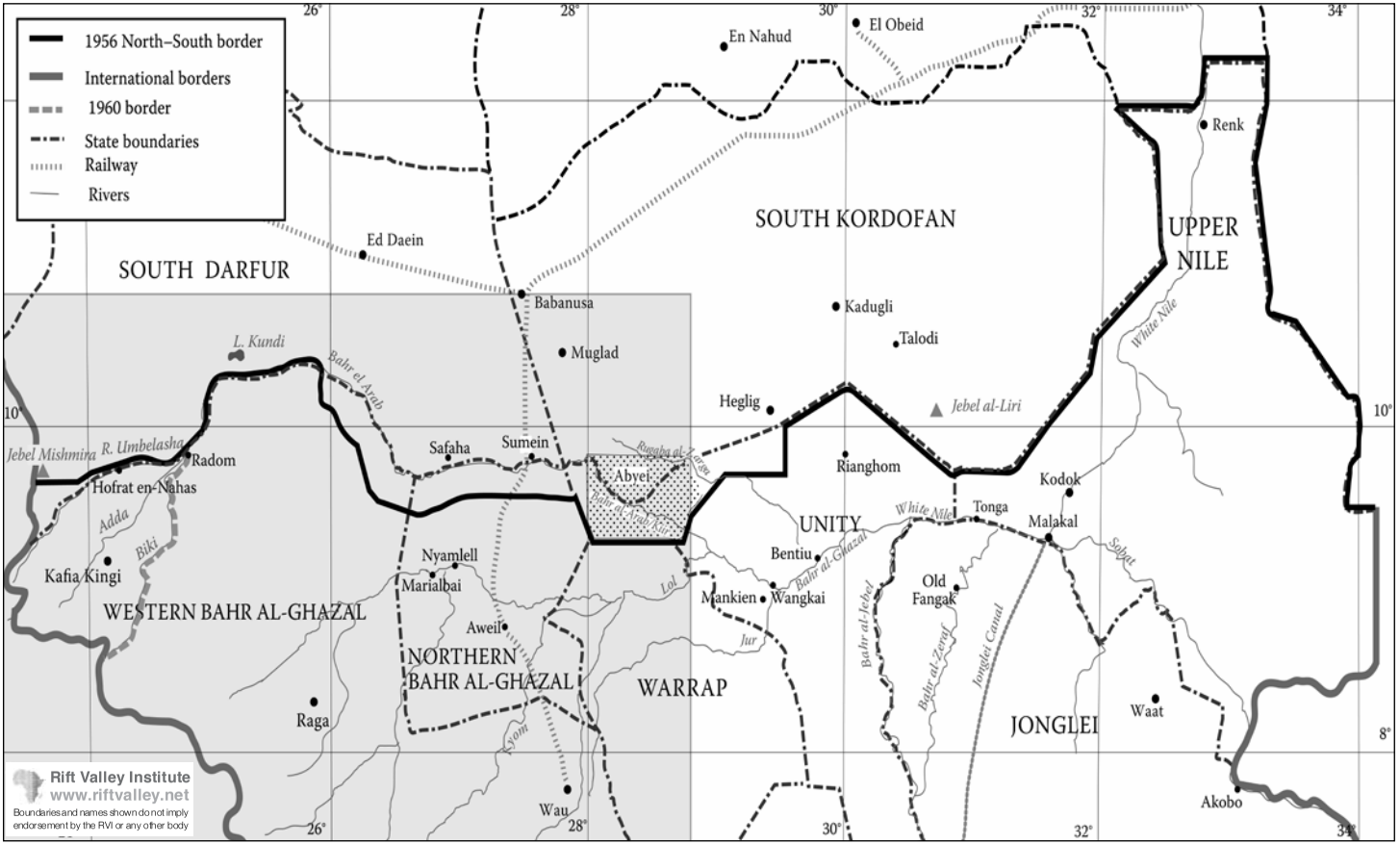

خريطة ٣- السودان: الحدود الجنوبية - الشمالية مع مناطق ذات خرط تفصيلية.